قال: فتجهز لها، فأنفق مالاً كثيراً؛ فقال بحير لأمية: إن أتى طخارستان خلعك، وحذره
فلم يوله.
وفيها استعمل عبد الملك حسان بن النعمان الغساني على إفريقية، وسيذكر ذلك إن شاء
الله في أخبار إفريقية.
وحج بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف.
وفيها توفي بشر بن مروان بالبصرة، واستخلف قبل وفاته خالد ابن عبد الله بن خالد على
البصرة، وكان خليفته على الكوفة عمرو ابن حريث؛ فكانوا على ذلك إلى أن قدم الحجاج
بن يوسف الثقفي أميراً سنة خمس وسبعين.
ولاية الحجاج بن يوسف العراق وما فعله عند مقدمه
وفي هذه السنة استعمل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق دون
خراسان وسجستان، وأرسل إليه بعهده وهو بالمدينة، فسار في اثني عشر راكباً على
النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار، فبدأ بالمسجد، فصعد المنبر وهو متلثم
بعمامة خز حمراء، فقال: علي بالناس، فحسبوه خارجياً، فهموا به وهو جالس على المنبر
ينتظر اجتماعهم، فاجتمع الناس وهو ساكت قد أطال السكوت، فتناول عمير بن ضابيء
البرجمي حصىً وقال: ألا أحصبه لكم ! فقالوا: أمهل حتى ننظر. وقيل: إن الذي هم
بحصبه محمد بن عمير وقال: قاتله الله ما أعياه وأدمه، والله إني لأحسب خبره كرؤياه.
فلما تكلم الحجاج جعل الحصى ينتثر من يده وهو لا يعقل، فلما رأى عيون الناس إليه
حسر الثام عن وجهه ونهض فقال:
أنا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني
أما والله إني لأحمل الشر محمله، فآخذه بفعله، وأجزيه بمثله، وإني لأرى رءوسا قد أينعت
وحان قطافها، وإني لصاحبها، وإني لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللحي قد شمرت عن
ساقها تشميراه.
هذا أوان الشدّ فاشتدّى زيم   قد لفّها الليل بسوّاقٍ حطم
ليس براعي إبلٍ ولا غنم   ولا بجزّارٍ على ظهر وضم
مهاجرٍ ليس بأعرابي
قد شمَّرت عن ساقها فشدّوا   وجدّت الحرب بكم فجدّوا
والقوس فيها وترٌ عردّ   مثل ذراع البكر أو أشدّ
ليس أوان يكره الخلاط   جاءت به والقلص الأعلاط

يهوى هوىّ سابق الغطاط
إني والله يأهل العراق ما يقعقع لي بالشنان، ولا يغمز جانبي تغماز التين، ولقد فررت عن
ذكاءٍ، وفتشت عن تجربةٍ، وجريت إلى الغاية القصوى. ثم قرأ: وضرب الله مثلاً قريةً كانت
آمنةً مطمئنة يأيتها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع
والخوف بما كانوا يصنعون. فأنتم أولئك وأشباه أولئك. إن أمير المؤمنين عبد الملك نثر
كنانته فعجم عيدانها عودا عوداً، فوجدني أمرها عوداً، وأصلبها مكسرا، فوجهني إليكم،
ورمى بي في نحوركم، فإنكم أهل بغي وخلاف وشقاق ونفاق، طالما أوضعتم في الشر،
واضطجعتم في الضلالة، وسننتم سنن الغي، فاستوثقوا واستقيموا، فوالله لأذيقنكم الهوان
ولأمرينكم حتى تدروا، ولألحونكم لحو العود، ولأعصبنكم عصب السلم، حتى تذلوا،
ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل حتى تذروا العصيان وتنقادوا، ولأقرعنكم قرع المروة
حتى تلينوا. إني والله ما أعد إلا وفيت، ولا أهم إلا أمضيت، ولا أخلق إلا فريت، فإياي
وهذه الجماعات، فلا يركبن رجلٌ إلا وحده، أقسم بالله لتقبلن على الإنصاف، ولتدعن
الإرجاف، وقيلاً وقالاً، وما يقول فلان، وأخبرني فلان، أو لأدعن لكل رجلٍ منكم شغلا في
جسده، فيم أنتم وذاك، والله لتستقيمن على الحق أو لأضربنكم بالسيف ضرباً يدع
النساء أيامى والولدان يتامى، وحتى تذروا السمهى وتقلعوا عن هاوها، ألا إنه لو ساغ
لأهل المعصية معصيتهم ما جبى فيءٌ ولا قوتل عدو، ولعطلت الثغور، ولولا أنهم يغزون
كرهاً ما غزوا طوعاً، ولقد بلغني رفضكم المهلب وإقبالكم على مصركم عاصين مخالفين
وإني أقسم بالله لا أجد أحداً من عسكره بعد ثالثةٍ إلا ضربت عنقه، وأنهبت داره.
ثم أمر بكتاب عبد الملك فقريء، فلما قال القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد
الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين: سلامٌ عليكم، فإني أحمد الله
إليكم - فلم يقل أحد شيئاً، فقال: اكفف، ثم قال: يا عبيد العصا، يسلم عليكم أمير

المؤمنين فلا يرد راد منكم السلام. هذا أدب ابن نهية، أدبكم به، والله لأودبنكم غير هذا
الأدب، أو لتستقيمن. ثم قال، للقاريء: اقرأ. فلما بلغ سلام عليكم قالوا بأجمعهم: وعلى
أمير المؤمنين السلام ورحمة الله. ثم نزل ودخل منزلة، ودعا العرفاء وقال: ألحقوا الناس
بالمهلب، وائتوني بالبراءات بموافاتهم، ولا تغلقن أبواب الجسر ليلاً ولا نهاراً حتى تنقضي
هذه المدة.
قال: فلما كان في اليوم الثالث سمع تكبيراً في السوق، فخرج وجلس على المنبر، فقال: يأهل
العراق، يأهل الشقاق والنفاق ومساويء الأخلاق، إني سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الذي
يراد به وجه الله، ولكنه التكبير الذي يراد به لترهيب، وقد عرفت أنها عجاجةٌ تحتها
قصفٌ، يا بني اللكيعة، وعبيد العصا، وأبناء الأيامى، ألا يربع رجل منكم على ظلعه
ويحسن حقن دمه، ويعرف موضع قدمه، فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعةً تكون
نكالاً لما قبلها وأدباً لما بعدها.
فقام إليه عمير بن ضابيء الحنظلي التميمي، فقال: أصلح الله الأمير، أنا في هذا البعث
وأنا شيخٌ كبير عليل، وابني هذا هو أقوى مني على الأسفار أفتقبله مني بديلا ؟ فقال:
نفعل. ثم قال: ومن أنت ؟ قال: أنا عمير بن ضابيء. قال: أسمعت كلامنا بالأمس ! قال:
نعم. قال: ألست الذي غزا عثمان بن عفان ؟ قال: بلى. قال: يا عدو الله، أفلا بعثت
بديلا إلى أمير المؤمنين، وما حملك على ذلك ؟ قال: إنه حبس أبي، وكان شيخاً كبيراً.
قال: أولست القائل:
هممت ولم أفعل وكدت وليتني   تركت على عثمان تبكي حلائله
إني لأحسب أن في قتلك صلاح المصرين، وأمر به فضربت رقبته، وأنهب ماله، وأمر
منادياً فنادى: ألا إن عمير بن ضابيء أتى بعد ثالثة، وكان قد سمع النداء، فأمرنا بقتله، ألا
وإن ذمة الله بريئةٌ ممن بات الليلة من جند المهلب.
فخرج الناس فازدحموا على الجسر، وخرج العرفاء إلى المهلب وهو برامهرمز، فأخذوا كتبه
بالموافاة، فقال المهلب: قدم العراق اليوم رجل ذكر، اليوم فويل العدو.

وقال: ولما قتل الحجاج عميراً لقى إبراهيم بن عامر الأسدي عبد الله بن الزبير رضي الله
عنهما في السوق، فسأله عن الخبر، فقال:
أقول لإبراهيم لمّا لقيته أرى الأمر أضحى منصبا متشعبا
تجهّز فأسرع والحق الجيش لا أرى سوى الجيش إلا في المهالك مذهبا
تخير فإما أن تزور ابن ضابيءٍ عميراً وإما أن تزور المهلّبا
هما خطّتا خسف نجاؤك منهما ركوبك حولياً من الثلج أشهبا
فحال ولو كانت خراسان دونه رآها مكان السّوق أو هي أقربا
قال: وكان الحجاج أول من عاقب بالقتل على التخلف عن الوجه الذي يكتب إليه.
قال الشعبي: كان الرجل إذا أخل بوجهه الذي يكتب إليه زمن عمر وعثمان وعلي رضي
الله عنهم نزعت عمامته ويقام للناس، ويشهر أمره، فلما ولي مصعب قال: ما هذا بشيء،
وأضاف إليه حلق الرؤوس واللحي، فلما ولي بشر بن مروان زاد فيه، فصار يرفع الرجل
عن الأرض ويسمر في يديه مسماران في حائط، فربما مات، وربما خرق المسمار يده،
فسلم.
فلما ولي الحجاج قال: كلٌ هذا لعب، أضرب عنق من يخل بمكانه من الثغر.
قال: وكان قدوم الحجاج في شهر رمضان، فوجه الحكم بن أيوب الثقفي على البصرة أميراً،
وأمره أن يشتد على خالد بن عبد الله، فبلغ الخبر خالداً فخرج عن البصرة فنزل الجلحاء
وشيعه أهل البصرة فقسم فيهم ألف ألف.
وثوب أهل البصرة بالحجاج
قال: ثم خرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن
شعبة. فلما قدم البصرة خطبهم بمثل خطبته بالكوفة، وتوعد من رآه منهم بعد ثالثة، ولم
يلحق بالمهلب، فأتاه شريك بن عمرو اليشكري وكان به فتق، فقال: أصلح الله الأمير، إن
بي فتقاً، وقد رآه بشر بن مروان فعذرني، وهذا عطائي مردودٌ في بيت المال، فأمر به
فضربت عنقه، فلم يبق بالبصرة أحدٌ من عسكر المهلب إلا لحق به.
ثم سار الحجاج إلى رستقباذ، وبينها وبين المهلب ثمانية عشر فرسخا، وقال حين نزل بها:

يأهل المصرين، هذا المكان والله مكانكم شهراً بعد شهر، وسنةً بعد سنةٍ، حتى يهلك الله
عدوكم، هؤلاء الخوارج المطلين عليكم.
ثم خطب يوماً فقال: إن الزيادة التي زادكم إياها ابن الزبير إنما هي زيادة ملحد فاسق
منافقٍ، ولسنا نجيزها - وكان مصعب قد زاد الناس في العطاء مائة مائة - فقال عبد الله
بن الجارود: إنها ليست زيادة ابن الزبير، إنما هي زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذها
وأجازها على يد أخيه بشر.
فقال له الحجاج: ما أنت والكلام ! لتحسنن حمل رأسك أو لأسلبتك إياه. فقال: ولم ؟
إني لك لناصحٌ، وإن هذا لقول من ورائي.
فنزل الحجاج ومكث أشهراً لا يذكر الزيادة، ثم أعاد القول فيها، فرد عليه ابن الجارود مثل
رده الأول، فقام مصقلة بن كرب العبدي، فقال: إنه ليس للرعية أن ترد على راعيها، وقد
سمعنا ما قال الأمير، فسمعاً وطاعةً فيما أحب وكرهنا. فسبه ابن الجارود وقام فأتاه
وجوه الناس فصوبوا رأيه وقوله، وقال الهذيل بن عمران البرجمي وعبد الله بن حكيم بن
زياد المجاشعي وغيرهما: نحن معك وأعوانك، إن هذا الرجل غير كافٍ حتى ينقصنا هذه
الزيادة فهلم نبايعك على إخراجه من العراق، ثم نكتب إلى عبد الملك أن يولي علينا غيره،
فإن أبى خلعناه، فإنه هائب لنا ما دامت الخوارج.
فبايعه الناس سراً، وأعطوه المواثيق على الوفاء، وبلغ الحجاج ما هم فيه، فأحرز بيت
المال.
فلما تم لهم أمرهم أظهروه، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين، واجتمع الناس
على ابن الجارود حتى لم يبق مع الحجاج إلا خاصته وأهل بيته، وأرسل الحجاج أعين
صاحب حمام أعين إلى ابن الجارود يستدعيه، فقال: لا كرامة لابن أبي رغال، ولكن ليخرج
عنا مذموماً مدحوراً، وإلا قاتلناه. قال أعين: فإنه يقول لك: أتطيب نفساً بقتلك وقتل بيتك
وعشيرتك ! والذي نفسي بيده لئن لم تأت لأدعن قومك وأهلك خاصة حديثاً للغابرين.
وكان الحجاج قد حمل أعين هذه الرسالة؛ فقال ابن الجارود: لولا أنك رسولٌ لقتلتك يا ابن

الخبيثة، وأمر فوجيء في عنقه، وأخرج. وأقبل ابن الجارود بالناس زحفاً نحو الحجاج،
وكان رأيهم أن يخرجوه عنهم ولا يقاتلوه. فلما صاروا إليه نهبوا ما في فسطاطه، وأخذوا
ما قدروا عليه من متاعه ودوابه، وجاء أهل اليمن فأخذوا امرأته ابنة النعمان بن بشير،
وجاءت مضر فأخذوا امرأته الأخرى أم سلمة بنت عبد الرحمن بن عمرو أخي سهيل بن
عمرو.
ثم إن القوم انصرفوا عن الحجاج وتركوه. فأتاه قومٌ من أهل البصرة فصاروا معه خوفاً من
محاربة الخليفة، فجعل الغضبان ابن القبعثري الشيباني يقول لابن الجارود: تعش بالجدي قبل
أن يتغدى بك. أما ترى من قد أتاه منكم ؟ ولئن أصبح ليكثرن ناصره، ولتضعفن
منتكم.
فقال: قد قرب المساء، ولكنا نعاجله بالغداة، وكان مع الحجاج عثمان بن قطن، وزياد بن
عمرو العتكي، وكان زياد على شرطته بالبصرة، فقال لهما: ما تريان ؟ فقال زياد: أرى أن
آخذ لك من القوم أماناً وتخرج حتى تلحق بأمير المؤمنين، فقد ارفض أكثر الناس عنك، ولا
أرى لك أن تقاتل بمن معك.
فقال عثمان بن قطن الحارثي: لكني لا أرى ذلك، إن أمير المؤمنين قد شركك في أمره،
وخلطك بنفسه، واستنصحك وسلطك، فسرت إلى ابن الزبير وهو أعظم الناس خطراً
فقتلته، فولاك الله شرف ذلك وسناءه، وولاك أمير المؤمنين العراقين، فحيث جريت إلى
المدى وأصبت الغرض الأقصى تخرج على قعودٍ إلى الشام، والله لئن فعلت لا نلت من عبد
الملك مثل الذي أنت فيه من السلطان أبداً، ولكني أرى أن نمشي بسيوفنا معك فنقاتل
حتى نلقى ظفراً أو نموت كراماً.
فقال له الحجاج: الرأي ما رأيت، وحفظ هذه لعثمان، وحقدها على زياد، وجاء عامر بن
مسمع إلى الحجاج فقال: إني قد أخذت لك أماناً من الناس، فجعل الحجاج يرفع صوته
ليسمع الناس ويقول: والله لا أؤمنهم أبداً حتى يأتوا بالهذيل وعبد الله بن حكيم. ومر
عباد بن الحصين الحبطي بابن الجارود وابن الهذيل وابن حكيم وهم يتناجون، فقال:

أشركونا في نجواكم. فقالوا: هيهات أن يدخل في نجوانا أحد من الحبط، فغضب وسار إلى
الحجاج في مائة رجل، فقال له الحجاج: ما أبالي من تخلف بعدك. وأتاه قتيبة بن مسلم في
قومه من بني أعصر، وكان الحجاج قد يئس من الحياة، فلما جاءه هؤلاء اطمأن، ثم جاءه
سبرة بن علي الكلابي، وسعيد بن أسلم بن زرعة، وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف
الأزدي، وأرسل إليه مسمع بن مالك بن مسمع يقول: إن شئت أتيتك، وإن شئت أقمت
وثبطت الناس عنك. فقال: أقم وثبط الناس عني.
فلما اجتمع للحجاج عددٌ يمنع بمثلهم خرج، وعبأ أصحابه، وتلاحق الناس به، فلما أصبح
إذا حوله ستة آلاف، فقال ابن الجارود لعبيد الله بن زياد بن ظبيان: ما الرأي ؟ قال:
تركت الرأي أمس حين قال لك الغضبان: تعش بالجدي قبل أن يتغدى بك. وقد ذهب
الرأى وبقي الصبر.
فحرض ابن الجارود الناس، وزحف بهم وعلى ميمنته الهذيل ابن عمران، وعلى ميسرته
عبيد الله بن زياد بن ظبيان، وتقدم الحجاج وعلى ميمنته قتيبة بن مسلم، ويقال عباد بن
الحصين، وعلى ميسرته سعيد بن أسلم، فحمل ابن الجارود في أصحابه حتى جاوز
أصحاب الحجاج، فعطف الحجاج عليه، ثم اقتتلوا ساعةً وعاد ابن الجارود بظفر، فأتاه
سهمٌ غربٌ فقتله، ونادى منادي الحجاج بأمان الناس إلا الهذيل وعبد الله بن حكيم، وأمر
ألا يتبع المنهزمون. فانهزم عبيد الله بن زياد بن ظبيان، فأتى سعيد ابن عباد الجلندي
الأزدي بعمان، فقيل لسعيد: إنه رجل فاتك فاحذره، فلما جاء البطيخ بعث إليه بنصف
بطيخة مسمومة، وقال: هذا أول شيء جاءنا منه، وقد أكلت نصف هذه، وبعثت إليك
بنصفها؛ فأكلها عبيد الله فأحس بالشر، فقال: أردت أن أقتله فقتلني.
قال: وحمل رأس ابن الجارود وثمانية عشر من وجوه أصحابه إلى المهلب، فنصبت ليراها
الخوارج وييأسوا من الاختلاف.
وحبس الحجاج عبيد بن كعب النميري ومحمد بن عميرين عطارد، فإنه كان قد بعث إلى

كلٍ منهما يقول: هلم إلي فامنعنين فقال: إن أتيتني منعتك. وحبس الغضبان وقال: أنت
القائل: تعش بالجدي قبل أن يتغدى بك ! فقال: ما نفعت من قيلت له ولا ضرت من قيلت
فيه ! فكتب عبد الملك إلى الحجاج بإطلاقه.
ما كلم به الحجاج أنس بن مالك رضي الله عنه وشكواه إياه وما كتب به عبد الملك
من الإنكار على الحجاج وسبه بسببه
قال: كان عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه ممن قتل مع ابن الجارود،
فلما دخل الحجاج البصرة أخذ ماله، فدخل عليه أنس بن مالك رضي الله عنه، فحين رآه
الحجاج قال له: لا مرحباً ولا أهلاً، إيه يا خبثة؛ شيخ ضلالةٍ، جوال في الفتن، مرةً مع أبي
تراب، ومرةً مع ابن الزبير، ومرةً مع ابن الجارود؛ أما والله لأجردنك جرد القضيب،
ولأعصبنك عصب السلمة، ولأفلعنك قلع الصمغة.
فقال أنس: من يعني الأمير ؟ فقال: إياك أعني، أصم الله صداك.
فرجع أنس، فكتب إلى عبد الملك كتاباً يشكو فيه الحجاج وما صنع به.
فكتب عبد الملك إلى الحجاج: أما بعد يا بن أم الحجاج فإنك عبدٌ طمت بك الأمور
فغلوت فيها حتى عدوت طورك، وتجاوزت قدرك، يا بن المستفرمة بعجم الزبيب لأغمزنك
غمزةً كبعض غمزات الليوث الثعالب، ولأخبطنك خبطةً تود لها لو أنك رجعت في مخرجك
من بطن أمك. أما تذكر حال آبائك بالطائف حيث كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم،
ويحفرون الآبار بأيديهم في أوديتهم ومياههم؛ أم نسيت حال آبائك في اللؤم والدناءة في المروءة
والخلق.
وقد بلغ أمير المؤمنين الذي كان منك إلى أنس بن مالك جرأة وإقداماً، وأظنك أردت أن
تسبر ما عند أمير المؤمنين في أمره فتعلم إنكاره ذلك وإضغاءه عنك، فإن سوغك ما كان
منك مضيت عليه قدماً، فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين، أصك الرجلين، ممسوح
الجاعرتين، ولولا أن أمير المؤمنين ظن أن الكاتب كثر في الكتابة عن الشيخ إلى أمير المؤمنين
فيك لأتاك من يسحبك ظهراً لبطنٍ حتى يأتي بك أنساً فيحكم فيك، فأكرم أنساً وأهل

بيته، واعرف له حقه وخدمته رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تقصرن في شيء من
حوائجه، ولا يبلغن أمير المؤمنين عنك خلاف ما تقدم فيه إليك من أمر أنس وبره وإكرامه،
فيبعث إليك من يضرب ظهرك، ويهتك سترك، ويشمت بك عدوك، والقه في منزله متنصلاً
إليه، وليكتب إلى أمير المؤمنين برضاه عنك، إن شاء الله. والسلام.
وبعث بالكتاب مع إسماعيل بن عبد الله مولى بني مخزوم، فأتى إسماعيل أنساً بكتاب عبد
الملك فقرأه، وأتى الحجاج بالكتاب فجعل يقرؤه ووجهه يتغير ويتمعر، وجبينه يرشح عرقاً،
ثم قال: يغفر الله لأمير المؤمنين.
ثم اجتمع بأنس فرحب به الحجاج، وأدناه، واعتذر إليه، وقال: أردت أن يعلم أهل العراق
إذ كان من ابنك ما كان وإذ بلغت منك ما بلغت أني إليهم بالعقوبة أسرع.
فقال أنس: ما شكوت حتى بلغ مني الجهد، وقد زعمت أنا الأشرار، وقد سمانا الله
الأنصار، وزعمت أنا أهل النفاق، ونحن الذين تبوءوا الدار والإيمان، وسيحكم الله بيننا
وبينك، فهو أقدر على التغيير، لا يشبه الحق عنده الباطل، ولا الصدق الكذب، وزعمت
أنك اتخذتني ذريعةً وسلماً إلى مساءة أهل العراق باستحلال ما حرم الله عليك مني، ولم
يكن لي عليك قوة، فوكلتك إلى الله ثم إلى أمير المؤمنين، فحفظ من حقي ما لم تحفظ،
فوالله لو أن النصارى على كفرهم رأوا رجلا خدم عيسى ابن مريم يوماً واحداً لعرفوا من
حقه ما لم تعرف أنت من حقي، وقد خدمت سول الله صلى الله عليه وسلم عشر
سنين. وبعد فإن رأينا خيراً حمدنا الله عليه، وأثنينا، وإن رأينا غير ذلك صبرنا. والله
المستعان.
ورد عليه الحجاج ما كان أخذ منه.
ولاية سعيد بن أسلم السند وقتله وولاية مجاعة بن سعرٍ التميمي ووفاته
وفي هذه السنة استعمل الحجاج على السند سعيد بن أسلم ابن زرعة، فخرج عليه
معاوية ومحمد ابنا الحارث العراقيان. فقتلاه وغلبا على البلاد، فأرسل الحجاج مجاعة بن

سعر التميمي إلى السند، فغلب على ذلك الثغر، وغزا وفتح أماكن من قندابيل، ومات
مجاعة بعد سنة بمكران. والله أعلم.
خبر الزنج
بالبصرة
قال: كان الزنج قد اجتمعوا بفرات البصرة في آخر أيام مصعب، ولم يكونوا بالكثير،
فأفسدوا. فلما ولي خالد بن عبد الله البصرة كثروا، فشكا الناس إليه ما ينالهم منهم،
فجمع لهم جيشاً، فلما بلغهم ذلك تفرقوا، وأخذ بعضهم فقتلهم وصلبهم، فلما كان من أمر
ابن الجارود ما ذكرناه اجتمع من الزنج خلقٌ كثير بالفرات، وجعلوا عليهم رجلاً منهم اسمه
رباح ويلقب شيرزنجي يعني أسد الزنج، فأفسدوا، فأمر الحجاج زياد بن عمرو وهو على
شرطة البصرة أن يرسل إليهم جيشاً، فندب ابنه حفص بن زياد فقتلوه، وهزموا أصحابه،
فسير إليهم جيشاً آخر فهزم الزنج وقتلهم، واستقامت البصرة.
وفي هذه السنة حج عبد الملك بالناس فخطب الناس بالمدينة، فقال بعد حمد الله والثناء
عليه:
أما بعد فإني لست بالخليفة المستضعف - يعني عثمان، ولا بالخليفة المداهن - يعني
معاوية، ولا بالخليفة المأفون - يعني يزيد، ألا وإني لا أداوي هذه الأمة إلا بالسيف حتى
تستقيم لي قناتكم، وإنكم تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين ولا تعملون مثل أعمالهم، وإنكم
تأمروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم، والله لا يأمرني أحدٌ بتقوى الله بعد مقامي
هذا إلا ضربت عنقه، ثم نزل.
سنة
الدنانير والدراهم الاسلامية
وفي هذه السنة ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم الإسلامية، وهو أول من
أحدث ضربها في الإسلام؛ وكان سبب ذلك أنه كتب في صدور الكتب إلى الروم: قل هو
الله أحد. وذكر النبي صلى الله عليه وسلم مع التاريخ. فكتب إليه ملك الروم: إنكم قد
أحدثتم هذا فاتر كوه، وإلا أتاكم في دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون.
فعظم ذلك على عبد الملك، واستشار خالد بن يزيد بن معاوية، فقال: حرم دنانيرهم،

واضرب للناس سكة فيها ذكر الله تعالى. فضرب الدنانير والدراهم ونقش عليها: قل هو
الله أحد. فكره الناس ذلك لمكان القرآن؛ لأن الجنب والحائض تمسها، ثم ضربها الحجاج.
وقد قيل: إن مصعب بن الزبير ضرب دراهم قليلة أيام أخيه عبد الله، ثم كسرت بعد
ذلك في أيام عبد الملك. والصحيح أن عبد الملك أول من ضرب الدنانير والدراهم في
الإسلام.
وفيها استعمل عبد الملك أبان بن عثمان على المدينة.
وفيها ولد مروان بن محمد بن مروان.
وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير المدينة، وكان على العرق الحجاج، وعلى خراسان أمية بن عبد الله، وعلى قضاء الكوفة شريح،
وعلى قضاء البصرة زرارة بن أوفى.
سنة سبع وسبعين
مقتل بكير بن وساج
وفي هذه السنة قتل أمية بن عبد الله أمير خراسان بكير بن وساج، وسبب ذلك أن أمية
أمر بكيراً أن يتجهز لغزو ما وراء النهر، فتجهز وأنفق نفقةً كبيرةً، فقال بحير بن ورقاء لأمية:
إن صار بينك وبينه النهر خلع الخليفة. فأرسل إليه أمية يقول: أقم لعلي أغزو فتكون
معي، فغضب بكير، وكان قبل ذلك قد ولاه طخارستان، وأنفق نفقةً عظيمة، فحذره بحير
منه فمنعه منها، ثم إن أمية تجهز للغزو إلى بخارى وتجهز معه الناس، وفيهم بكير بن
وساج، فلما بلغوا النهر وأرادوا قطعه قال أمية لبكير: إني قد استخلفت ابني على
خراسان وأخاف أنه لا يضبطها، لأنه غلام حدث، فارجع إلى مرو فاكفنيها، فقد وليتكها،
فقم بأمر ابني.
فانتخب بكير فرساناً كان قد عرفهم ووثق بهم، ورجع. ومضى أمية إلى بخارى فقال
عقاب الغداني لبكير: إنا طلبنا أميراً من قريش، فجاءنا أميرٌ يلعب بنا، يحولنا من سجن
إلى سجن، وإني أرى أن نحرق هذه السفن، ونمضي إلى مرو، ونخلع أمية ونقيم بمرو، نأكلها
إلى يوم ما، ووافقه الأحنف بن عبد الله العنبري على هذا، فقال بكير: أخاف أن يهلك
هؤلاء الفرسان الذين معي. قال: إن هلك هؤلاء أنا آتيك من أهل مرو بما شئت. قال:

يهلك المسلمون. قال: إنما يكفيك أن ينادي منادٍ: من أسلم رفعنا عنه الخراج، فيأتيك
خمسون ألفاً أسمع من هؤلاء وأطوع. قال: فيهلك أمية ومن معه. قال: ولم يهلكون ولهم
عددٌ وعدة ونجدة وسلاح ظاهر، ليقاتلوا عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين.
فأحرق بكير السفن، ورجع إلى مرو، فحبس ابن أمية وخلع أمية، وبلغ أمية الخبر، فصالح
أهل بخارى على فديةٍ قليلة، ورجع وأمر باتخاذ السفن، وعبر، وذكر للناس إحسانه إلى
بكير مرةً بعد أخرى، وأنه كافأه بالعصيان.

وسار إلى مرو، وأرسل شماس بن دثار في ثمانمائة، فسار بكير إليهم، فانهزم شماس، وأمر
أصحابه ألا يقتلوا منهم أحداً، فكانوا يأخذون سلاحهم ويطلقونهم. وقدم أمية فتلقاه
شماس، فقدم ثابت ابن قطبة فلقيه بكير فأسره، وفرق جمعه، ثم أطلقه ليدٍ كانت لثابت
عنده. وأقبل أمية وقاتله بكير فكان بينهم وقعات في أيامٍ، فانكشف أصحاب بكير في
بعضها، فاتبعه حريث بن قطبة حتى بلغ القنطرة وناداه إلى أين يا بكير ! فرجع فضربه
حريث على رأسه فقطع المغفر، وعض السيف برأسه فقطع فصرع، واحتمله أصحابه
فأدخلوه البلد.
وكان أصحاب بكير يغدون في الثياب المصبغة فيجلسون يتحدثون. وينادي مناديهم من
رمي بسهمٍ رمينا إليه برأس رجل من ولده وأهله، فلا يريهم أحد.
وخاف بكير إن طال الحصار أن يخذله الناس، فطلب الصلح؛ وأحب ذلك أيضاً أصحاب
أمية، فاصطلحوا على أن يقضي عنه أمية أربعمائة ألف، ويصل أصحابه ويوليه أي كور
خراسان شاء، ولا يسمع قول بحير فيه، وإن رابه ريبٌ فهو آمن أربعين يوماً.
ودخل أمية مدينة مرو، ووفى لبكير، وعاد إلى ما كان من الكرامة، وأعطى أمية عقاباً
عشرين ألفاً، وكان أمية سهلا ليناً سخياً، وكان مع ذلك ثقيلا على أهل خراسان، وكان
فيه زهد.
وعزل أمية بحيراً عن شرطته وولاها عطاء بن أبي السائب، وطالب أمية الناس بالخراج

واشتد عليهم، فجلس بكير في المسجد وعنده الناس، فذكروا شدة أمية فذموه وبحير،
وضرار بن حصن، وعبد العزيز بن جارية بن قدامة في المسجد، فنقل بحير ذلك إلى أمية
فكذبه، فادعى شهادة هؤلاء، فشهد مزاحم بن أبي المجشر السلمي أنه كان يمزح، فتركه
أمية، ثم إن بحيراً أتى أمية وقال: والله إن بكيراً قد دعاني إلى خلعك، وقال: لولا مكانك
لقتلت هذا القرشي، وأكلت خراسان. فلم يصدقه أمية، فاستشهد جماعةً ذكر بكيرٌ أنهم
أعداؤه. فقبض أمية على بكير وعلى ابني أخيه: بدل، وشمردل، ثم أمر بعض الرؤساء
بقتل بكير، فامتنعوا فأمر بحيراً بقتله فقتله، وقتل أمية ابني أخي بكير.
وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان.
وفيها مات جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري.
سنة ثمان وسبعون
في هذه السنة عزل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله عن خراسان وسجستان؛
وضمهما إلى أعمال الحجاج، فاستعمل الحجاج المهلب بن أبي صفرة على خراسان وعبيد
الله بن أبي بكرة على سجستان، فبعث المهلب ابنه حبيباً إلى خراسان، فلما ودع الحجاج
أعطاه بغلةً خضراء، فسار عليها وأصحابه على البريد، فوصل خراسان في عشرين يوما،
فلما دخل باب مرو لقيه حمل حطب، فنفرت البغلة فعجبوا من نفارها بعد ذلك التعب
وشدة السير، ولم يعرض لأمية ولا لعماله، وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب في سنة
تسع وسبعين.
وحج بالناس في هذه السنة. أبان بن عثمان، وكان العمال من ذكرنا، وعلى قضاء الكوفة
شريح، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس.
سنة تسع وسبعون
في هذه السنة استعفى شريح بن الحارث من القضاء فأعفاه الحجاج، واستعمل على
القضا، أبا بردة بن أبي موسى.
وحج بالناس أبان بن عثمان وهو أمير المدينة.
سنة ثمانون
في هذه السنة حج بالناس أبان بن عثمان، وفيها توفي أبو إدريس الخولاني، وعبد الله بن

جعفر بن أبي طالب. وقيل سنة أربع وثمانين، وقيل سنة خمس. وقيل سنة ست. وقيل
سنة تسعين. والله أعلم.
وفيها توفي محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وهو ابن الحنفية، ومات جماعةٌ
من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين.
مقتل بحير بن ورقاء
سنة واحد وثمانون
بشر القاتل بالقتل لأنه كان سبباً وباعثاً لقتل بكير بن وساج
في هذه السنة قتل بحير بن ورقاء الصريمي. وكان سبب قتله أنه لما قتل بكير بن وساج
وكلاهما كان تميميا - قال عثمان بن رجاء ابن جابر أحد بني عوف بن سعد من الأبناء،
والأبناء عدة بطون من تميم، يحرض بعض آل بكير من الأبناء على الطلب بثأره:
العمري لقد أغضيت عيناً على القذى وبتّ بطيناً من رحيق مروّق
وخلّيت ثأراً طلّ واخترت نومةً ومن شرب الصّهباء بالوتر يسبق
فلو كنت من عوف بن سعد ذؤابةً تركت بحيراً في دمٍ مترقرق
فقل لبحير نم ولا تخش ثائراً ببكر فعوف أهل شاءٍ حلبّق
دع الضّأن يوما قد سبقتم بوتركم وصرتم حديثاً بين غربٍ ومشرق
وهبّوا فلو أمسى بكير كعهده لغاداهمو زحفاً بجأواء فيلق
وقال أيضاً:
فلو كان بكرٌ بارزا في أداته وذي العرش لم يقدم عليه بحير
ففي الدهر إن أبقاني الدّهر مطلب وفي الله طلاّب بذاك جدير
فبلغ بحيراً أن رهط بكير من الأبناء يتوعدونه، فقال:
توعّدني الأبناء جهلاً كأنما يرون فنائي مقفراً من بني كعب
رفعت له كفّى بعضبٍ مهنّد حسامٍ كلون الملح ذي رونقٍ عضب
فتعاقد سبعة عشر من بني عوف على الطلب بدم بكير، فخرج فتىً منهم يقال له شمردل
من البادية حتى قدم خراسان، فرأى بحيراً واقفاً، فحمل عليه فطعنه فصرعه، وظن أنه
قتله، وركض، فعثر به فرسه فسقط عنه فقتل. وخرج صعصعة بن حرب العوفي من
البادية، ومضى إلى سجستان، فجاور قرابةً لبحير مدةً، وادعى أنه من بني حنيفة من

اليمامة، وأطال مجالستهم حتى أنسوا به، ثم قال لهم: إن لي بخراسان ميراثاً فاكتبوا لي إلى
بحير كتاباً ليعينني على حقي. فكتبوا له، وسار فقدم على بحي فأخبره أنه من من بني
حنيفة وأن له مالاً بسجستان وميراثا بمرو، وقدم ليبيعه ويعود إلى اليمامة. فأنزله بحير،
وأمر له بنفقة، ووعده المساعدة.
وكان بحير قد حذر، فلما قال له: إنه من بني حنيفة أمنه، وكان إذ ذاك في الغزو مع
المهلب. فقال له: أقيم معك حتى ترجع إلى مرو، فأقام شهراً يحضر معه باب المهلب، فجاء
صعصعة يوماً وبحير عند باب المهلب وعليه قميص ورداء، فقعد خلفه، ودنا منه كأنه
يكلمه، فوجأه بخنجر معه في خاصرته، فغيبه في جوفه، ونادى يا لثارات بكير ! فأخذ
وأتي به المهلب، فقال له: بؤساً لك ! ما أدركت بثأرك، وقتلت نفسك، وما على بحير بأس
! فقال: لقد طعنته طعنةً لو قسمت بين الناس لماتوا. ولقد وجدت ريح بطنه في يدي.
فحبسه المهلب، ومات بحير من الغد، فقال صعصعة: اصنعوا الآن ما شئتم، أليس قد
خلت خدور نساء بني عوف، وأدركت بثأري. والله لقد أمكنني منه ما صنعت. خالياً
غير مرة، فكرهت أن أقتله سراً.
فقال المهلب: ما رأيت رجلا أسخى نفساً بالموت من هذا، وأمر بقتله، فقتل.
وقيل: إنه بعثه إلى بحير قبل أن يموت فقتله، وغضبت عوف والأبناء وقالوا: علام قتل
صاحبنا، وإنما أخذ بثأره، فنازعتهم مقاعس والبطون، وكلهم بطون من تميم، حتى خاف
الناس أن يعظم الأمر، فقال أهل الحجا: احملوا دم صعصعة، واجعلوا دم بحير بواءً ببكير،
فودوا صعصعة، فقال رجل من الأبناء يمدح صعصعة:

لله درّ فتىً تجاوز همّه دون العراق مفاوزاً وبحورا
ما زال يدئب نفسه وركابه حتى تناول في الحزون بحيرا

ذكر خلاف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج وما كان بينهما من
الحروب
كان ابتداء خلافه على الحجاج في هذه السنة، واستمرت الوقائع التي نذكرها بينهما إلى
سنة ثلاث وثمانين، وقد رأينا أن نجمع أخباره بجملتها في هذا الموضع، ولا نقطعها بغيرها،

ونميز كل وقعةٍ منها بتاريخها.
وكان سبب خلافه أن الحجاج لما بعثه في الجنود إلى بلاد رتبيل في سنة ثمانين كما ذكرنا في
الغزوات، وملك ما ملك من من حصون رتبيل، واستولى على ما استولى عليه من بلاده،
وأقام، وكتب إلى الحجاج يعرفه أنه رأى التوغل في بلاد رتبيل حتى يعرفوا طرقها ويجبوا
خراجها.
فلما ورد كتابه على الحجاج كتب إليه: إن كتابك كتاب امريء يحب الهدنة، ويستريح إلى
الموادعة، فامض إلى ما أمرتك من الوغول في أرضهم، والهدم لحصونهم، وقتل مقاتلتهم،
وسبى ذراريهم، ثم أردفه كتاباً آخر بنحو ذلك، وفيه:
أما بعد فمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا ويقيموا بها، فإنها دارهم حتى يفتحها الله
عليهم.
ثم كتب إليه كتاباً ثالثاً كذلك، ويقول: إن مضيت إلى ما أمرتك وإلا فأخوك إسحاق بن
محمد أمير الناس. فدعا عبد الرحمن الناس وقال لهم: أيها الناس، إني لكم ناصح
ولصلاحكم محبٌ، ولكم في كل ما يحيط به نفعكم ناظر، وقد كان رأيي فيما بيني وبين
عدوي، مارضيه ذوو أحلامكم وأولو التجربة منكم، وكتبت بذلك إلى أميركم الحجاج،
فأتاني كتابه يعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في أرض العدو، وهي البلاد التي
هلك فيها إخوانكم بالأمس، وإنما أنا رجلٌ منكم أمضي إذا مضيتم، وآبى إذا أبيتم.
فثار إليه الناس وقالوا: بل، نأبى على عدو الله، ولا نسمع له ولا نطيع.
فكان أول من تكلم أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني، وله صحبة، فقال - بعد حمد الله:
أما بعد فإن الحجاج يرى بكم ما رأى القائل الأول إذ قال لأخيه: احمل عبدك على الفرس،
إن هلك هلك، وإن نجا فلك. إن الحجاج لا يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلايا كثيرة،
ويغشى بكم اللهوب واللصوب، فإن ظفرتم وغنمتم أكل البلاد وحاز المال، وكان ذلك زيادة
في سلطانه؛ وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذين لا يبالي عنتهم، ولا يبقى
عليهم، اخلعوا عدو الله الحجاج، وبايعوا الأمير عبد الرحمن، فإني أشهدكم أني أول خالع.

فنادى الناس من كل جانب: فعلنا فعلنا، قد خلعنا عدو الله.
وقام عبد المؤمن بن شبث بن ربعي ثانياً فتكلم، وندب الناس إلى مبايعة عبد الرحمن،
فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من العراق، ولم يذكر عبد الملك، فوثب الناس إلى عبد
الرحمن فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه وعلى النصرة له، فصالح عبد الرحمن رتبيل على أنه
إن ظهر فلا خراج على رتبيل أبداً، وإن هزم فأراده منعه.
ثم جعل عبد الرحمن على بست عياض بن هميان الشيباني وعلى زرنج عبد الله بن
عامر التميمي، وعلى كرمان خرشة بن عمرو التميمي، ورجع إلى العراق، وجعل على
مقدمته عطية بن عمرو العنبري.
فلما بلغ فارس اجتمع الناس بعضهم إلى بعض، وقالوا: إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك
فقد خلعنا عبد الملك، فاجتمعوا إلى عبد الرحمن، فكان أول الناس خلع عبد الملك
تيجان ابن أبجر بن تيم الله بن ثعلبة، قام فقال: أيها الناس، إني خلعت أبا ذبان كخلعي
خاتمي، فخلعه الناس إلا قليلا منهم، وبايعوا عبد الرحمن. وكانت بيعته يبايعون على كتاب
الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وعلى جهاد أهل الضلالة، وخلعهم، وجهاد المحلين.
فلما بلغ الحجاج خلعه كتب إلى عبد الملك بالخبر، ويسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه.
وسار الحجاج حتى بلغ البصرة.
ولما وصل كتاب الحجاج إلى عبد الملك هاله، ودعا خالد بن يزيد فأقرأه الكتاب، فقال: يا
أمير المؤمنين، إن كان هذا الحدث من سجستان فلا تخفه، وإن كان من خراسان فإني
أتخوف.
فجهز عبد الملك الجند على البريد، فكانوا يصلون من مائة ومن خمسين وأقل من ذلك
وأكثر، وسار الحجاج من البصرة إلى تستر، وقدم مقدمته إلى دجيل، فلقوا خيلاً لعبد
الرحمن، فانهزم أصحاب الحجاج بعد قتالٍ، وذلك يوم الأضحى سنة إحدى وثمانين، وقتل
منهم جمع كثير.
فلما أتى خبر الهزيمة إلى الحجاج رجع إلى البصرة وتبعه أصحاب عبد الرحمن، فقتلوا من
أصحابه وأصابوا بعض أثقالهم. وأقبل الحجاج حتى نزل الزاوية، وجمع عنده الطعام، وفرق

في الناس مائةً وخمسين ألف درهم، وأقبل عبد الرحمن حتى دخل البصرة فبايعه جميع
أهلها.
وكان السبب في سرعة إجابتهم إلى بيعته أن عمال الحجاج كتبوا إليه إن الخراج قد
انكسر، وإن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار.
فكتب إلى البصرة وغيرها: إن من كان له أصل في قريةٍ فليخرج إليها، فأخرج الناس لتؤخذ
منهم الجزية، فجعلوا يبكون وينادون: يا محمداه يا محمداه !
وجعل قراء البصرة يبكون.
فلما قدم ابن الأشعث إثر ذلك بايعوه على حرب الحجاج، وخلع عبد الملك؛ وخندق
الحجاج على نفسه، وخندق عبد الرحمن على البصرة، وكان دخوله البصرة في آخر ذي
الحجة.
ذكر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث وانهزام ابن الأشعث من البصرة إلى الكوفة
وفي المحرم سنة اثنتين وثمانين اقتتل عسكر الحجاج وعسكر ابن الأشعث قتالاً شديداً،
وكان بينهم عدة وقعات، فلما كان آخر يومٍ من المحرم اشتد القتال، فانهزم أصحاب الحجاج
حتى انتهوا إليه، وقاتلوا على خنادقهم، ثم تزاحفوا فتقوض أصحاب الحجاج، فجثا على
ركبتيه، وقال: لله در مصعب ! ما كان أكرمه حين نزل بن ما نزل، وعزم على أنه لا يفر.
فحمل سفيان بن الأبرد على ميمنة ابن الأشعث فهزمها، وانهزم أهل العراق، وأقبلوا نحو
الكوفة مع عبد الرحمن، وقتل منهم خلقٌ كثير، منهم: عقبة بن عبد الغافر الأزدي وجماعة
من القراء.
ولما بلغ ابن الأشعث الكوفة تبعه أهل القوة وأصحاب الخيل من البصرة، واجتمع من بقي
بالبصرة مع عبد الرحمن بن عباس ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فبايعوه، فقاتل
بهم الحجاج خمس ليال أشد قتال رآه الناس، ثم انصرف فلحق بابن الأشعث ومعه طائفة
من أهل البصرة، وهذه الوقعة تسمى وقعة الزاوية.
وقتل الحجاج في هذا اليوم بعد الهزيمة أحد عشر ألفاً خدعهم بالأمان، أمر منادياً فنادى:
الأمان لفلان وفلان، سمى رجالاً، فقال العامة: قد أمن الناس، فحضروا عنده، فأمر بهم
فقتلوا.

قال: وكان الحجاج عند مسيره من الكوفة إلى البصرة استعمل عليها عبد الرحمن بن عبد
الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي حليف بني أمية، فقصده مطر بن ناجية اليربوعي،
فتحصن منه ابن الحضرمي في القصر، فوثب أهل الكوفة مع مطر، فأخرج ابن الحضرمي
ومن معه من أهل الشام، وكانوا أربعة آلافٍ، واستولى مطر على القصر، واجتمع إليه
الناس، ففرق فيهم لكل إنسان مائتي درهم.
فلما وصل ابن الأشعث إلى الكوفة كان مطر بالقصر، فخرج أهل الكوفة يستقبلونه، فدخل
الكوفة، وقد سبق إليه همدان فكانوا حوله، فأتى القصر فمنعه مطر بن ناجية ومن معه من
بني تميم، فأصعد عبد الرحمن الناس في السلاليم إلى القصر فأخذوه، وأتى عبد الرحمن
بمطر فحبسه ثم أطلقه.
وقعة دير الجماجم
وانهزام أصحاب ابن الأشعث وعود الحجاج إلى الكوفة
كانت وقعة دير الجماجم في شعبان سنة اثنتين وثمانين، وقيل: كانت في سنة ثلاث وثمانين.
والذي يقول: إنها في سنة ثلاث يقول: كان نزولهم بدير الجماجم لليلةٍ مضت من شهر ربيع
الأول سنة ثلاث وثمانين، والهزيمة لأربع عشرة ليلة مضت من جمادى الآخرة منها، فكانت
مائة يوم وثلاثة أيام. والله أعلم.
وكان سبب هذه الوقعة أن الحجاج سار من البصرة إلى الكوفة لقتال عبد الرحمن بن
الأشعث، ونزل دير قرة، وخرج عبد الرحمن من الكوفة فنزل دير الجماجم، واجتمع لعبد
الرحمن أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالح والقراء، وكانوا مائة ألفٍ ممن يأخذ
العطاء ومعهم مثلهم، وجاءت الحجاج أمداد الشام قبل نزوله بدير قرة، وخندق كلٌ منهما
على نفسه، وكان الناس يقتتلون كل يوم، ولا يزال أحدهما يدني خندقه من الآخر.
فبعث عبد الملك ابنه عبد الله وأخاه محمد بن مروان - وكان محمد بأرض الموصل – في
جندٍ كثيف إلى الحجاج، وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزل الحجاج، وأن يجري
عليهم أعطياتهم، كما يجري على أهل الشام، وأن ينزل عبد الرحمن بن الأشعث أي بلد

شاء من العراق، فإذا نزل كان والياً عليها ما دام حيا، وعبد الملك خليفة. فإن أجاب
أهل العراق إلى ذلك عزلا الحجاج عنهم، وصار محمد بن مروان أمير العراق، وإن أبى أهل
العراق ذلك فالحجاج أمير الجماعة ووالي القتال، ومحمد وعبد الله في طاعته، فلم يأت
الحجاج أمرٌ قط كان أشد عليه ولا أوجع لقلبه منه، وخشى أن يقبل أهل العراق عزله
فيعزل عنهم، فكتب إلى عبد الملك: والله لو أعطيت أهل العراق عزلي لم يلبثوا إلا قليلا
حتى يخالفوك ويسيروا إليك، ولا يزيدهم ذلك إلا جراءةً عليك، ألم تر ويبلغك وثوب أهل
العراق مع الأشتر على عثمان ابن عفان وسؤالهم نزع سعيد بن العاص، فلما نزعه لم تتم
لهم السنة حتى ساروا إلى عثمان فقتلوه؛ وإن الحديد بالحديد يفلح.
فأبى عبد الملك إلا عرض عزله على أهل العراق، وقال: عزله أيسر من حرب أهل العراق،
ويحقن الدماء.
فخرج عبد الله بن عبد الملك وقال: يأهل العراق، أنا ابن أمير المؤمنين، وهو يعطيكم كذا
وكذا.
وخرج محمد بن مروان، وقال: أنا رسول أمير المؤمنين، وهو يعرض عليكم كذا وكذا.
فقالوا: نرجع للعشية. ورجعوا، واجتمعوا عند ابن الأشعث، فقال لهم: قد أعطيتم أمراً
انتهازكم إياه اليوم فرصة، وإنكم اليوم على النصف؛ فإن كانوا اعتدوا عليكم بيوم الزاوية
فأنتم تعتدون عليهم بيوم تستر، فاقبلوا ما عرض عليكم، وأنتم أعزاء أقوياء.
فوثبوا وقالوا: لا والله لا نقبل. وأعادوا خلع عبد الملك ثانياً؛ وكان أول من قام بخلعه بدير
الجماجم عبد الله بن ذؤاب السلمي وعمير بن تيحان، وكان اجتماعهم على خلعه
بالجماجم أجمع من الخلع بفارس.
فقال عبد الله ومحمدٌ للحجاج: شأنك بعسكرك وجندك، واعمل برأيك، فإنا قد أمرنا أن
نسمع لك ونطيع، وكانا يسلمان عليه بالإمرة ويسلم عليهما بالإمرة.
قال: ولما اجتمع أهل العراق على خلع عبد الملك قال ابن الأشعث: ألا إن بني مروان

يعيرون بالزرقاء، والله ما لهم نسب أصح منه، إلا أن بني العاص أعلاج من أهل صفورية،
فإن يكن هذا الأمر في قريش فعنى تقوبت بيضة قريش، وإن يك في العرب فأنا ابن
الأشعث، ومد بها صوته حتى سمعه الناس.
وبرزوا للقتال، فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبي، وعلى ميسرته
عمارة بن تميم اللخمين وعلى خيله سفيان ابن الأبرد الكلبي، وعلى رجاله عبد الله بن
حبيب الحكمي، وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجاج بن جارية الخثعمي، وعلى
ميسرته الأبرد بن قرة التميمي، وعلى خيله عبد الرحمن ابن العباس بن ربيعة الهاشمي،
وعلى رجاله محمد بن سعد ابن أي وقاص، وعلى مجنبته عبد الله بن رزام الحارثي،
وجعل على القراء زحر بن قيس الجعفي، وفيهم سعيد بن جبير بن هشام الشعبي، واسمه
عامر بن شراحيل، وأبو البختري الطائي، وعبد الرحمن ابن أبي ليلى.
وأخذوا في القتال في كل يوم، وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة وسوادها، وهم في
خصبٍ. وأهل الشام في ضيق شديد، قد غلت عندهم الأسعار، وفقدً اللحم، حتى
كأنهم في حصارٍ، وهم على ذلك يغادون القتال ويراوحون.
فعبأ الحجاج في بعض الأيام لكتيبة القراء ثلاث كتائب، وبعث عليها الجراح بن عبد الله
الحكمي؛ فقام جبلة بن زحر في القراء، وحرضهم على القتال، وذم أهل الشام، وسماهم
المحلين المحدثين المبتدعين الذين جهلوا الحق فلا يعرفونه، وعملوا بالعدوان فلا ينكرونه في كلام
كثير قاله. وقال أبو البختري: أيها الناس، قاتلوهم على دينكم ودنياكم.
وقال الشعبي: أيها الناس قاتلوهم قاتلوهم ولا يأخذكم حرج سن قتالهم: فوالله ما أعلم
على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجور في حكم منهم.
وقال سعيد بن جبير نحو ذلك.
وقال جبلة: احملوا حملةً صادقةً ولا تردوا وجوهكم عنهم.
فحملوا عليهم فأزالوا الكتائب عن مواقفها وفرقوها وتقدموا حتى واقعوا صفهم، فأزالوه
عن مكانه؛ ثم رجعوا فوجدوا جبلة بن زحر قتيلا.
وكان سبب قتله أن أصحابه لما حملوا على أهل الشام وفرقوهم وقف لأصحابه ليرجعوا

إليه، فافترقت فرقة من أهل الشام، فنظروا إليه، فقال بعضهم لبعض: احملوا عليه ما دام
أصحابه مشاغيل بالقتال، فحملوا عليه فلم يزل، وحمل عليهم فقتل؛ قتله الوليد ابن نحيت
الكلبي، وجيء برأسه إلى الحجاج، فبشر أصحابه بقتله، فلما رجع أصحاب جبلة ورأوه
قتيلاً سقط في أيديهم، وظهر الفشل في القراء وناداهم أهل الشام: يا أعداء الله، قد هلكتم
وقتل طاغيتكم - وقدم عليهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني، ففرحوا به، وقالوا:
تقوم مقام جبلة، وكان قدومه من الري، فجعله عبد الرحمن على ربيعة، فدخل عسكر
الحجاج، فأخذ من نساء أصحابه ثلاثين امرأةً فأطلقهن، فقال الحجاج: منعوا نساءهم لو لم
يردوهن لسبيت نساءهم إذا ظهرت عليهم.
قال: وخرج عبد الله بن رزام الحارثي يطلب المبارزة، فخرج إليه رجل من عسكر الحجاج
فقتله عبد الله، فعل ذلك ثلاثة أيام. فلما كان في اليوم الرابع خرج فقالوا: جاء لا جاء الله
به ! فقال الحجاج للجراح: اخرج إليه. فخرج، فقال له عبد الله: ما جاء به ؟ ويحك يا
جراح ! وكان له صديقاً. فقال: ابتليت بك. قال: فهل لك في خير ؟ قال الجراح: ما هو
؟ قال: أنهزم لك فترجع إلى الحجاج وقد أحسنت عنده وحمدك، وأحتمل أنا مقالة الناس
في انهزامي حباً لسلامتك، فإني لا أحب قتل مثلك من قومي. قال: افعل.
فحمل الجراح عليه فاستطرد له، وحمل عليه الجراح بجد يريد قتله، فصاح بعبد الله غلامه
وقال: إن الرجل يريد قتلك. فعطف عبد الله على الجراح فضربه بعمودٍ على رأسه
فصرعه، وقال له: يا جراح، بئسما جزيتني ! أردت بك العافية، وأردت قتلي. انطلق فقد
تركتك للقرابة والعشيرة.
قال: ودام القتال بينهم بدير الجماجم إلى آخر المدة التي ذكرناها، فلما كان يوم الهزيمة اقتتلوا
أشد قتال، واستظهر أصحاب عبد الرحمن على أصحاب الحجاج، واستعلواً عليهم، وهم
آمنون أن ينهزموا، فبينما هم كذلك إذ حمل سفيان بن الأبرد وهو على ميمنة الحجاج على
الأبرد بن قرة التميمي، وهو على ميسرة ابن الأشعث، فانهزم الأبرد بالناس من غير قتالٍ،

فظن الناس أن الأبرد قد صولح على أن ينهزم بالناس، فلما انهزم تقوضت الصفوف، وركب
الناس بعضهم بعضا، وصعد عبد الرحمن بن محمد المنبر ينادي الناس: إلى عباد الله؛
فاجتمع إليه جماعة، فثبت حتى دنا أهل الشام، فقاتل من معه، ودخل أهل الشام العسكر،
فأتاه عبد الله بن يزيد بن المغفل الأزدي، فقال له: انزل، فإني أخاف عليك أن تؤسر، ولعلك
إذا انصرفت أن يجتمع لك جمعٌ يهلكهم الله به.
فنزل وانهزم هو ومن معه لا يلوون على شيء. ودخل الحجاج الكوفة، وعاد محمد بن
مروان إلى الموصل، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام، وأخذ الحجاج يبايع الناس، وكان لا
يبايع أحدا إلا قال له: أتشهد أنك كفرت، فإن قال نعم بايعه، وإلا قتله. فأتاه رجل من
خثعم كان قد اعتزل الناس جميعاً، فسأله عن حاله فأخبره باعتزاله، فقال له: أنت متربص،
أتشهد أنك كافر ! فقال: بئس الرجل أنا إذاً؛ أعبد الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي
بالكفر.
قال: إذاً أقتلك، قال: وإن قتلتني، فقتله. فما بقي أحدٌ من أهل الشام والعراق إلا رحمه.
وقتل كميل بن زياد وكان خصيصاً بعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وأتي بآخر
بعده، فقال الحجاج: أرى رجلا ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر، فقال له الرجل: أتخادعني
عن نفسي، أنا أكفر أهل الأرض وأكفر من فرعون. فضحك الحجاج وخلى سبيله.
قال: وأقام الحجاج بالكوفة شهراً، وأنزل أهل الشام بيوت أهل الكوفة مع أهلها، وهو أول
من أنزل الجند في بيوت غيرهم، واستمرت هذه القاعدة بعده.
قال: وكان الحجاج لما انهزم الناس أمر منادياً فنادى: من لحق بقتيبة بن مسلم فهو أمانه.
وكان قد ولاه الري، فلحق به ناسٌ كثير منهم الشعبي، فذكره الحجاج يوماً بعد الفراغ من أمر
ابن الأشعث، فقيل له: إنه لحق بقتيبة بالري؛ فكتب إلى قتيبة يأمره بإرساله.
قال الشعبي: فلما قدمت على الحجاج لقيت يزيد بن أبي مسلم وكان صديقاً لي، فقال:
اعتذر مهما استطعت. وأشار بمثل ذلك إخواني ونصحائي.
فلما دخلت على الحجاج رأيت غير ما ذكروا، فسلمت عليه بالإمرة، وقلت: أيها الأمير،

إن الناس قد أمروني أن أعتذر بما يعلم الله أنه غير الحق، وايم الله لا أقول في هذا المقام إلا
الحق: قد والله تمردنا عليك وحرضنا عليك، وجهدنا، فما كنا بالأقوياء الفجرة ولا بالأتقياء
البررة، ولقد نصرك الله علينا، وأظفرك بنا، فإن سطوت فبذنوبنا، وما جرت إليه أيدينا،
وإن عفوت عنا فبحلمك. وبعد فالحجة لك علينا.
فقال الحجاج: أنت والله أحب إلي قولاً ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول: ما
قلت ولا شهدت، قد أمنت يا شعبي. كيف وجدت الناس بعدنا، فقلت: أصلح الله
الأمير، اكتحلت بعدك السهر، واستوعرت الجناب، وفقدت صالح الإخوان، ولم أجد من
الأمير خلفاً. قال: انصرف يا شعبي. فانصرفت.
نعود إلى بقية أخبار عبد الرحمن بن الأشعث:
الوقعة بمسكن
قال: ولما انهزم عبد الرحمن من دير الجماجم أتى البصرة، فاجتمع إليه من المنهزمين جمعٌ
كثير، فاجتمعوا بمسكن، وبايعوه على الموت، وخندق عبد الرحمن على أصحابه، وجعل
القتال من وجه واحد، وقدم إليه خالد بن جرير بن عبد الله من خراسان، وأتاه الحجاج،
فاقتتلوا خمسة عشر يوماً من شعبان أشد قتال، وبات الحجاج يحرض أصحابه، فلما
أصبحوا باكروا القتال، واشتدت الحرب، فانهزم ابن الأشعث ومن معه، وقتل عبد الرحمن
بن أبي ليلى الفقيه، وأبو البختري الطائي، ومشى بسطام من مصلة بن هبيرة في أربعة آلاف
فارس من شجعان أهل الكوفة والبصرة، وكسروا جفون سيوفهم، وحملوا على أهل الشام،
فكشفوهم مراراً، فدعا الحجاج الرماة فرموهم، وأحاط بهم الناس، فقتلوهم إلا قليلاً.
ومضى ابن الأشعث إلى سجستان.
وقد قيل في هزيمة ابن الأشعث بمسكن أنه اجتمع هو والحجاج، وكان العسكران بين
دجلة والسيب والكرخ، فاقتتلوا شهراً أو دونه، فأتى شيخ فدل الحجاج على طريقٍ من
وراء الكرخ في أجمة وضحضاح من الماء، فأرسل معهم أربعة آلاف، فسار بهم، ثم قاتل
الحجاج أصحاب عبد الرحمن، فانهزم الحجاج فعبر السيب، ورجع ابن الأشعث إلى

عسكره آمناً بعد أن نهب عسكر الحجاج، فأمن أصحابه، وألقوا السلاح. فلما كان نصف
الليل لم يشعروا إلا وقد أخذهم السيف من تلك السرية، فغرق من أصحاب عبد الرحمن
أكثر ممن قتل، ورجع الحجاج على الصوت يقتل من وجد، فكان عدة من قتل أربعة آلاف،
منهم عبد الله بن شداد ابن الهاد، وبسطام بن مصقلة، وعمر بن ضبيعة الرقاشي، وبشر
ابن المنذر بن الجارود، وغيرهم.
ذكر مسير عبد الرحمن إلى رتبيل وما كان من أمره وأمر أصحابه
قال: ولما انهزم عبد الرحمن من مسكن سار إلى سجستان فأتبعه الحجاج ابنه محمداً
وعمارة بن تميم اللخمي، وعمارة على الجيش، فأدركه عمارة بالسوس، فقاتله ساعةً، ثم
انهزم عبد الرحمن ومن معه، وساروا حتى بلغوا نيسابور، واجتمع إليه الأكراد، فقاتلهم
عمارة قتالاً شديداً على العقبة، فجرح عمارة وكثيرٌ من أصحابه، فانهزم عمارة وترك لهم
العقبة، وسار عبد الرحمن حتى أتى كرمان وعمارة يتبعه، فلما وصل عبد الرحمن إليها
لقيه عامله وقد هيأ له منزلاً، فنزل. ثم رحل إلى سجستان فأتى زرنج وفيها عامله فأغلق
بابها. ومنع عبد الرحمن من دخولها، فأقام عليها أياماً ليفتحها فلم يصل إلى ذلك، فسار
إلى بست، وكان قد استعمل عليها عياض بن هميان بن هشام السدوسي الشيباني.
فاستقبله فأنزله. فلما غفل عنه أصحابه قبض عليه عياض، وأوثقه، وأراد أن يأمن به عند
الحجاج.
وكان رتبيل ملك الترك قد سمع بمدم عبد الرحمن، فسار إليه ليستقبله لما كان قد تقرر
بينهما من العهود والمواثيق كما تقدم.
فلما بلغه أن عياضا قد قبض عليه نزل على بست، وبعث إلى عياض يتهدده بالقتل إن هو
لم يطلقه، فاستأمنه عياض، وأطلق عبد الرحمن، ثم سار عبد الرحمن مع رتبيل إلى بلاده،
فأنزله وأكرمه وعظمه، وكان ناسٌ كثير من أصحاب عبد الرحمن ممن انهزم من الرءوس وقادة
الجيوش الذين لم يقبلوا أمان الحجاج، ونصبوا له العداوة في كل موطنٍ قد بعثوا يستدعونه
ويخبرونه أنهم على قصد خراسان ليقووا بمن بها من عشائرهم، فأتاهم ابن الأشعث.

وكان عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب يصلي بهم إلى أن قدم
ابن الأشعث. فلما قدم عليهم ساروا كلهم ففتحوا زرنج، وسار نحوهم عمارة بن تميم في
أهل الشام؛ فقال أصحاب عبد الرحمن له: اخرج بنا عن سجستان إلى خراسان. فقال:
إن بها يزيد بن المهلب، وهو رجلٌ شجاع، ولا يترك لكم سلطانه، ولو دخلناها لقاتلنا
وتتبعنا أهل الشام، فيجتمع علينا أهل خراسان وأهل الشام. فقالوا: لو دخلنا خراسان
لكان من يتبعنا أكثر ممن يقاتلنا. فسار معهم حتى بلغوا هراة، فهرب من أصحابه عبيد
الله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشي في ألفين. فقال لهم عبد الرحمن: إني كنت في مأمن
وملجأ، فجاءتني كتبكم أن أقبل، فإن أمرنا واحد، فلعلنا نقاتل عدونا. فأتيتكم فرأيتم أن
أمضي إلى خراسان، وزعمتم أنكم مجتمعون لي ولا تتفرقون، وهذا عبيد الله قد صنع ما
رأيتم، فاصنعوا ما بدا لكم، أما أنا فمنصرفٌ إلى صاحبي الذي أتيت من عنده.
فتفرق منهم طائفةٌ وبقي معه طائفة، وبقي عظم العسكر مع عبد الرحمن بن العباس
فبايعوه، فأتوا هراة، فلقوا بها الرقاد الأزدي فقتلوه، فسار إليهم يزيد بن المهلب.
وقيل: لما انهزم ابن الأشعث من مسكن أتى عبيد الله بن عبد الرحمن ابن سمرة هراة،
وأتى عبد الرحمن بن عباس سجستان، فاجتمع معه فل ابن الأشعث، فساروا إلى
خراسان في عشرين ألفاً، فنزل هراة، ولقى الرقاد بن عبيد العتكي بها فقتلوه، فأرسل إليه
يزيد بن المهلب وهو عامل خراسان يقول: قد كان لك في البلاد متسع، من هو أهون مني
شوكة؛ فارتحل إلى بلد ليس لي فيه سلطان، فإني أكره قتالك، وإن أردت مالاً أرسلت
إليك. فأعاد الجواب: إنا ما نزلنا لمحاربةٍ ولا لمقام، ولكن أردنا أن نريح، ثم نرحل عنك،
وليست بنا إلى المال حاجة.
ثم أقبل عبد الرحمن بن العباس على الجباية، وبلغ ذلك يزيد ابن المهلب، فقال: من أراد أن
يريح ثم يرحل لم يجب الخراج، وسار نحوه، وأعاد مراسلته يقول: إنك قد أرحت وسمنت

وجبيت الخراج، فلك ما جبيت وزيادة، فاخرج عني، فإني أكره قتالك، فأبى إلا القتال.
وكاتب جند يزيد يستميلهم ويدعوهم إلى نفسه، فعلم يزيد بذلك، فقال: جل الأمر عن
العتاب، ثم تقدم إليه فقاتله، فلم يكن بينهما كثير قتال، حتى تفرق أصحاب عبد الرحمن
عنه، وصبر وصبرت معه طائفةٌ، ثم انهزموا.
وأمر يزيد أصحابه بالكف عن اتباعهم، وأخذ ما كان في عسكرهم، وأسروا منهم
أسرى، منهم محمد بن سعد بن أبي وقاص، وعمر ابن موسى بن عبيد الله بن معمر،
وعياش بن الأسود بن عوف الزهري، والهلقام بن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة،
وفيروز ابن حصين، وأبو العلج مولى عبيد الله بن معمر، وسوار ابن مروان، وعبد الرحمن
بن طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، وعبد الله بن فضالة الزهراني الأزدي، ولحق
عبد الرحمن بن العباس بالسند، وأتى ابن سمرة مرو، وانصرف يزيد بن المهلب إلى مرو،
وبعث الأسرى إلى الحجاج مع سبرة بن نجدة إلا عبد الرحمن ابن طلحة فإنه أطلقه.
وكان سبب إطلاقه أن حبيب بن المهلب قال لأخيه يزيد لما أراد أن يسير الأسرى: بأي
وجه تنظر إلى اليمانية، وقد بعثت عبد الرحمن ابن طلحة ؟ فقال يزيد: إنه الحجاج، فلا
تتعرض إليه. قال: وطن نفسك على العزل، ولا ترسل به، فإن له عندنا يداً. قال: وما هي
؟ قال: ألزم المهلب في مسجد الجماعة بمائة ألف، فأداها طلحة عنه، فأطلقه يزيد، ولم
يرسل أيضاً عبد الله بن فضالة لأنه من الأزد، وأرسل الباقين.
فلما قدموا على الحجاج أحضر فيروز، فقال له الحجاج: أبا عثمان، ما أخرجك مع هؤلاء
؟ فوالله ما لحمك من لحومهم، ولا دمك من دمائهم. قال: فتنةٌ عمت الناس. قال: اكتب
لي أموالك. قال: اكتب يا غلام ألف ألف وألفي ألف، فذكر مالاً كثيراً. فقال الحجاج: أين
هذه الأموال ؟ فقال: عندي. قال: فأدها. قال: وأنا آمنٌ على دمي ؟ قال: والله لتؤدينها
ثم لأقتلنك. قال: والله لا يجتمع دمي ومالي. فأمر به فنحى، ثم أحضر محمد ابن سعد بن
أبي وقاص، فقال: يا ظل الشيطان، أعظم الناس تيها وكبراً، تأبى بيعة يزيد بن معاوية

وتتشبه بالحسين وابن عمر، ثم صرت مؤذناً. وجعل يضرب رأسه بعمود في يده حتى
أدماه، ثم أمر به فقتل.
ثم دعا بعمر بن موسى، فقال: يا عبد المرأة، تقوم بالعمود على رأس ابن الحائط - يعني
ابن الأشعث وتشرب معه في الحمام. فقال: أصلح الله الأمير، كانت فتنة شملت البر
والفاجر، فدخلنا فيها، وقد أمكنك الله منا، فإن عفوت فبفضلك وحلمك، وإن عاقبت
عاقبت ظلمةً مذنبين.
فقال الحجاج: إنها شملت الفجار، وعوفي منها الأبرار، أما اعترافك فعسى أن ينفعك،
فرجا الناس السلامة. ثم أمر به فقتل.
ثم دعا بالهلقام بن نعيم، فقال له: احسب أن ابن الأشعث طلب ما طلب، ما الذي أملت
أنت معه! قال: أملت أن يملك فيوليني العراق كما ولاك عبد الملك إياه، فأمر به فقتل.
ودعا عبد الله بن عامر، فلما أتاه قال له: يا حجاج، لا رأت عينك الجنة إن أفلت ابن
المهلب بما صنع، قال: وما صنع ؟ قال:
لأنه كاس في إطلاق أسرته وقاد نحوك في أغلالها مضرا
وقي بقومك ورد الموت أسرته وكان قومك أدنى عنده خطرا
فأطرق الحجاج، ووقرت في قلبه، وقال: ما أنت وذاك ؟ ثم أمر به فقتل.
ثم أمر بفيروز فعذب، فلما أحس بالموت قال للموكلٍ بعذابه: إن الناس لا يكشون أني قد
قتلت، ولودائع وأموالٌ عند الناس لا تؤدى إليكم أبدا؛ فأظهرني للناس ليعلموا أني حي،
فيؤدوا المال.
فأعلم الحجاج بقوله، فقال: أظهروه، فأخرج إلى باب المدينة، فصاح في الناس: من عرفني
فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا فيروز بن حصين، إن لي عند أقوامٍ مالا، فمن كان لي عنده
شيءٍ فهوله، وهو منه في حل، فلا يؤد أحد درهما، ليبلغ الشاهد الغائب، فأمر به الحجاج
فقتل.
وأمر بقتل عمر بن قرة الكندي، وكان شريفاً، وقتل أعشى همدن، وأتى بأسيرين فأمر
بقتلهما، فقال أحدهما، إن لي عندك يداً. قال: وما هي ؟ قال: ذكر عبد الرحمن يوماً أمك

بسوءٍ فنهيته. قال: من يعلم ذلك ؟ قال: هذا الأسير الآخر. فسأله الحجاج فصدقه.
فقال له الحجاج: فلم لم تفعل كما فعل ؟ قال: وينفعني الصدق عندك ؟ قال: نعم. قال:
منعني البغض لك ولقومك. قال: خلوا عن هذا لفعله. وعن هذا لصدقه.
وأما ابن الأشعث فإنه سار إلى رتبيل، فأقام عنده، فكتب إليه الحجاج: أن ابعثه إلي وإلا
فوالذي لا إله غيره لأوطئن أرضك ألف ألف مقاتل، وكان مع عبد الرحمن رجل من تميم
اسمه عبيد ابن سبيع التميمي، وكان رسوله إلى رتبيل. فقال القاسم بن محمد ابن الأشعث
لأخيه عبد الرحمن: إني لا آمن غدر هذا التميمي فاقتله. فخافه عبيد على نفسه، فوشي
به إلى رتبيل، وخوفه الحجاج، ودعاه إلى الغدر بابن الأشعث، وقال له: أنا آخذ لك من
الحجاج عهداً ليكفن عن أرضك سبع سنين، على أن تدفع إليه عبد الرحمن، فأجابه إلى
ذلك.
فخرج عبيد إلى عمارة سراً فذكر ذلك له، فكتب عمارة إلى الحجاج بذلك، فأجابه إليه،
وبعث رتبيل برأس عبد الرحمن، وذلك في سنة خمس وثمانين.
وقيل: إن عبد الرحمن كان قد أصابه السل فمات فقطع رتبيل رأسه.
وقيل: إن رتبيل لما صالح عمارة بن تميم اللخمي عن ابن الأشعث كتب عمارة إلى الحجاج
بذلك، فأطلق له خراج بلاده عشر سنين، فأرسل رتبيل إلى عبد الرحمن وثلاثين من أهل
بيته، فحضروا عنده، فقيدهم وأرسلهم إلى عمارة، فألقى عبد الرحمن نفسه من سطح
قصرٍ فمات، فاحتز رأسه، وسيره إلى الحجاج، وسيره الحجاج إلى عبد الملك مع عرار بن
عمرو بن شأس، وكتب معه كتاباً، فجعل عبد الملك يقرأ كتاب الحجاج، فإذا شك في شيء
سأل عرارا عنه فيخبره به، وكان عرار أسود اللون، فعجب عبد الملك من بيانه وفصاحته
مع سواده، وهو لا يعرفه فتمثل:
وإن عراراً إن يكن غير واضح فإني أحبّ الجون ذا المنطق العمم
فضحك عرار، فقال له عبد الملك: مالك تضحك ؟ فقال: أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين

؟ قال: لا. قال: فأنا هو. فضحك عبد الملك ثم قال: حظ وافق حكمة. وأحسن
جائزته، وسرحه.
وروى أبو عمر بن عبد البر بسندٍ رفعه إلى العتبي عن أبيه، قال: كتب الحجاج إلى عبد
الملك كتاباً يصف له فيه أهل العراق وما ألفاهم عليه من الاختلاف وما يكرهه منهم،
وعرفه ما يحتاجون إليه من التقويم والتأديب، ويستأذنه أن يودع قلوبهم من الرهبة ما يخفون
به إلى الطاعة، ودعا رجلاً من أصحابه كان يأنس به، فقال له: انطلق بهذا الكتاب، ولا
يصلن من يدك إلا إلى يد أمير المؤمنين، فإذا قبضه فتكلم عليه.
ففعل الرجل ذلك، فجعل عبد الملك كلما شك في شيء يستفهمه، فوجده أبلغ من الكاتب،
فقال عبد الملك:
وإن عراراً إن يكن غير واضح ... البيت.
فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين، أتدري من يخاطبك ؟ قال: لا. قال: أنا عرار، وهذا
الشعر لأبي، وذلك أن أمي ماتت وأنا مرضع، فتزوج أبي امرأةً فكانت تسيء ولايتي، فقال
أبي:
فإن كنت مني أو تريدين صحبتي فكوني له كالشّمس ربّت به الأدم
وإلاّ فسيري سير راكب ناقةٍ تيمّم خبتاً ليس في سيره أمم
أرادت عراراً بالهوان ومن يرد عراراً لعمري بالهوان لقد ظلم
وإنّ عراراً إن يكن غير واضح فإنّي أحبّ الجون ذا المنطق العمم
ولما جيء بالرأس إلى عبد الملك أرسله إلى أخيه عبد العزيز بمصر، فقال بعض الشعراء:
هيهات موضع جثّةٍ من رأسها رأسٌ بمصر وجثّةٌ بالرخّج
وقيل: إن هلاك عبد الرحمن كان في سنة أربع وثمانين. ولنرجع إلى تتمة حوادث السنين:
سنة واحد وثمانون
حج بالناس سليمان بن عبد الملك.
سنة اثنان وثمانون
في هذه السنة كانت وفاة المغيرة بن المهلب بخراسان في شهر رجب منها، وكان أبوه قد
استخلفه على عمله.
وفاة المهلب بن أبي صفرة ووصيته لبنيه وولاية ابنه يزيد خراسان

وفي هذه السنة توفي المهلب بن أبي صفرة بمرو الروذ بالشوصة وقيل بالشوكة، وأوصى إلى
حبيب ابنه فصلى عليه، وقال لبنيه: إني قد استخلفت عليكم يزيد فلا تخالفوه. فقال ابنه
المفضل: لو لم تقدمه لقدمناه، وأحضر ولده فأوصاهم، وأحضر سهاما محزومة فقال:
أتكسرونها مجتمعةً ؟ قالوا: لا. قال: أفتكسرونها متفرقةً ؟ قالوا: نعم. قال: فهكذا
الجماعة. ثم قال: أوصيكم بتقوى الله، وصلة الرحم، فإنها تنسيء في الأجل وتثري المال،
وتكثر العدد؛ وأنهاكم عن القطيعة؛ فإنها تعقب النار والذلة والقلة، وعليكم بالطاعة
والجماعة، ولتكن فعالكم أفضل من مقالكم، واتقوا الجواب وزلة اللسان، فإن الرجل يزل
قدمه فينتعش، ويزل لسانه فيهلك، واعرفوا لمن يغشاكم حقه، فكفى بغدو الرجل ورواحه
إليكم تذكرةً له، وآثروا الجود على البخل، وأحبوا العرب، واصنعوا المعروف؛ فإن الرجل
من العرب تعده العدة فيموت دونك، فكيف بالصنيعة عنده ! وعليكم في الحرب بالتؤدة
والمكيدة، فإنهما أنفع من الشجاعة، وإذا كان اللقاء نزل القضاء، فإن أخذ الرجل بالحزم
فظفر قيل: أتى الأمر من وجهه فظفر فحمد، فإن لم يظفر بعد الأناة قيل: ما فرط ولا ضيع،
ولكن القضاء غالب. وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وآداب الصالحين، وإياكم وكثرة
الكلام في مجالسكم.
ومات رحمه الله. فكتب ابنه يزيد إلى الحجاج يعلمه بوفاته، فأقره على خراسان.
وفيها عزل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة في جمادى الآخرة، واستعمل عليها هشام
بن إسماعيل المخزومي.
وحج بالناس أبان بن عثمان.

سنة ثلاث وثمانون

ذكر خبر عمر بن أبي الصلت وخلعه الحجاج بالري وما كان من أمره

قال: لما ظفر الحجاج بابن الأشعث لحق خلقٌ كثير من المنهزمين بعمر بن أبي الصلت،
وكان قد غلب على الري في تلك الفتنة، فلما اجتمعوا بالري أرادوا أن يحظوا عند الحجاج
بأمرٍ يمحون به عن أنفسهم عثرة الجماجم، فأشاروا على عمر بخلعٍ الحجاج وقتيبة، فامتنع،

فوضعوا عليه أباه؛ أبا الصلت، وكان به باراً، فأشار بذلك عليه وألزمه به، وقال: يا بني،
إذا سار هؤلاء تحت لوائك لا أبالي أن تقتل غداً. ففعل. فلما قارب قتيبة الري استعد
لقتاله، فالتقوا، واقتتلوا، فغدر أصحاب عمر بن وأكثرهم من تميم، فانهزم ولحق بطبرستان،
فآواه الأصبهذ وأكرمه وأحسن نزله، فقال عمر لأبيه: إنك أمرتني بخلع الحجاج وقتيبة
فأطعتك وكان خلاف رأيي، ولم أحمد رأيك، وقد نزلنا بهذا الأصبهذ فدعني حتى أثب
إليه فأقتله. وأجلس على مملكته، فقد علمت الأعاجم أني أشرف منه. فقال أبوه: ما كن
لأفعل هذا برجلٍ أوانا وأكرمنا وأنزلنا. فقال عمر: أنت أعلم، وسترى.
ودخل قتيبة الري، وكتب إلى الحجاج بانهزام عمر إلى طبرستان، فكتب الحجاج إلى
الأصبهذ أن ابعث بهم أو برؤوسهم، وإلا فقد برئت منك الذمة، فصنع لهم الأصبهذ
طعاماً وأحضرهم، فقتل عمرن وبعث أباه أسيراً. وقيل: قتلهم وبعث برؤوسهم. والله
أعمل.
ذكر بناء مدينة واسط
وفيها بنى الحجاج مدينة واسط، وسبب ذلك أنه ضرب البعث على أهل الكوفة إلى
خراسان وعسكر بحمام عمر، وكان فتىً من أهل الكوفة حديث عهد بعرس بابنة عمٍ له،
فانصرف من العسكر إلى ابنة عمه، فطرق عليه الباب طرقاً شديداً، فإذا سكران من أهل
الشام، فقالت المرأة لبعلها: لقد لقينا من هذا الشامي شراً يفعل بنا كل ليلة ما ترى - يريد
المكروه، وقد شكوته إلى مشيخة أصحابه. فقال: ائذني له، فأذنت له. فلما دخل قتله
زوجها.
فلما أذن الفجر خرج إلى العسكر وقال لابنة عمه: إذا صليت الفجر فابعثي إلى الشاميين
ليأخذوا صاحبهم، فإذا أحضروك إلى الحجاج فاصدقيه الخبر على وجهه، ففعلت،
وأحضرت إلى الحجاج، فأخبرته فصدقها، وقال للشاميين: خذوا صاحبكم لا قود له ولا
عقل، فإنه قبيل الله إلى النار. ثم نادى منادٍ: لا ينزلن أحدٌ على أحدٍ، وبعث رواداً

يرتادون له منزلا، وأقبل حتى نزل بموضع واسط، وإذا راهبٌ قد أقبل على حمارٍ، فلما كان
بموضع واسط بال الحمار، فنزل الراهب فاحتفر ذلك البول ورماه في دجلة والحجاج ينظر
إليه، فاستحضره وقال له: ما حملك على ما صنعت ؟ قال: نجد في كتبنا أنه يبنى في هذا
الموضع مسجد يعبد الله فيه ما دام في الأرض أحد يوحد الله.
فاختط الحجاج مدينة واسط وبنى المسجد في ذلك الموضع.
وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل.
سنة أربع وثمانون
في هذه السنة قتل الحجاج أيوب بن القرية، وكان مع ابن الأشعث، فلما هزم التحق أيوب
بحوشب بن يزيد عامل الحجاج على الكوفة، فاستحضره الحجاج وقتله.
وحج بالناس هشام بن إسماعيل.
سنة خمس وثمانون
ذكر عزل يزيد بن المهلب عن خراسان وولاية أخيه المفضل
وفي هذه السنة عزل الحجاج يزيد بن المهلب عن خراسان، وكان سبب عزله أن الحجاج
وفد إلي عبد الملك فمر في طريقه براهبٍ، فقيل له: إن عنده علماً، فأحضره الحجاج،
وسأله: هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه ونحن ؟ قال: نعم. قال: فمسمىً أو موصوفاً ؟
قال: كل ذلك نجده موصوفاً بغير اسم ومسمىً بغير صفةٍ. قال: فما تجدون صفة أمير
المؤمنين ؟ قال: نجده في زماننا ملك أفرع من يقم لسبيله يصرع. قال: ثم من ؟ قال: اسم
رجل يقال له الوليد، ثم رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس. قال: أتعرفني ؟ قال: قد
أخبرت بك. قال: أفتعلم ما ألي ؟ قال: نعم. قال: أفتعلم من يلي بعدي ؟ قال: نعم،
رجل يقال له يزيد، قال: أفتعرف صفته ؟ قال: يغدر غدرة، لا أعرف غير هذا.
فوقع في نفسه أنه يزيد بن المهلب، ثم سار وهو وجل من قول الراهب. فلما عاد كتب إلى
عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب، ويخبره أنهم زبيرية.
فكتب إليه عبد الملك: إني أرى طاعتهم لآل الزبير نقصاً لآل المهلب؛ بل وفاؤهم لهم
يدعوهم إلى الوفاء لي.
فكتب إليه الحجاج يخوفه غدره.
فكتب إليه: إنك قد أكثرت في يزيد وآل المهلب فسم رجلاً يصلح لخراسان. فسمى له

قتيبة بن مسلم، فكتب إليه أن وله. فكره الحجاج أن يكتب إليه بعزله، فكتب إليه يأمره
أن يستخلف أخاه المفضل ويقبل إليه.
فاستشار يزيد حضين بن المنذر الرقاشي: فقال له: أقم واعتل، واكتب إلى أمير المؤمنين
ليقرك، فإنه حسن الرأيٍ فيك. فقال له يزيد: نحن أهلٌ ق بورك لنا في الطاعة، وأنا أكره
الخلاف. وأخذ يتجهز فأبطأ.
فكتب الحجاج إلى المفضل: إني قد وليتك خراسان، فجعل المفضل يستحث يزيد، فقال له
يزيد: إن الحجاج لا يقرك بعدي، وإنما دعاه إلى ما صنع مخافة أن أمتنع عليه، وستعلم.
وخرج يزيد في شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين، وأقر الحجاج أخاه المفضل تسعة أشهر،
ثم عزله، واستعمل قتيبة على ما نذكره، وسار يزيد بن المهلب فكان لا يمر ببلد إلا فرش
أهلها الرياحين.
ذكر أخبار موسى بن عبد الله بن خازم واستيلائه على ترمذ وما كان من حروبه مع
العرب والترك وخبر مقتله
كان موسى بن عبد الله قد استولى على ترمذ، وأخرج ترمذ شاه عنها، وسبب ذلك أن
أباه عبد الله لما قتل من قتل من بني تميم بخراسان كما تقدم ذكر ذلك في أثناء أخبار عبد
الله ابن الزبير تفرق عنه أكثر من كان معه منهم، فخرج إلى نيسابور، وخاف بني تميم على
ثقله بمرو، فقال لابنه موسى: خذ ثقلي واقطع نهر بلخ حتى تلتجيء إلى بعض الملوك أو إلى
حصن تكون فيه.
فرحل موسى عن مرو في عشرين ومائتي فارس، واجتمع إليه. تتمة أربعمائة، وانضوى إليه
قوم من بني سليم، فأتى زم، فقاتله أهلها، فظفر بهم، وأصاب مالاً، وقطع النهر. فأتى
بخارى فسأله صاحبها أن يلجأ إليه، فأبى وخافه. وقال: رجل فاتك فلا آمنه، ووصله،
وسار فلم يأت ملكا يلجأ إليه إلا كره مقامه عنده.
فأتى سمرقند، فأكرمه ملكها طرخون وأذن له في المقام بها، فأقام بها ما شاء الله. وكان
لأهل الصغد مائدة توضع في كل عام مرةً، عليها خبز ولحم وخل وإبريق شراب، يجعلون
ذلك لفارس الصغد فلا يقربه غيره، فإن أكل منه بارزه الفارس، فأيهما قتل صاحبه كانت

المائدة له، وكان الفارس المشار إليه، فرآها رجلٌ من أصحاب موسى، فقال: ما هذه ؟
فأخبر، فأكل ما عليها. وجاء الفارس مغضباً، فقال: يا أعرابي، بارزني، فبارزه فقتله
صاحب موسى، فقال ملك الصغد: أنزلتكم وأكرمتكم فقتلتم فارسي، فلولا أني أمنتك
وأصحابك لقتلتك، اخرجوا عن بلدي.
فخرجوا، فأتى موسى كش، فضعف صاحبها عنه، فاستنصر طرخون فأتاه، فقاتله
موسى وقد اجتمع معه سبعمائة فارس يوماً حتى أمسوا وتحاجزوا، ثم اتفقوا أن يرتحل
موسى عن كش؛ فسار فأتى ترمذ وبها حصنٌ يشرف على جانب النهر، فنزل موسى
خارج الحصن وسأل ترمذ شاه أن يدخله الحصن فأبى، فأهدى له موسى ولاطفه حتى
أنس به، وصارت بينهما مودة، وتصيد معه، وصنع صاحب ترمذ طعاماً، وأحضر موسى
ليأكل معه، وشرط ألا يحضر إلا في مائة من أصحابه، فاختار موسى مائة منهم، فدخلوا
الحصن وأكلوا، فلما فرغوا قال له ترمذشاه: اخرج. قال: لا أخرج حتى يكون الحصن بيتي
أو قبري، وقاتلهم فقتل منهم عدةً وهرب الباقون، واستولى موسى عليها، وأخرج ترمذشاه
منها، ولم يعرض له، ولا لأصحابه.
فأتوا الترك يستنصرونهم على موسى، فلم ينصروهم، وقالوا: لا نقاتل هؤلاء.
وأقام موسى بترمذ، وأتاه جمعٌ من أصحاب أبيه فقوي بهم، فكان يغير على ما حوله.
وولى بكير بن وساج خراسان فلم يعرض له، ثم قدم أمية، فسار يريده؛ فخالفه بكير،
فرجع على ما تقدم، ثم وجه أمية رجلاً من خزاعة في جمع كثير لقتال موسى، فجاء إلى
ترمذ وحصره، فعاد أهل ترمذ إلى الترك، واستنصروهم وأعلموهم أنه قد غزاه قومٌ من
العرب وحصروه، فسارت الترك في جمعٍ كثير إلى الخزاعي فأطاف بموسى العرب والترك،
فكان يقاتل الخزاعي أول النهار والترك آخر النهار، فقاتلهم شهرين أو ثلاثة.
ثم أراد أن يبيت الخزاعي، فقال له عمرو بن خالد بن حصين الكلابي: بيت العجم، فإن
العرب أشد حذراً وأجرأ على الليل، فوافقه.

وأقام حتى ذهب ثلث الليل، وخرج في أربعمائة، وقال لعمرو ابن خالد: اخرج بعدنا أنت
ومن معك منا قريباً، فإذا سمعتم تكبيرنا فكبروا.
ثم سار حتى ارتفع فوق عسكر الترك ورجع إليهم، وجعل أصحابه أرباعاً، وأقبل إليهم،
فلما رآهم أصحاب الأرصاد قالوا: من أنتم ؟ قالوا: عابرو سبيل. فلما جاوزوا الرصد
حملوا على الترك وكبروا فلم يشعر الترك إلا بوقع السيوف فيهم، فثاروا يقتل بعضهم بعضا
وولوا. فحوى موسى ومن معه عسكرهم، وأصابوا سلاحاً كثيراً ومالاً، وأصيب من
أصحاب موسى ستة عشر رجلا، وأصبح الخزاعي وأصحابه وقد كسرهم ذلك، وخافوا
مثلها، فقال عمرو بن خالد لموسى: إنا لا نظفر إلا بمكيدة، ولهؤلاء أمدادٌ تأتيهم، فدعني آته
لعلي أصيب فرصة فأقتل الخزاعي، فاضربني. قال موسى: تتعجل الضرب، وتتعرض للقتل
؟ قال: أما التعرض للقتل فأنا كل يوم متعرض له، وأما الضرب فما أيسره في حب ما أريد.
فضربه موسى خمسين سوطاً، فخرج حتى أتى عسكر الخزاعي مستأمناً، وقال: أنا رجلٌ
من أهل اليمن كنت مع عبد الله بن خازم، فلما قتل أتيت ابنه فكنت معه، وإنه اتهمني
وقال: قد تعصبت لعدونا، وأنت عينٌ له، ولم آمن القتل، فهربت منه.
فأمنه الخزاعي، وأقام معه، فدخل يوماً فلم ير عنده أحداً ولا معه سلاحاً، فقال له
كالناصح: أصلح الله الأمير، إن مثلك في مثل هذا الحال لا ينبغي أن يكون بغير سلاح.
قال: إن معي سلاحاً، ورفع طرف فراشه، فإذا سيف منتضى، فأخذه عمرو فضرب به
الخزاعي حتى قتله، وخرج فركب فرسه وأتى موسى.
وتفرق ذلك الجيش، وأتى بعضهم موسى مستأمناً فأمنه، ولم يوجه إليه أمية أحداً.
وعزل أمية، وقدم المهلب أميرا، فلم يعرض لموسى، وقال لبنيه: إياكم وموسى، فإنكم لا
تزالون ولاة خراسان ما دام هذا الثط بمكانه، فإن قتل فأول طالع عليكم أمير خراسان من
قيس.
فلما مات المهلب وولي يزيد لم يعرض إليه أيضاً، وكان المهلب قد ضرب حريث بن قطبة

الخزاعي، فخرج هو وأخوه ثابت إلى موسى، فلما ولي يزيد بن المهلب أخذ أموالهما، وقتل
أخاهما لأمهما الحارث بن منقذ، فخرج ثابت إلى طرخون، فشكا إليه ما صنع به يزيد،
وكان ثابت محبوباً إلى الترك بعيد الصوت فيهم؛ فغضب له طرخون، وجمع له نيزك والسبل
وأهل بخارى والصغانيان، فقدموا مع ثابت إلى موسى، واجتمع لموسى أيضاً فل عبد
الرحمن ابن العباس من هراة وفل عبد الرحمن بن الأشعث من العراق، ومن ناحية كابل،
وقوم من بني تميم ممن كان يقاتل ابن خازم في الفتنة من أهل خراسان، فاجتمع معه ثمانية
آلاف.
فقال له ثابت وحريث: سر بنا حتى نقطع النهر ونخرج يزيد عن خراسان ونوليك.
فهم أن يفعل، فقال له أصحابه: إن أخرجت يزيد عن خراسان تولى ثابت وأخوه خراسان
وغلبا عيها، فامتنع من المسير، وقال لثابت وحريث: إن أخرجنا يزيد قدم عاملٌ لعبد
الملك، ولكنا نخرج عمال يزيد من وراء النهر، وتكون هذه الناحية لنا، فأخرجوا عماله،
وجبوا الأموال، قوى أمرهم، وانصرف طرخون ومن معه، واستبد ثابت وحريث بتدبير
الأمر، وليس لموسى إلا اسم الإمرة. فقيل لموسى: اقتل ثابتاً وحريثاً، واستقل بالأمر، فإنه
ليس لك من الأمر شيء. وألح أصحابه عليه في ذلك حتى هم بقتلهما.
فبينما هم في ذلك إذ خرج عليهم الهياطلة والتبت والترك في سبعين ألف مقاتل غير
الأتباع ومن ليس هو كامل السلاح.
فخرج موسى وقاتلهم فيمن معه، ووقف ملك الترك على تل في عشرة آلاف في أكمل عدةٍ،
وقد اشتد القتال، فقال موسى لأصحابه: إن أزلتم هؤلاء فليس الباقون بشيء، فقصدهم
حريث بن قطبة وقاتلهم حتى أزالهم عن التل، ورمى حريث بنشابة في جبهته، وتحاجزوا
وبيتهم موسى، فحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل إلى شمعة ملكهم،
فوجأ رجلاً منهم بقبيعة سيفه، فطعن فرسه فاحتمله الفرس فألقاه في نهر بلخ فغرق وقتل
من الترك خلقٌ كثير، ونجا من نجا منهم بشرٍ، ومات حريث بيومين ورجع موسى وحمل معه

الرؤوس، فبنى منها جوسقين، وقال أصحاب موسى: قد كفينا أمر حريث فاكفنا أمر
ثابت، فأبى، وبلغ ثابتاً بعض ذلك فدس محمد بن عبد الله الخزاعي على موسى، وقال:
إياك أن تتكلم بالعربية، فإن سألوك فقل: أنا من سبى الباميان، ففعل ذلك، وتلطف حتى
اتصل بموسى وصار يخدسه وينقل إلى ثابت خبرهم، فحذر ثابت. وألح القوم على موسى،
فقال لهم ليلةً: قد أكثرتم علي؛ وفيما تريدون هلاككم، فعلى أي وجهٍ تقتلونه ولا أغدر به.
فقال له أخوه نوح: إذا أتاك غداً عدلنا به إلى بعض الدور فضربنا عنقه قبل أن يصل إليك.
فقال: والله إنه لهلاككم، وأنتم أعلم.
فخرج الغلام فأخبر ثابتاً فخرج من ليلته في عشرين فارساً ومضى، وأصبحوا فلم يجدوه
ولا الغلام، فعلموا أنه كان عيناً له، ونزل ثابت بحشورا، واجتمع إليه خلقٌ كثير من العرب
والعجم، فأتاه موسى وقاتله فتحصن ثابتٌ بالمدينة، وأتى طرخون معيناً له، فرجع موسى
إلى ترمذ، وأقبل ثابت وطرخون ومعهما أهل بخارى، ونسف وكش، فاجتمعوا في ثمانين
ألفاً، فحصروا موسى حتى جهد هو وأصحابه، فقال يزيد بن هذيل: والله لأقتلن ثابتاً أو
لأموتن، فخرج إلى ثابت فاستأمنه، فقال له ظهير: أنا أعرف بهذا منك، ما أتاك إلا بغدرة،
فاحذره. فأخذ ابنيه: قدامة، والضحاك رهنا، فكانا في يد ظهير، وأقام يزيد يلتمس غرة
ثابت، فلم يقدر على ما يريد حتى مات ابنٌ لزياد القصير الخزاعي، فخرج ثابت إليه ليعزيه
ومعه ظهير ورهط من أصحابه، وفيهم يزيد بن هذيل وهو بغير سلاح، وقد غابت
الشمس، فدنا يزيد من ثابت فضربه على رأسه فعض السيف برأسه، فوصل إلى الدماغ
وهرب، فسلم. فأخذ طرخون قدامة والضحاك ابني يزيد فقتلهما، وعاش ثابتٌ سبعة أيام،
ومات.
وقام بأمر العجم بعد موت ثابت طرخون، وقام ظهير بأمر أصحاب ثابت فقاما قياما
ضعيفا، فانتشر أمرهم، وأجمع موسى على بياتهم، فأخبر طرخون بذلك فضحك، وقال:
موسى يعجز أن يدخل متوضأه فكيف يبيتنا، لا يحرس الليلة أحدٌ.

فخرج موسى في ثمانمائة، وجعلهم أرباعاً، وبيتهم فكانوا لا يمرون بشيء إلا صرعوه من
الرجال والدواب وغيرها، فأرسل طرخون إلى موسى: أن كف أصحابك، فإنا نرحل إذا
أصبحنا، فرجع موسى وارتحل طرخون والعجم جميعاً.
فلما عزل يزيد بن المهلب وولي المفضل أراد أن يحظى عند الحجاج بقتال موسى، فسير
إليه عثمان بن مسعود في جيش، وكتب إلى أخيه مدرك بن المهلب وهو ببلخ يأمره بالمسير
معه، فعبر النهر في خمسة عشر ألفاً، وكتب إلى السبل وإلى طرخون فقدموا عليه، فحصروا
موسى وضيقوا عليه، فمكث شهرين في ضيق، وقد خندق عثمان عليه، وحذر البيات،
فقال موسى لأصحابه: اخرجوا بنا، حتى متى نصبر ؟ فاجعلوا يومكم معهم إما ظفرتم
وإما قتلتم، واقصدوا الترك.
فخرجوا وخلف النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم في المدينة، وقال له: إن قتلت فلا
تدفعن المدينة إلى عثمان، وادفعها إلى مدرك ابن المهلب، وخرج وجعل ثلث أصحابه بإزاء
عثمان، وقال: لا تقاتلوه إلا إن قاتلكم، وقصد طرخون وأصحابه فصدقوهم القتال، فانهزم
طرخون، واستولى موسى على عسكره، وزحفت الترك والصغد، فحالوا بين موسى
والحصن، فقاتلهم، فعقروا فرسه فسقط، فقال لمولى له: احملني. فقال: الموت كريه، ولكن
ارتدف، فإن نجونا نجونا جميعاً، وإن هلكنا هلكنا جميعاً.
فارتدف، فلما نظر إليه عثمان حيث وتب قال: وثبة موسى ورب الكعبة، وقصده
وعقرت فرسه، فسقط هو ومولاه فقتلوه، ونادى منادي عثمان: من لقيتموه فخذوه أسيراً،
ولا تقتلوا أحداً، فقتل ذلك اليوم من الأسرى خلقاً كثيراً من العرب خاصةً، فكان يقتل
العربي ويضرب المولى ويطلقه، وكان الذي أجهز على موسى واصل ابن طيسلة العنبري،
وسلم النضر المدينة إلى مدرك فسلمها مدرك إلى عثمان، وكتب المفضل إلى الحجاج بقتل
موسى فلم يسره ذلك، لأنه من قيس.
وكان مقتل موسى في سنة خمس وثمانين، وكان مقام موسى بالحصن أربع عشرة سنة، وقيل
خمس عشرة سنة.

ذكر وفاة عبد العزيز بن مروان وولاية عبد الله بن عبد الملك مصر والبيعة للوليد
وسليمان ابني عبد الملك بولاية العهد
كانت وفاته بمصر في جمادى الأولى سنة خمس وثمانين، وكان عبد الملك أراد أن يخلعه من
ولاية العهد، ويبايع لابنه الوليد، فنهاه قبيصة بن ذؤيب عن ذلك، وقال: لا تفعل، ولعل الموت
يأتيه، فكف عنه عبد الملك ونفسه تنازعه إلى خلعه؛ فدخل عليه روح بن زنباع، وكان
أجل الناس عند عبد الملك، وقال: يا أمير المؤمنين، لو خلعته ما انتطح فيها عنزان؛ وأنا
أول من يجيبك إلى ذلك. قال: نصبح إن شاء الله ونفعل.
ونام روح عنده، فدخل عليهما قبيصة بن ذؤيب وهما نائمان، وكان عبد الملك قد تقدم إلى
حجابه ألا يحجبوا قبيصة عنه، وكان إليه الخاتم والسكة، والأخبار تأتيه قبل عبد الملك،
فلما دخل سلم عليه، وقال: آجرك الله في عبد العزيز أخيك !
قال: هل توفي ؟ قال: نعم.
فاسترجع، ثم أقبل على روح، وقال: كفانا الله ما نريد. وكان هذا مخالفا لك يا قبيصة.
وضم عبد الملك عمل عبد العزيز إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك، وأمر بالبيعة لابنيه:
الوليد، وسليمان، فبايعهما الناس، وكتب بذلك إلى الأمصار، وكان على المدينة هشام بن
إسماعيل المخزومي، فدعا الناس إلى البيعة، فأجابوا إلا سعيد بن المسيب، فإنه أبى،
وقال: لا أبايع وعبد الملك حي، فضربه هشام ضرباً مبرحاً، وطاف به وهو في تبان شعرٍ
حتى بلغ رأس الثنية التي يقتلون ويصلبون عندها، ثم رده وحبسه.
فبلغ ذلك عبد الملك، فقال: قبح الله هشاماً، إنما كان ينبغي له أن يدعوه إلى البيعة، فإن
أبى أن يبايع يضرب عنقه أو يكف عنه.
وكتب إليه يلومه ويقول: إن سعيداً ليس عنده شقاق ولا خلاف؛ وقد كان سعيد امتنع
أيضاً من بيعة ابن الزبير، وقال: لا أبايع حتى يجتمع الناس، فضربه جابر بن الأسود عامل
ابن الزبير ستين سوطاً.
فكتب ابن الزبير إلى جابر يلومه، وقال: ما لنا ولسعيد ! دعه، لا تعرض له.
وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل.
سنة ست وثمانون

وفاة عبد الملك بن مروان
كانت وفاته بدمشق في منتصف شوال سنة ست وثمانين، وكان يقول: أخاف الموت في
شهر رمضان، فيه ولدت، وفيه فطمت، وفيه جمعت القرآن، وفيه بايع لي الناس، فمات في
شوال حين أمن الموت في نفسه، واختلف في عمره من ثلاث وستين سنة إلى سبع وخمسين.
وصلى عليه ابنه ولي عهده الوليد.
وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً، خلص له الأمر منها بعد
مقتل عبد الله بن الزبير ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال، ودفن بدمشق خارج
باب الجابية.
قيل: ولما اشتد مرضه نهاه بعض الأطباء أن يشرب الماء، وقال: إن شرب الماء مات،
فاشتد عطشه، فقال: يا وليد، اسقني ماء. قال: لا أعين عليك. فقال لابنته فاطمة:
اسقيني، فمنعها الوليد. فقال: لتدعنها أو لأخلعنك. فقال: لم يبق بعد هذا شيء، فسقته
فمات.
ودخل عليه الوليد وابنته فاطمة عند رأسه تبكي، فقال: كيف أمير المؤمنين ؟ قال: هو
أصلح مما كان. فلما خرج قال عبد الملك:
ومستخبر عنا يريد بنا الردّى   ومستخبراتٍ والدموع سواجم
ذكر وصيته بنيه عند موته
قال: وأوصى بنيه عند موته، فقال: أوصيكم بتقوى الله، فإنه أزين حلية وأحصن كهف،
ليعطف الكبير منكم على الصغير، وليعرف الصغير حق الكبير، وانظروا مسلمة
فاصدروا عن رأيه، فإنه نابكم الذي تفرون، ومجنكم الذي عنه ترمون، وأكرموا الحجاج فإنه
الذي وطأ لكم المنابر ودوخ لكم البلاد، وأذل لكم الأعداء، وكونوا بني أم بررة. لا تدب
بينكم العقارب، وكونوا في الحرب أحراراً، فإن القتال لا يقرب ميتة، وكونوا للمعروف مناراً؛
فإن المعروف يبقى أجره وذخره وذكره، وضعوا معروفكم عند ذوي الأحساب، فإنهم
أصون له واشكر لما يؤتي إليهم منه، وتغمدوا ذنوب أهل الذنوب، فإن استقالوا فأقيلوا، وإن
عادوا فانتقموا.
أولاده وأزواجه

كان له: الوليد، وسليمان، ومروان الأكبر - درج، وعائشة؛ أم هؤلاء ولادة بنت العباس بن
جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة، ويزيد ومروان ومعاوية درج، وأم كلثوم، أمهم عاتكة
ابنة يزيد بن معاوية، وهشام أمه أم هشام بنت هشام ابن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن
المغيرة المخزومية، واسمها عائشة، وأبو بكر، وهو بكار، أمه عائشة بنت موسى بن طلحة
ابن عبيد الله، والحكم - درج، أمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان، وفاطمة، أمها
أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام ابن المغيرة، وعبد الله ومسلمة والمنذر
وعنبسة ومحمد وسعيد الخير وقبيصة لأمهات أولاد؛ وكان له من النساء سوى من ذكرناه
شقراء بنت حلبس الطائي، وأم أبيها ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.
أخباره وعماله
قالوا: كان عبد الملك بن مروان عاقلا حازماً أدبياً لبيباً عالماً، قال أبو الزناد: كان فقهاء
المدينة أربعة: سعيد بن المسيب، وعروة ابن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الملك بن
مروان. وقال الشعبي رحمه الله: ما ذاكرت أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه، إلا عبد
الملك، فإني ما ذاكرته حديثاً إلا زادني فيه، ولا شعراً إلا زادني فيه، قالوا: وكان محبا
للفخر والبذخ، وكثرت الشعراء على أيامه، وكان من فحول شعرائه جرير والفرزدق
والأخطل وكثير.
وكان عبد الملك مقدماً على سفك الدماء، وكذلك كانت عماله: فكان الحجاج بالعراق،
والمهلب بن أبي صفرة بخراسان، وهشام ابن إسماعيل المخزومي بالمدينة، وعبد الله ولده
بمصر، وموسى ابن نصير اللخمي بالمغرب، ومحمد بن يوسف أخو الحجاج باليمن، ومحمد
بن مروان بالجزيرة؛ وما منهم إلا من هو ظالم غشوم جائر.
وكان نقش خاتمة: آمن بالله مخلصاً.
وكتابه: روح بن زنباع، ثم قبيصة بن ذؤيب، وغيرهما.
قاضيه: أبو بشر الخولاني، وعبد الله بن قيس.
حاجبه: يوسف مولاه.
الأمراء بمصر وقضاتها
أقر عبد الملك أخاه عبد العزيز على إمارة مصر إلى أن مات، فولى ابنه عبد الله. وكان

القاضي بمصر عابس إلى أن مات، فولى عبد العزيز بشير بن النضر بن بشير المزني، ثم
مات فولاها عبد الرحمن بن حجر الخولاني. ثم صرفه وولى يونس الحضرمي، ثم صرفه
وولي عبد الرحمن بن معاوية بن خديج القضاء والشرطة، فلما ولي عبد الله بن عبد الملك
أقر عبد الرحمن على القضاء ثم صرفه وولي عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل ابن
حسنة ثم عزله، وولي عبد الواحد بن عبد الرحمن بن خديج.
قال: وعبد الملك أول من غدر في الإسلام: حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق.
وهو أول من نقل الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية.
وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء، وكان الناس من قبله يراجعونهم.
وهو أول من نهى عن الأمر بالمعروف، فإنه قال في خطبته بعد قتل ابن الزبير: ولا يأمرني
أحدٌ بتقوى الله تعالى بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه.

بيعة الوليد
بن عبد الملك

هو أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، وأمه ولادة بنت العباس بن
جزء، وقد تقدم ذكر نسبها، وهو السادس من ملوك بني أمية. بويع له بالخلافة بعد وفاة
أبيه، وذلك في يوم الخميس النصف من شوال سنة ست وثمانين. قال: لوما دفن أبوه عبد
الملك انصرف عن قبره فدخل المسجد ورقي المنبر فخطب الناس، وقال: إنا لله، وإنا إليه
راجعون، والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين، والحمد لله على ما أنعم علينا
من الخلافة. قوموا فبايعوا، فكان أول من عزى نفسه وهنأها، وكان أول من قام لبيعته
عبد الله بن همام السلولي وهو يقول:

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها
عنك، ويأبى الله إلاّ سوقها إليك حتى قلّدوك طوقها

وبايعه، وقام الناس للبيعة.
وقد قيل: إن الوليد لما صعد المنبر حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، لا مقدم لما
أخر الله، ولا مؤخر لما قدم، وقد كان من قضاء الله وسابق علمه، وما كتب على أنبيائه
وحملة عرشه الموت، وقد صار إلى منازل الأبرار ولي هذه الأمة بالذي يحق لله عليه في

الشدة على المذنب واللين لأهل الحق والفضل، وإقامة ما أقام الله من منار الإسلام وأعلامه؛
من حج البيت، وغزو الثغور، وشن الغارة على أعداء الله، فلم يكن عاجزاً ولا مفرطا.
أيها الناس، عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة، فإن الشيطان مع الفرد.
أيها الناس، من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه، ثم
نزل.
ولنبدأ من أخبار الوليد بالغزوات والفتوحات، ثم نذكر الحوادث على حكم السنين:
الغزوات والفتوحات
التي اتفقت في خلافة الوليد بن عبد الملك ولنبدأ من ذلك بأخبار قتيبة بن مسلم وما
فتحه من البلاد: ذكر ولاية قتيبة بن مسلم خراسان وغزواته وفتوحاته
فتح قتيبة بن مسلم في مدة ولايته خراسان من بلاد ما وراء النهر: الصغانيان، وأخرون،
وكاسان، وأورشت، وهي من فرغانة وأخسيكت، وهي مدينة فرغانة القديمة، وبيكند،
وبخارى، والطالقان والفارياب والجوزجان، وشومان وكش، وتسف، ورام جرد، وسمرقند،
والشاش وفرغانة، ومدينة كاشغر.
وكان أول ما بدأ به قتيبة أنه لما قدم خراسان أميراً للحجاج، وذلك في سنة ست وثمانين
قدمها والمفضل بن المهلب يحرض الجند لغزاة، فخطب قتيبة الناس، وحثهم على الجهاد، ثم
عرضهم، وسار بهم.
فلما كان بالطالقان تلقاه دهاقين بلخ وساروا معه، وقطع النهر فتلقاه ملك الصغانيان بهدايا
ومفتاح من ذهبن ودعاه إلى بلاده، فمضى معه فسلمها إليه، لأن ملك أخرون وشومان كان
يسيء جواره، ثم سار قتيبة منها إلى أخرون وشومان وهما من طخارستان، فصالحه
ملكها على فديةٍ أداها إليه، فقبلها قتيبة. ثم انصرف إلى مرو، واستخلف على الجند
أخاه صالح بن مسلم ففتح صالح بعد رجوع قتيبة كاشان وأورشت، وهي من فرغانة،
وفتح أخسيكت وهي مدينة فرغانة القديمة.
وقيل: إن قتيبة قدم خراسان في سنة خمس وثمانين فعرض الجند فغزا أخرون وشومان، ثم
رجع إلى مرو.

وقيل: إنه لم يغز في هذه السنة، ولم يقطع النهر بسبب بلخ، فإن بعضها كان منتقضاً عليه،
فحاربهم وسبى منهم، ثم صالحوه فأمر برد السبي.
قتيبة ونيزك
قال: لما صالح قتيبة ملك شومان كتب إلي نيزك طرخان صاحب باذغيس في إطلاق من
عنده من أسرى المسلمين، وكتب إليه يتهدده، فخافه نيزك، فأطلقهم، وبعث بهم إليه، ثم
كتب إليه قتيبة مع سليم الناصح مولى عبيد الله بن أبي بكرة يدعوه إلى الصلح وإلى أن
يؤمنه، فصالحه نيزك لأهل باذغيس على ألا يدخلها قتيبة.
غزوة بيكند وفتحها
وغزا قتيبة بيكند في سنة سبع وثمانين، وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر، فلما نزل بهم
استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم، فأتوهم في جمعٍ كثير، وأخذوا الطرق على قتيبة
فقاتلهم شهرين في كل يوم، ثم انهزم الكفار إلى المدينة، فتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون،
وتحصن من دخل المدينة منهم بها، فأمر قتيبة بهدم سورها، فسألوه الصلح، فصالحهم،
واستعمل عليهم عاملا وارتحل عنهم. فلما سار خمس فراسخ نقضوا الصلح وقتلوا العامل
ومن معه فرجع قتيبة فنقب السور فسقط، فسألوه الصلح فأبى، ودخلها عنوةً، وقتل من
كان بها من المقاتلة، وكان فيمن أخذ من المدينة رجلٌ أعور، وهو الذي استجاش الترك
على المسلمين، فقال لقتيبة: أنا أفدي نفسي بخمسة آلاف حريرة قيمتها ألف ألف،
فاستشار قتيبة الناس، فقالوا: هذا زيادة في الغنائم؛ وما عسى أن يبلغ من كيد هذا ؟
قال: والله لا يروع بك مسلم أبداً، وأمر به فقتل؛ وأصابوا فيها من الغنائم والسلاح وآنية
الذهب والفضة ما لا يحصى، ولا أصابوا بخراسان مثله.
ولما فرغ قتيبة من فتح بيكند رجع إلى مرو.
غزو نومشكث وراميثنة وصلح أهلها وقتال الترك والصغد وأهل فرغانة
وفي سنة ثمان وثمانين غزا قتيبة نومشكث، فتلقاه أهلوها، فصالحهم، ثم سار إلى راميثنة،
فصالحه أهلها، وانصرف عنهم وزحف إليه الترك ومعهم الصغد وأهل فرغانة في مائتي
ألف، وملكهم كوربغانو ابن أخت ملك الصين، فاعترضوا المسلمين؛ فلحقوا عبد الرحمن بن

مسلم أخا قتيبة وهو على الساقة وبينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل، فقاتلهم عبد
الرحمن ومن معه، وأرسل إلى أخيه، فرجع بالمسلمين، وقد أشرف الترك على الظهور على
عبد الرحمن ومن معه، فلما رأى المسلمون قتيبة طابت نفوسهم، وقويت، وقاتلوا إلى الظهر،
فانهزم الترك ومن معهم وكان نيزك يومئذ مع قتيبة، فأبلى بلاءً حسناً، ورجع قتيبة بعد
الهزيمة إلى مرو.
غزو بخارى وفتحها
كانت غزوة بخارى في سنة تسع وثمانين، والفتح في سنة تسعين؛ وذلك أن الحجاج بن
يوسف كتب إلى قتيبة يأمره بقصد وردان خذاه، فعبر النهر من زم، فلقى الصغد وأهل كس
ونسف في طريق المفازة، فقاتلوه، فظفر بهم، ومضى إلى بخارى، فنزل خرقانة السفلى عن
يمين وردان، فلقوه في جمع كثير، فقاتلهم يومين وليلتين، فظفر بهم، وغزا وردان خذاه ملك
بخارى فلم يظفر منه بشيء، فرجع إلى مرو. وكتب إلى الحجاج يخبره؛ فكتب إليه الحجاج
أن صورها. فبعث إليه بصورتها، فكتب إليه أن تب إلى الله جل ثناؤه مما كان منك وأتها
من مكان كذا وكذا.
قيل: وكتب إليه أن كس بكس، وانسف نسفاً، ورد وردان، وإياك والتحويط، ودعني من
بنيات الطريق.
فخرج قتيبة إلى بخارى في سنة تسعين، فاستجاش وردان خذاه الصغد والترك ومن حوله،
فأتوه وقد سبق إليها قتيبة وحصرها. فلما جاءتهم أمدادهم خرجوا إلى المسلمين
يقاتلونهم، فقالت الأزد: اجعلونا ناحيةً، وخلوا بيننا وبين قتالهم، فقال قتيبة: تقدموا،
فتقدموا، وقاتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزم الأزد، حتى دخلوا العسكر، وركبهم المشركون
حتى حطموهم، وقاتلت مجنبتا المسلمين الترك حتى ردوهم إلى مواقفهم، فوقفت الترك
على نشزٍ، فقال قتيبة: من يزيلهم عن هذا الموقف ! فلم يقم لهم أحدٌ من العرب، فأتى بني
تميم، فقال لهم: يوم كأيامكم. فأخذ وكيع اللواء، وقال: يا بني تميم، أتسلمونني اليوم ؟ قالوا:
لا، يا أبا المطرف، وكان هزيم بن أبي طحمة على خيل تميم، ووكيع رأسهم. فقال: يا هزيم

قدم خيلك، ورفع إليه الراية، وتقدم هزيم، وتقدم وكيع في الرجالة، وكان بينهم وبين الترك
نهر، فأمر وكيع هزيما بقطعه إليهم، فعبره في الخيل، وانتهى وكيع إلى النهر، فعمل عليه
جسراً من خشب، وقال لأصحابه: من وطن نفسه على الموت فليعبر وإلا فليثبت مكانه.
فلم يعبر معه إلا ثمانمائة رجل. فلما عبر بهم قال لهزيم: إني مطاعنهم فاشغلهم عنا بالخيل،
وحمل عليهم حتى خالطهم، وحمل هيم في الخيل فطاعنهم، وقاتلهم المسلمون حتى
حدروهم عن التل، ثم عبر الناس إليهم بعد انهزام الترك، ونادى قتيبة: من أتى برأس فله
مائة، فأتى برؤوس كثيرة، وجرح خاقان وابنه، وفتح الله على المسلمين.
قال: ولما أوقع قتيبة بأهل بخارى هابه الصغد، فرجع طرخون ملكهم ومعه فارسان، فدنا
من عسكر قتيبة، فطلب رجلا يكلمه، فأرسل إليه قتيبة حيان النبطي، فطلب الصلح
على فديةٍ يؤديها إليهم، فأجابه قتيةب إلى ما طلب، وصالحه، ورجع طرخون إلى بلاده،
ورجع قتيبة ومعه نيزك.
غدر نيزك وفتح الطالقان
وما كان من خبر نيزك إلى أن قتل
قال: ولما رجع قتيبة عن بخارى ومعه نيزك وقد خاف لما رأى من الفتوح، فقال لأصحابه:
أنا مع هذا ولست آمنه، فلو استأذنته ورجعت كان الرأي. قالوا: افعل. فاستأذن قتيبة،
فأذن له وهو بآمل، فرجع يريد طخارستان، وأسرع السير حتى أتى النوبهار، وقال
لأصحابه: لا شك أن قتيبة قد ندم على إذنه لي، وسيبعث إلى المغيرة بن عبد الله يأمره
بحبسي، فكان كما قال: ندم قتيبة، وبعث إلى المغيرة يأمره بحبس نيزك، فتبعه المغيرة،
فوجده قد دخل شعب خلم، فرجع المغيرة، وأظهر نيزك الخلع، وكتب إلى أصبهذ بلخ وإلى
باذان ملك مرو الروذ وإلى ملك الطالقان وإلى ملك الفارياب وإلى ملك الجوزجان يدعوهم
إلى خلع قتيبة، فأجابوه، وواعدهم الربيع أن يجتمعوا ويغزوا قتيبة.
وكتب إلى كابل شاه يستظهر به، وبعث إليه بثقله وماله، وسأله أن يأذن له إن اضطر أن

يأتيه، فأجابه إلى ذلك، وكان خبعويه ملك طخارستان ضعيفاً؛ فأخذه نيزك، فقيده بقيدٍ
من ذهب لئلا يخالف عليه، وكان خبعويه هو الملك ونيزك عنده، فاستوثق منه، وأخرج
عامل قتيبة من بلاد جبعويه، وبلغ قتيبة خلعه، وقد تفرق الجند، فبعث أخاه عبد الرحمن
في اثني عشر ألفاً إلى البروقان، وقال: أقم بها ولا تحدث شيئاً، فإذا انقضى الشتاء فعسكر،
وسر نحو طخارستان، فسار؛ فلما كان آخر الشتاء كتب قتيبة إلى نيسابور وغيرها من
البلاد لتقدم عليه الجنود، فقدموا. فسار نحو الطالقان، وكان ملكها قد خلع وطابق نيزك
على الخلع، فأتاه قتيبة، فأوقع بأهل الطالقان، فقتل من أهلها مقتلةً عظيمة، وصلب منهم
سماطين أربعة فراسخ في نظامٍ واحد، واستعمل أخاه عمرو بن مسلم.
وقيل: إن ملك الطالقان لم يحارب قتيبة، فكف عنه، وكان بها لصوص، فقتلهم قتيبة
وصلبهم، ثم سار قتيبة إلى الفارياب في سنة إحدى وتسعين، فخرج إليه ملكها مقراً
مذعناً، فقبل منه ولم يقتل بها أحدا، واستعمل عليها رجلا من باهلة، وبلغ ملك الجوزجان
خبرهم، فهرب إلى الجبال، وسار قتيبة إلى الجوزجان، فلقيه أهلها سامعين مطيعين، فقبل
منهم ولم يقتل بها أحداً، وساتعمل عليها عامر بن مالك الحماني، ثم أتى بلخ فلقيه أهلها،
فلم يقم إلا يوماً واحداً، وسار يتبع أخاه عبد الرحمن إلى شعب خلم، ومضى نيزك إلى
بغلان، وخلف مقاتلته على فم الشعب ومضايقه يمنعونه، ووضع مقاتلته في قلعةٍ حصينةٍ
من وراء الشعب، فأقام قتيبة أياماً لا يقدر على دخوله، ولا يعرف طريقاً يسلكه إلى نيزك
إلا الشعب أو مفازةً لا تقدر العساكر على قطعها، فأتاه إنسانٌ فاستأمنه على أن يدله على
مدخل القلعة التي من وراء الشعب، فأمنه قتيبة، وبعث معه رجالاً، فانتهى بهم إلى القلعة،
فطرقوهم وهم آمنون، فقتلوا منهم، وهرب من بقى ومن كان في الشعب، فدخل قتيبة
الشعب، فأتى القلعة ومضى إلى سمنجان، فأقام بها أياماً ثم سار إلى نيزك، وقدم أخاه عبد
الرحمن فارتحل نيزك من منزله فقطع وادي فرغانة، ووجه ثقله وأمواله إلى كابل شاه، ومضى

حتى نزل الكرز، وعبد الرحمن يتبعه، ونزل عبد الرحمن وأخذ بمضايق الكرز، ونزل قتيبة
على فرسخين من أخيه، وتحصن نيزك بالكرز، وليس له إلا مسلك من وجهٍ واحد، وهو
صعبٌ لا تطيقه الدواب، فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما في يد نيزك من الطعام، وأصابهم
الجدري. وخاف قتيبة الشتاء، فدعا سليماً الناصح، فقال: انطلق إلى نيزك، واحتل لتأتيني
به بغير أمان، فإن أعياك وأبى فأمنه.
فخرج إليه، وأخذ معه أطعمةً وأخبصة كثيرة، وأتى نيزك، فقال له: إنك أسأت إلى نفسك
وغدرت. قال نيزك: فما الرأي ؟ قال: أرى أن تأتيه، فإنه ليس ببارحٍ، وقد عزم على أن
يشتوَ مكانه، هلك أو سلم. قال نيزك: فكيف آتيه على غير أمانٍ. قال: ما أظنه يؤمنك
لما في نفسه عليك، لأنك قد ملأته غيظاً، ولكني أرى ألا يعلم حتى تضع يدك في يده، فإني
أرجو أن يستحي ويعفو. قال: إن نفسي تأبى هذا. فقال سليم: ما أتيتك إلا لأشير عليك
بهذا، ولو فعلت لرجوت أن تسلم ويعود حالك عنده، فإذا أبيت فإني منصرف. وقدم
الطعام الذي معه، ولا عهد لهم بمثله، فانتهبه أصحاب نيزك، فساءه ذلك، فقال له سليم: أنا
لك من الناصحين، أرى أصحابك قد جهدوا، وإن طال بهم الحصار لم آمنهم أن يستأمنوا
بك. فأت قتيبة. فقال: لا آمنه على نفسي، ولا آتيه إلا بأمان، وإن ظني أنه يقتلني، وإن
أمنني؛ ولكن الأمان أعذر لي. فقال سليم: قد أمنك؛ أفتتهمني ؟ قال: لا. وقال له
أصحابه: اقبل قول سليم. فخرج معه ومعه خبعويه وصول طرخان خليفة جبعويه،
وخنس طرخان صاحب شرطته وشقران ابن أخي نيزك، فلما خرجوا من الشعب حالت
خيل قتيبة بين أصحاب نيزك وبين الخروج، فقال نيزك: هذا أول الغدر. فقال سليم: تخلف
هؤلاء عنك خيرٌ لك. وأقبل سليم ونيزك ومن معه حتى دخلوا على قتيبة، فحبسهم.
وكتب إلى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك، واستخرج قتيبة ما في الكرز من متاعٍ، وأتاه كتاب
الحجاج بعد أربعينً يأمره بقتل نيزك، فدعا قتيبة الناس، واستشارهم، فاختلفوا، فقال ضرار

ابن حصين: إني سمعتك تقول: أعطيت الله عهداً إن أمكنك منه أن تقتله، فإن لم تفعل فلا
ينصرك الله عليه أبداً. فدعا نيزك، فضرب رقبته بيده، وأمر بقتل صول وابن أخي نيزك،
وقتل من أصحابه سبعمائة. وقيل اثني عشر ألفاً، وصلب نيزك وابن أخيه، وبعث برأسه
إلى الحجاج، وأخذ الزبير مولى عباس الباهلي خفاً لنيزك فيه جوهر، فكان أكثر من في
بلاده مالاً وعقاراً من ذلك الجوهر، وأطلق قتيبة جبعويه ومن عليه، وبعث به إلى الوليد،
فلم يزل بالشام حتى مات.
ولما قتل نيزك رجع قتيبة إلى مرو، وأرسل ملك الجوزجان يطلب الأمان، فأمنه على أن
يأتيه، فطلب رهناً يكونون في يده ويعطى رهائن، فأعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله بن
حبيب الباهلي، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته، وقدم على قتيبة، ثم رجع
فمات بالطالقان، فقال أهل الجوزجان: إنهم سموه فقتلوا حبيبا. وقتل قتيبة الرهائن الذين
كانوا عنده.
غزوة شومان وكش ونسف وفتح ذلك
وفي سنة إحدى وتسعين سار قتيبة إلى شومان فحصرها، وكان سبب ذلك أن ملكها
طرد عامل قتيبة من عنده، فأرسل إليه قتيبة رسولين: أحدهما من العرب اسمه عياش،
والآخر من أهل خراسان يدعوانه إلى أن يؤدى ما كان صالح عليه، فقدما شومان، فخرج
أهلها إليهما، فرموهما. فانصرف الخراساني وقاتلهم عياش فقتلوه، ووجدوا به ستين
جراحةً، وبلغ قتيبة قتله، فسار إليهم بنفسه، فلما أتاها أرسل صالح بن مسلم أخو قتيبة
إلى ملكها، وكان صديقا له، يأمره بالطاعة، ويضمن له رضا قتيبة إن رجع إلى الصلح، فأبى
وقال لرسول صالح: أتخوفني من قتيبة وأنا أمنع الملوك حصناً ؟ فأتاه قتيبة وقد تحصن
ببلده فنصب عليه المجانيق، ورمى الحصن فهشمه، فلما خاف الملك أن يظهر قتيبة عليه
جمع ما كان بالحصن من مالٍ وجوهر، ورمى به في بئر في القلعة لا يدرك قعرها، ثم فتح
القلعة، وخرج، فقاتل حتى قتل، وأخذ قتيبة القلعة عنوةً، فقتل المقاتلة وسبى الذرية، ثم
سار إلى كش ونسف، ثم سار إلى بخارى.

وقيل: إنه سار إلى الصغد، فلما رجع عنهم قالت الصغد لطرخون: إنك قد رضيت بالذل
واستطبت الجزية، وأنت شيخٌ كبير، فلا حاجة لنا فيك. فحبسوه وولوا غورك فقتل
طرخون نفسه.
صلح خوارزم شاه وفتح خام جرد
وفي سنة ثلاث وتسعين صالح قتيةب خوارزم شاه، وسبب ذلك أن ملك خوارزم كان
ضعيفاً، فغلبه أخوه خرزاذ على أمره، وكان أصغر منه، فكان إذا بلغه أن عند أحد ممن
هو منقطع إلى الملك جاريةً أو مالاً أو دابةً أو بيتاً أو أختاً أو امرأة جميلة أرسل إليه،
وأخذه منه، فلا يمتنع عليه أحد، ولا الملك، فإذا قيل للملك قال: لا أقوى عليه.
فلما طال عليه ذلك كتب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه ليسلمها إليه، واشترط عليه أن يدفع
إليه أخاه وكل من يضاده ليحكم فيه بما يرى، ولم يطلع أحداً من مرازبته على ذلك. فأجابه
قتيبة إلى ما طلب، وتجهز للغزو، وأظهر أنه يريد الصغد، وسار من مرو وجمع خوارزم شاه
أجناده ودهاقنته. فقال: إن قتيبة يريد الصغد، وليس بغازيكم، فهلموا نتنعم في ربيعنا
هذا، فأقبلوا على الشرب والتنعم فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزارسب، فقال خوارزم
شاه لأصحابه: ما ترون ؟ قالوا: نرى أن نقاتله. قال: لكني لا أرى ذلك، لأنه قد عجز عنه
من هو أقوى منا وأشد شوكةً، ولكن أصرفه بشيء أخرجه إليه.
فأجابوه إلى ذلك، فسار خوارزم شاه إلى مدينة الفيل من وراء النهر، وهي أحصن بلاده،
وقتيبة لم يعبر النهر، فأرسل إليه خوارزم شاه، فصالحه على عشرة آلاف رأسه، وعينٍ ومتاع
وعلى أن يعينه على خامٍ جرد، فقبل قتيبة ذلك.
وقيل: صالحه على مائة ألف رأس، وبعث قتيبة أخاه عبد الرحمن إلى ملك خام جرد،
وكان يغازي خوارزم شاه، فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه، وقدم بأربعة آلاف
أسير، فقتلهم، وسلم قتيبة إلى خوارزم شاه أخاه ومن كان يخالفهم، فقتلهم، ودفع أموالهم
إلى قتيبة. والله أعلم.
فتح سمرقند
قال: فلما قبض قتيبة صلح خوارزم قال إليه المجشر بن مزاحم السلمي فقال له: سر الآن

إن أردت الصغد يوماً من الدهر، فإنهم آمنون من أن تأتيهم عامك هذا، وإنما بينك وبينهم
عشرة أيام. قال: أشار عليك بهذا أحد ؟ قال: لا. قال: فسمعه منك أحد ؟ قال: لا.
قال: والله لئن تكلم به أحدٌ لأضربن عنقك.
فلما كان الغد من يوم كلامه له أمر قتيبة أخاه عبد الرحمن فسار في الفرسان والرماة، وقدم
الأثقال إلى مرو، فسار يومه، فلما أمسى كتب إليه قتيبة: إذا أصبحت فوجه الأثقال إلى
مرو، وسر في الفرسان والرماة نحو الصغد، واكتم الأخبار، فإني بالأثر.
ففعل عبد الرحمن ما أمره، وخطب قتيبة الناس، وقال لهم: إن الصغد شاغرة برجلها،
وقد نقضوا العهد الذي بيننا، وصنعوا ما بلغكم؛ وإني أرجو أن تكون خوارزم والصغد
كقريظة والنضير.
ثم سار فأتى الصغد، فبلغها بعد عبد الرحمن بثلاثٍ أو أربع، وقدم معه أهل خوارزم
وبخارى، فقاتلوا شهراً من وجهٍ واحد وهم محصورون.
وخاف أهل الصغد طول الحصار، فكتبوا إلى ملك الشاش وأخشاد وخاقان وفرغانة: إن
العرب إن ظفروا بنا أتوكم بمثل ما أتونا به، فانظروا لأنفسكم، ومهما كان عندكم من قوة
فابذلوها. فنظروا وقالوا: إنما نؤتى من سفلتنا وإنهم لا يجدون كوجدنا، فانتخبوا من أبناء
الملوك وأهل النجدة من أبناء المرازبة والأساورة والأبطال، وأمروهم أن يأتوا عسكر قتيبة؛
فيبيتوه، وولوا عليهم ابناً لخاقان، فساروا.
وبلغ قتيبة الخبر فانتخب من عسكره مائةً، وقيل ستمائة من أهل النجدة والشجاعة،
وأعلمهم الخبر، وأمرهم بالمسير إليهم، فساروا، وعيهم صالح بن مسلم، فنزلوا على
فرسخين من العسكر على طريق القوم، فجعل صالح له كمينين. فلما مضى نصف الليل
جاءهم عدوهم، فلما رأوا صالحا حملوا عليه، واقتتلوا فشد الكمينان عن يمينٍ وشمال،
فقتلهم المسلمون، وأسروا منهم، ولم يفلت منهم إلا الشريد، واحتووا على سلاحهم
وأسلابهم. وسئل بعض الأسرى عن القتلى فقالوا: ما قتلتم إلا ابن ملك أو عظيماً أو
بطلا، إن كان الرجل ليعد بمائة رجل.

ونصب قتيبة المجانيق على سمرقند، ورماهم فثلمه ثلمة. ثم أمر قتيبة الناس بالجد في
القتال، وأن يبلغوا ثلمة المدينة، ففعلوا، وحملوا وقد تترسوا حتى بلغوا الثلمة، ووقفوا عليها،
فرماهم الصغد بالنشاب، فلم يبرحوا، فأرسلوا إلى قتيبة أن انصرف عنا اليوم حتى
نصالحك غداً. فقال: لا نصالحهم إلا ورجالنا على الثلمة.
وقيل: بل قال: جزع العبيد ! انصرفوا على ظفركم. فانصرفوا، فصالحهم من الغد على
ألفي ألفٍ ومائتي ألف مثقال في كل عام، وأن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس، وأن يخلوا
المدينة لقتيبة، فلا يكون لهم فيها مقاتل، فيبنى فيها مسجداً فيصلى فيه ويخطب ويتغدى
ويخرج.
فلما تم الصلح بنى المسجد ودخلها قتيبة في أربعة آلاف انتخبهم، فدخل المسجد، فصلى
فيه، وخطب وأكل طعاماً، ثم أرسل إلى الصغد يقول: من أراد منكم أن يأخذ متاعه
فليأخذ، فإني لست خارجاً منها، ولست آخذ منكم إلا ما صالحتكم عليه، غير أن
الجند يقيمون فيها.
وقيل: إنه شرط عليهم في الصلح مائة ألف رأس وبيوت النيران وحلية الأصنام. فقبض
ذلك، وأتى بالأصنام، فأخذ ما عليها، وأمر بها فأحرقت، فوجد من بقايا مسامير الذهب
خمسين ألف مثقال، وأصاب بالصغد جاريةً من ولد يزدجرد، فأرسلها إلى الحجاج،
فأرسلها الحجاج إلى الوليد، فولدت له ابنه يزيد بن الوليد. ثم رجع قتيبة إلى مرو، واستعمل
على سمرقند إياس بن عبد الله على الحرب، وجعل على الخراج عبيد الله بن أبي عبيد
الله مولى مسلم.
غزو الشاش وفرغانة
وفي سنة أربع وتسعين قطع قتيبة النهر وفرض على أهل بخارى وكش ونسف عشرين ألف
مقاتل، فساروا معه، فوجهم إلى الشاش، وتوجه إلى فرغانة فأتى خجندة فجمع له أهلها،
ولقوه، واقتتلوا مراراً، كل ذلك يكون الظفر للمسلمين. ثم إن قتيبة أتى كاسان مدينة
فرغانة، وأتاه الجنود الذين وجههم إلى الشاش وقد فتحوها وأحرقوا أكثرها، وانصرف إلى
مرو.

وقال سحبان يذكر قتالهم بخجندة:
وسل الفوارس في خجن   دة تحت مرهفة العوالي
هل كنت أجمعهم إذا   هزوا وأقدم في قتالي
أم كنت أضرب هامة ال   عاتي وأصبر للعوالي
هذا وأنت قريع قي   س كلّها ضخم النّوال
وفضلت قيساً في النّدى   وأبوك في الحجج الخوالي
ولقد تبيّن عدل حك   مك فيهمو في كلّ مال
تمّت مروءتكم ونا   غى عزّكم غلب الجبال
فتح مدينة كاشغر
وفي سنة ست وتسعين سار قتيبة من مرو وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بسمرقند،
ومضى إلى فرغانة وبعث جيشاً مع كثير ابن فلان إلى كاشغر، فغنم وسبي سبياً، فختم
أعناقهم، وأوغل حتى بلغ قرب الصين، فكتب إليه ملك الصين أن ابعث إلي رجلا شريفاً
يخبرني عنكم وعن دينكم، فانتخب قتيبة عشرةً لهم جمالٌ وألسنة وبأس وعقلٌ وصلاح،
فأمر لهم بعدةٍ حسنة ومتاعٍ حسن من الخز والوشي وغير ذلك، وخيول حسنة، وكان
عليهم هبيرة بن مشمرج الكلابي، وقال لهم قتيبة: إذا دخلتم عليه فأعلموه أني قد حلفت
أني لا أنصرف حتى أطأ بلادهم، وأختم ملوكهم، وأجبي خراجهم.
فساروا وعليهم هبيرة، فلما قدموا دعاهم ملك الصين فلبسوا ثياباً بياضاً تحتها الغلائل،
وتطيبوا، ولبسوا النعال والأردية، ودخلوا عليه وعنده عظماء قومه، فجلسوا فلم يكلمهم
الملك ولا أحد ممن عنده، فنهضوا.
فقالالملك لمن حضره: كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا: رأينا قوما ما هم إلا نساء. ما بقي منا
أحدٌ إلا انتشر ما عنده.
فلما كان الغد دعاهم فلبسوا الوشي وعمائم الخز والمطارف، وغدوا عليه. فلما دخلوا
قيل لهم: ارجعوا. وقال لأصحابه: كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا: هذه أشبه بهيئة
الرجال من تلك.
فلما كان اليوم الثالث دعاهم فلبسوا سلاحهم، ولبسوا البيض والمغافر، وأخذوا السيوف
والرماح والقسي، وركبوا. فنظر إليهم ملك الصين، فرأى مثل الخيل؛ فلما دنوا ركزوا
رماحهم، وأقبلوا مشمرين. فقيل لهم: ارجعوا، فركبوا خيولهم وأخذوا رماحهم، ودفعوا

خيلهم، كأنهم يتطاردون. فقال الملك لأصحابه: كيف ترونهم ؟ قالوا: ما رأينا مثل
هؤلاء.
فلما أمسى بعث إليهم أن ابعثوا إلي زعيمكم، فبعثوا إليه هبيرة ابن مشمرج، فقال له: قد
رأيتم عظم ملكي، وأنه ليس أحدٌ يمنعكم مني، وأنتم في يدي بمنزلة البيضة في كفي. وإني
سائلكم عن أمر، فإن لم تصدقوني قتلتكم. قال: سل. قال: لم صنعتم بزيكم الأول والثاني
والثالث ما صنعتم ؟ قال: أما زينا الأول فلباسنا في أهلنا. وأما الثاني فزينا إذا أتينا
أمراءنا، وأما الثالث فزينا لعدونا. قال: ما أحسن ما دبرتم دهركم، فقولوا لصاحبكم
ينصرف، فإني قد عرفت قلة أصحابه، وإلا بعثت إليكم من يهلككم. قال: وكيف يكون
قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون. وأما تخويفك إيانا بالقتل
فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل، ولسنا نكرهه ولا نخافه، وقد حلف صاحبنا ألا
ينصرف حتى يطأ أرضكم، ويختم ملوككم، وتعطى الجزية. قال: فإنا نخرجه من يمينه،
ونبعث له بترابٍ من أرضنا، فيطؤه، ونبعث إليه ببعض أبنائنا فيختمهم، ونبعث إليه بجزية
يرضاها. فبعث إليه بهدية وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم، وبترابٍ من أرضه، وأعادهم
وأحسن جوائزهم. فقدموا على قتيبة، فقبل ذلك، ووطيء التراب، وختم الغلمان،
وردهم، فقال سوادة بن عبد الملك السلولي:
لا عيب في الوفد الذين بعثتهم للصّين أن سلكوا طريق المنهج
كسروا الجفون على القذى خوف الرّدى حاشا الكريم هبيرة بن مشمرج
أدّى رسالتك التي استرعيته فأتاك من حنث اليمين بمخرج
هذه غزوات قتيبة وفتوحاته.
وكان قتيبة إذا رجع من غزاته كل سنة اشترى اثني عشر فرساً من جياد الخيل واثني
عشر هجيناً، فتخدم إلى وقت الغزو، فإذا تأهب للغزو ضمرها، وكان يحمل عليها الطلائع،
وكان لا يجعل الطلائع إلا فرسان الناس وأشرافهم، ويجعل معه من العجم من يستنصحه.
وإذا بعث طليعةً أمر بلوح فنقش ثم شقه نصفين، وجعل شقة عنده، وأعطى نصفه

للطليعة، ويأمرهم أن يدفنوه في موضع يصفه لهم من شجرة أو مخاضةٍ أو غيرها، ثم يبعث
بعد الطليعة من يستخرجه ليعلم أصدقت الطليعة أم لا.
ولنذكر من الغزوات والفتوحات في أيام الوليد خلاف ما ذكرنا:
ذكر فتح السند وقتل ملكها وما يتصل بذلك من أخبار العمال عليها
وفي سنة تسع وثمانين قتل محمد بن القاسم بن محمد ابن الحكم بن أبي عقيل الثقفي داهر
بن صصة ملك السند، وملك بلاده، وكان الحجاج قد استعمله على ذلك الثغر وسير معه
ستة آلاف مقاتل، وجهزه بجميع ما يحتاج إليه حتى المسال والإبر والخيوط، فسار محمد إلى
مكران، وأقام بها أياما، ثم أتى قنزبور ففتحها ثم سار إلى أرمائيل فقدمها يوم جمعة، ووافته
سفنٌ كان حمل فيها السلاح والرجال والأداة، فأنزل الناس منازلهم وخندق ونصب عليها
منجنيقاً يقال له العروس كان يمد به خمسمائة رجل، وكان بالديبل بدٌ عظيم عليه دق
عظيم، وعلى الدقل رايةٌ حمراء إذا هبت الريح أطافت بالمدينة، والبد: صنم في بناء عظيم
بأعلاه منارةٌ عظيمة مرتفعة، والدقل في رأس المنارة. فرمى الدقل بحجر العروس فكسره
فتطير الكفار بذلك وأعظموه، ثم فتحها محمدٌ عنوةً بعد قتال، وقتل فيها ثلاثة أيام، وهرب
عامل داهر عنها، وأنزلها محمد أربعة آلاف من المسلمين، وبنى جامعها، وسار إلى البيرون،
وكان أهلها قد بعثوا إلى الحجاج وصالحوه، فلقوا محمدا بالميرة، وأدخلوه مدينتهم، ثم سار
عنها، وجعل لا يمر بمدينةٍ إلا فتحها حتى عبر نهرا دون مهران فصالحه أهل سربيدس،
ووظف عليهم الخراج، وسار إلى سهبان ففتحها، ثم أتى نهر مهران فنزل به، وبلغ خبره
داهراً فاستعد لمحاربته. وبعث محمدٌ جيشا إلى سدوسان، فطلب أهلها الأمان والصلح
فأمنهم، ووظف عليهم الخراج، ثم عبر نهر مهران مما يلي بلاد راسل الملك على جسر
عقده، هذا وداهر مستخفٌ به، فلقيه محمد ومن معه وهو على فيل، والفيلة حوله ومعه
الذكاكرة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وترجل داهر، وقاتل فقتل عند المساء، وانهزم الكفار
وقاتلهم المسلمون كيف شاءوا، وقال قائلهم:
الخيل تشهد يوم داهر والقنا   ومحمد بن القاسم بن محمّد

أنّى فرجت الجمع غير معرّدٍ حتي علوت عظيمهم بمهنّد
فتركته تحت العجاج مجندلاً متعفّر الخدّين غير موسّد
قال: ولما قتل داهر تغلب محمدٌ على بلاد السند وفتح راور عنوةً، وكان بها امرأة لداهر،
فخافت أن تؤخذ فأحرقت نفسها وجواريها وجميع مالها. ثم سار إلى برهمنا باذ العتيقة،
وكان المنهزمون من الكفار قد لجئوا إليها، ففتحها عنوة بعد قتال، وقتل بها بشراً كثيراً،
وسار يريد الرور وبغرور، فلقيه أهل ساوندرى، فطلبوا الأمان فأمنهم واشترط عليهم
ضيافة المسلمين، ثم أسلم أهلها بعد ذلك، ثم تقدم إلى بسمد فصالحه أهلها، وسار إلى
الرور، وهي من مدائن السند على جبلٍ، فحاصرهم شهوراً فصالحوه، وسار إلى السكة
ففتحها، ثم قطع نهر بياس إلى الملتان، فقاتله أهلها وانهزموا، فحصرهم، وجاء إنسان فدله
على قطع الماء الذي يدخل المدينة، فقطعه فعطشوا وألقوا بأيديهم، ونزلوا على حكمه، فقتل
المقاتلة وسبى الذرية وسدنة البد، وهم ستة آلاف، وأصابوا ذهباً كثيراً، فجمع في بيتٍ
طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية أذرع يلقى إليه من كوة في وسطه، فسميت الملتان فرج
بيت الذهب، والفرج: الثغر، وكان بد الملتان تهدى إليه الأموال من كل مكان ويحج إليه من
البلاد، ويحلقون عنده رؤوسهم ولحاهم، ويزعمون أن صنمه هو أيوب النبي عليه الصلاة
والسلام.
وعظمت فتوحاته، فنظر الحجاج في النفقة على ذلك الثغر، فكانت ستين ألف ألف درهم،
ونظر إلى الذي حمل إليه منه فكان مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف، فقال: ربحنا ستين
ألف ألف، وأدركنا ثأرنا ورأس داهر.
قال: واستمر محمد بن القاسم بالهند إلى أن مات الحجاج في سنة خمس وتسعين، فأتاه
الخبر وهو بالملتان فرجع إلى الرور والبغرور، فأعطى الناس، ووجه إلى البيلمان جيشاً،
فأعطوا الطاعة من غير قتال، وسالمه أهل شرشت، ثم أتى محمد الكيرج، فخرج إليه دوهر
فقاتله فانهزم دوهر. وقيل: بل قتل، فنزل أهل المدينة على حكم محمد، فقتل المقاتلة،
وسبى الذرية؛ فقال شاعرهم:
نحن قتلنا داهرا ودوهرا والخيل تردى منسراً فمنسرا

قال: ولما مات الوليد بن عبد الملك وولى سليمان عزل محمد بن القاسم عن السند،
واستعمل يزيد بن أبي كبشة السكسي على السند، فأخذ محمدا وقيده وحمله إلى العراق،
فقال متمثلا:
أضاعوني وأيّ فتىً أضاعوا ليومٍ كريهةٍ وسداد ثغر
فبكى أهل السند.
ولما وصل إلى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط فقال:
فلئن ثويت بواسط وبأرضها رهن الحديد مكبّلاً مغلولا
فلرب قينة فارسٍ قد رعتها ولرب قرنٍ قد تركت قتيلا
قال: فعذبه صالحٌ في رجالٍ من آل أبي عقيل حتى قتلهم،
فقال حمزة بن بيض يرثي محمداً:
إن المروءة والسماحة والندى لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجةً يا قرب ذلك سؤدداً من مولد
قال: وأما يزيد بن أبي كبشة فإنه مات بعد مقدمه إلى السند بثمانية عشر يوماً، فاستعمل
سليمان على السند حبيب بن المهلب، فقدم السند وقد رجع الملوك إلى ممالكهم، ورجع
حيسبة بن داهر إلى برهمنا باذ، فنزل حبيب على شاطيء مهران، وحارب قوماً فظفر
بهم.
ثم مات سليمان، وولي عمر بن عبد العزيز، فكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام
والطاعة على أن يملكهم، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، فأسلم حيسبة والملوك،
وتسموا بأسماء العرب، وكان عمرو بن مسلم الباهلي عامل عمر على ذلك الثغر، فغزا
بعض الهند فظفر بهم، ثم ولي الجنيد بن عبد الرحمن السند أيام هشام بن عبد الملك،
فأتى شط مهران فمنعه حيسة بن داهر من العبور، وأرسل إليه: إني قد أسلمت وولاني
الرجل الصالح بلادي، ولست أمكنك. فأعطاه رهناً، وأخذ منه رهناً على خراج بلاده،
ثم تراد الرهون وكفر حيسبة، وحارب.
وقيل: لم يحارب، وإنما الجنيد تجنى عليه، فأتى الهند، فجمع جموعاً وأعد السفن،
واستعد للحرب، فسار إليه الجنيد في السفن، فالتقوا، فأسر حيسبة فقتله الجنيد، وهرب
صصة بن داهر، وهو يريد أن يمضي إلى العراق فيشكو غدر الجنيد، فلم يزل الجنيد يؤنسه

حتى وضع يده في يده فقتله.
وغزا الجنيد الكيرج؛ وكانوا قد نقضوا، فظفر ودخل المدينة فغنم وسبى، ووجه العمال إلى
المرمد والمندل ودهنج، ووجه جيشاً إلى أزين فأغاروا عليها، وحرقوا ربضها، وفتح
الجنيد البيلمان، وحصل عنده سوى ما حمله أربعون ألف ألف، وحمل مثلها.
وفي أيامه خرج المسلمون عن بلاد الهند. ثم ولى الحكم بن عوام الكلبي، وقد كفر أهل
الهند إلا أهل قصة، فبنى مدينة سماها المحفوظة، وجعلها مأوى للمسلمين، وكان معه
عمرو بن محمد بن القاسم فأغزاه من المحفوظة، فقدم عليه وقد ظهر أمره، فبنى مدينةً
وسماها المنصورة، واسترجع ما كان غلب عليه العدو، ثم قتل الحكم، فكان العمال يقاتلون
العدو، ويفتتحون ما تيسر لهم لضعف الدولة الأموية، ثم جاءت الدولة العباسية فكان من
أمر السند ما نذكره إن شاء الله تعالى، وإنما ذكرنا أخبار السند ههنا لتكون متسقةً،
فلنرجع إلى تتمة الغزوات في أيام الوليد بن عبد الملك:
الغزوات إلى بلاد الروم وما فتح منها وغزوات الصوائف على حكم السنين
في سنة ست وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم. وغزا أيضاً في سنة سبع
وثمانين، فقتل منهم عدداً كثيراً بسوسنة من ناحية المصيصة وفتح حصوناً.
وقيل: إن الذي غزا في هذه السنة هشام بن عبد الملك، ففتح حصن بولق، وحصن
الأخرم، وحصن بولس وقمقم، وقتل من المستعربة نحواً من ألف مقاتل، وسبى ذريتهم
ونساءهم. والله أعلم.
فتح طوانة وغيرها من بلد الروم
وفي سنة ثمانٍ وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس ابن الوليد بلد الروم، وكان الوليد
قد كتب إلى صاحب أرمينية يأمره أن يكتب إلى ملك الروم يعرفه أن الخزر وغيرهم من
ملوك جبال أرمينية قد أجمعوا على قصد بلاده ففعلوا ذلك، وقطع الوليد البعث على أهل
الشام إلى أرمينية، فتجهزوا، وساروا نحو الجزيرة، ثم عطفوا منها إلى بلاد الروم فاقتتلوا هم
والروم، فانهزم الروم، ثم رجعوا فانهزم المسلمون، وبقي العباس في نفرٍ، فنادى: يأهل القرآن؛

فأقبلوا جميعاً، فهزم الله الروم حتى دخلوا طوانة، وحصرهم المسلمون وفتحوها في جمادى
الأولى منها.
ثم غزا مسلمة والعباس الروم في سنة تسع وثمانين، فافتتح مسلمة حصن سورية، وافتتح
العباس أذرولية، ولقي من الروم جمعاً فهزمهم.
وقيل: إن مسلمة قصد عمورية، فلقي بها جمعاً كثيراً من الروم فهزمهم وافتتح هرقلية
وقمولية. وغزا العباس الصائفة من ناحية البدندون، وغزا مسلمة الترك من ناحية
أذربيجان، ففتح حصونا ومدائن هناك، وذلك في سنة تسع وثمانين أيضاً.
وغزا مسلمة الروم في سنة تسعين، ففتح الحصون الخمسة التي بسورية.
وغزا العباس حتى بلغ أرزن وبلغ سورية.
وفي سنة إحدى وتسعين غزا عبد العزيز بن الوليد الصائفة، وكان على ذلك الجيش
مسلمة بن عبد الملك.
وغزا مسلمة الترك في هذه السنة من ناحية أذربيجان حتى بلغ الباب، وفتح مدائن
وحصونا، ونصب عليها المجانيق. وغزا مسلمة أرض الروم في سنة اثنتين وتسعين، ففتح
حصوناً ثلاثة، وجلا أهل سوسنة إلى بلاد الروم.
وفيها كان فتح الأندلس على يد طارق بن زياد مولى موسى بن نصير على ما نذكر ذلك إن
شاء الله في أخبار المغرب، وغزيت جزيرة سردانية وسنذكر ذلك أيضاً إن شاء الله.
وغزا العباس الروم في سنة 93 ثلاث وتسعين، ففتح سبسطية المرزبانيين.
وغزا مروان بن الوليد الروم فبلغ خنجرة، وغزا مسلمة ففتح ماسية وحصن الحديد.
وغزالة من ناحية ملطية.
وغزا العباس بن الوليد الروم ففتح أنطاكية في سنة أربع وتسعين. وغزا العباس في سنة
خمس وتسعين، ففتح هرقلة وغيرها، وفيها قتل الوضاحي بأرض الروم ونحو ألف رجل
معه.
انتهت الغزوات في أيام الوليد بن عبد الملك. فلنذكر خلاف ذلك من الحوادث على حكم
السنين:
الحوادث الكائنة في أيام الوليد بن عبد الملك خلاف ما قدمناه سنة ست وثمانون

في هذه السنة حبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وعزل حبيب بن
المهلب عن كرمان وعبد الملك عن شرطته. وحج بالناس هشام بن إسماعيل المخزومي.
سنة سبع وثمانون
في هذه السنة عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن المدينة لسبع ليالٍ خلون
من شهر ربيع الأول، واستعمل عمر بن عبد العزيز، فقدمها في الشهر، وثقله على ثلاثين
بعيراً، فنزل دار مروان، وأحسن السيرة في الناس، واستعان بفقهاء المدينة، وحرضهم على
أني بلغوه ما يبلغهم من أخبار عماله، وأن يعينوه على الحق، وقال: إني أريد ألا أقطع أمراً
دونكم.
وحج عمر بالناس في هذه السنة، وكان عل قضاء المدينة أبو بكر ابن عمرو بن حزم،
وعلى قضاء البصرة عبد الله بن أذينة، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى
الأشعري رضي الله عنهم.
سنة ثمان وثمانون
ذكر عمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والزيادة فيه
في هذه السنة كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز في شهر ربيع الأول يأمره بإدخال حجر
أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد، وأن يشتري ما في نواحيه حتى يكون مائتي
ذراع، ويقول له: قدم القبلة إن قدرت، وأنت تقدر لمكان أخوالك؛ فإنهم لا يخالفونك، فمن
أبى منهم فقوموا ملكه قيمة عدلٍ، واهدم عليهم، وادفع الأثمان إليهم، فإن لك في عمر
وعثمان رضي الله عنهما أسوة.
فأحضرهم عمر وأقرأهم الكتاب، فأجابوا إلى أخذ الثمن؛ فأعطاهم إياه، وهدم الحجر،
وأرسل الوليد الفعلة من الشام، وبعث إلى ملك الروم يعلمه أنه قد هدم مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم ليعمره، فبعث إليه الروم مائة ألف مثقال من ذهبٍ ومائة عامل، وبعث إليه
من الفسيفساء بأربعين جملا. فبعث الوليد بذلك إلى عمر بن عبد العزيز، وحضر عمر
ومعه الناس، فوضعوا أساسه.
وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز في تسهيل البناء وحفر الآبار، وأمره أن يعمل الفوارة

بالمدينة، فعملها وأجرى ماءها، وكتب إلى البلدان جميعها بإصلاح الطرق وعمل الآبار.
وفيها منع الوليد المجذمين من الخروج على الناس، وأجرى لهم الأرزاق.
وحج بالناس عمر بن عبد العزيز، ووصل جماعةً من قريش، وساق معه بدناً، وأحرم من
ذي الحليفة، فلما كان بالتنعيم أخبر أن مكة قليلة الماء، وأنهم يخافون على الحاج العطش.
فقال عمرك تعالوا ندعوا الله تعالى؛ فدعا ودعا معه الناس، فما وصلوا إلى البيت إلا مع
المطر، وسال الوادي، فخاف أهل مكة من شدته، ومطرت عرفة ومكة، وكثر الخصب.
وقيل: إنما حج هذه السنة عمر بن الوليد والله أعلم.
سنة تسع وثمانون
ذكر ولاية خالد بن عبد الله القسري مكة وما خطب الناس به وقاله
وفي هذه السنة ولي خالد بن عبد الله القسري، فخطب أهلها فقال: أيها الناس، أيهما
أعظم، أخليفة الرجل على أهله أو رسوله إليهم ؟ والله لو لم تعلموا من فضل الخليفة إلا
أن إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام استسقاه فسقاه ملحاً أجاجاً، واستسقاه
الخليفة فسقاه عذباً فراتا، يعني بالملح زمزم، وبالماء الفرات بئراً حفرها الوليد بثنية طوى في
ثنية الحجون، فكان ماؤها عذباً، وكان ينقل ماءها ويضعه في حوضٍ إلى جنب زمزم
ليعرفَ فضله على زمزم، فغارت البئر وذهب ماؤها.
وقيل: كانت ولاية خالد في سنة إحدى وتسعين. وقيل سنة أربع.
وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز.
سنة تسعون
ذكر هرب يزيد بن المهلب واخوته من سجن الحجاج
في هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وإخوته، وكان الحجاج قد خرج إلى رستقباذ للبعث،
لأن الأكراد كانوا قد غلبوا على فارس، وأخرج معه يزيد بن المهلب وإخوته، وجعل عليهم
مثل الخندق، وجعلهم في فسطاطٍ قريبٍ منه، وجعل عليهم الحرس من أهل الشام، وطلب
منهم ستة آلاف ألفٍ، وعذبهم؛ فكان يزيد يصبر صبرا حسناً، فكان ذلك مما يغيظ
الحجاج، فقيل له: إنه رمى في ساقه بنشابة فثبت نصلها فيه فهو لا يمسها شيء إلا صاح،

فأمر أن يعذب في ساقه، فعذب، فصاح، فسمعته أخته هند، وكانت عند الحجاج
فصاحت، فطلقها الحجاج، ثم كف عنهم وجعل يستأدى منهم المال، فصنع يزيد للحرس
طعاماً كثيراً وأمر لهم بشرابٍ، فسقوا، واشتغلوا، فلبس يزيد ثياب طباخه وخرج، وقد
جعل له لحيةً بيضاء، فرآه بعض الحرس، فقال: كأن هذه مشية يزيد، فلحقه فرأى لحيته
بيضاء، فتركه، وعاد وخرج المفضل ولم يفطن له، وكذلك عبد الملك، فجاءوا إلى سفن
معدة فركبوها، وساروا ليلتهم.
ولما أصبح الحجاج وعلم بهم الحرس رفعوا أمرهم إليه ففزع، وظن أنهم قصدوا خراسان
لفتنةٍ، فبعث إلى قتيبة يأمره بالجد والاحتياط.
ولما دنا يزيد وإخوته من البطائح استقبلتهم خيلٌ قد ضمرت وأعدت لهم، فركبوها ومعهم
دليلٌ من كلب، فأخذوا على السماوة إلى الشام، فأتى الحجاج الخبر، فكتب إلى الوليد
يعلمه. وسار يزيد حتى قدم فلسطين، فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي، وكان
كريما على سليمان بن عبد الملك، فجاء وهيب إلى سليمان فأعلمه بحال يزيد وإخوته،
وأنهم قد استعاذوا به من الحجاج. قال: فأتني بهم، فإنهم آمنون لا يوصل إليهم وأنا حي.
فجاء بهم إليه فكانوا عنده في مكان آمنٍ.
وكتب الحجاج إلى الوليد: إن آل المهلب خانوا مال الله وهربوا مني، ولحقوا بسليمان.
فلما علم أنهم عند أخيه سكن بعض مابه، وكتب إليه سليمان: إن يزيد عندي وقد
أمنته، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألفٍ، لأن الحجاج أغرمه ثلاثة آلاف ألف، والذي بقي عليه أنا
أؤديه.
فكتب الوليد: والله لا أؤمنه حتى تبعث به إلي....
فكتب سليمان: لئن بعثت به إليك لأجيئن معه.
فكتب إليه: والله لئن جئتني لا أؤمنه. فقال يزيد بن المهلب: أرسلني إليه، فوالله ما أحب
أن أوقع بينك وبينه عداوة، واكتب معي بألطف ما قدرت عليه. فأرسله، وأرسل معه
ابنه أيوب.
وكان الوليد قد أمره أن يبعث به مقيداً. فقال سليمان لابنه: إذا دخلت على أمير المؤمنين

فادخل أنت ويزيد في سلسلةٍ. ففعل ذلك، فلما رأى الوليد ابن أخيه في سلسلةٍ قال: لقد
بلغنا من سليمان.
ودفع أيوب كتاب أبيه إلى عمه، وقال: يا أمير المؤمنين، لا تخفر ذمة أبي، وأنت أحق من
منعها، ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك، ولا تذل من رجا العز
في الانقطاع إلينا لعزنا بك.
فقرأ الوليد كتاب سليمان فإذا هو يستعطفه ويشفع فيه، ويضمن إيصال المال.
فقال: لقد شققنا على سليمان.
وتكلم يزيد واعتذر، فأمنه الوليد، ورده إلى سليمان، وكتب إلى الحجاج: إني لم أصل إلى
يزيد وأهله لمكانهم من سليمان، فاكفف عنهم، وكان أبو عيينة بن المهلب عند الحجاج
عليه ألف ألف، فتركها له، وكف عن حبيب بن المهلب، وكان يعذب بالبصرة، وأقام يزيد
عند سليمان في أرغد عيش، وكان لا تصل إليه هديةٌ إلا بعث بنصفها إلى يزيد، ولا تعجبه
جارية إلا بعث بها إليه، وكان يزيد إذا أتته هدية بعث بها إلى سليمان.
وفي هذه السنة استعمل الوليد قرة بن شريك على مصر، وعزل أخاه عبد الله عنه.
وفيها أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر، فأهداه ملكهم إلى الوليد.
وحج بالناس عمر بن عبد العزيز.
وفيها مات أنس بن مالك رضي الله عنه الأنصاري. وقيل: سنة اثنتين وتسعين، وكان
عمره ستاً وتسعين سنة، وقيل مائة وست سنين.
سنة واحد وتسعون
في هذه السنة حج الوليد بن عبد الملك بالناس، فلما قدم المدينة دخل المسجد ينظر إلى
بنائه، فأخرج الناس منه، ولم يبق غير سعيد بن المسيب، لم يجسر أحد من الحرس أن
يخرجه، فقيل له رضي الله عنه: لو قمت. فقال: لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم
فيه. قيل له: فلو سلمت على أمير المؤمنين. قال: لا، والله لا أقوم إليه. قال عمر بن عبد
العزيز: فجعلت أعدل بالوليد في ناحية المسجد لئلا يراه، فالتفت الوليد إلى القبلة، فقال: من
ذلك الشيخ: أهو سعيد ؟ قلت: نعم. ومن حاله كذا وكذا، ولو علم بمكانك لقام فسلم

عليك.
فقال الوليد: قد علمت حاله، نحن نأتيه، فأتاه فقال: كيف أنت أيها الشيخ ؟ فوالله ما
تحرك سعيد. فقال: بخير والحمد لله؛ فكيف أمير المؤمنين ؟ وكيف حاله ؟ فانصرف
وهو يقول: هذا بقية الناس. وقسم الوليد بالمدينة رقيقاً كثيراً وآنية من ذهبٍ وفضة
وأموالاً، وصلى بالمدينة الجمعة، وخطب الخطبة الأولى جالسا والثانية قائماً.
وفيها عزل الوليد عامله محمد بن مروان عن الجزيرة وأرمينية، واستعمل عليها أخاه
مسلمة بن عبد الملك، فغزا الترك كما تقدم.
سنة اثنان وتسعون
في هذه السنة حج بالناس عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة وكان من الغزوات
والفتوحات ما تقدم ذكره.
سنة ثلاث وتسعون
ذكر عزل عمر بن عبد العزيز
في هذه السنة عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن الحجاز والمدينة، وكان سبب ذلك أن
عمر كتب إلى الوليد يخبره بعسف الحجاج وظلمه، فبلغ ذلك الحجاج، فكتب إلى الوليد: إن
من عندي من المراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة، وإن ذلك
وهن.
فكتب إليه الوليد يستشيره فيمن يوليه المدينة ومكة، فأشار بخالد بن عبد الله القسري
وعثمان بن حيان، فولي خالداً مكة وعثمان المدينة، فلما قدم خالدٌ مكة أخرج من بها من
أهل العراق كرهاً، وتهدد من أنزل عراقياً أو أجره داراً. وقيل: كان ذلك قبل هذا التاريخ.
والله أعلم.
وفيها كتب الوليد إلى عمر قبل عزله يأمره أن يضرب خبيب ابن عبد الله بن الزبير،
ويصب على رأسه ماءً بارداً، فضربه خمسين سوطاً. وصب على رأسه ماءً بارداً في يوم
شاتٍ، ووقفه على باب المسجد، فمات من يومه.
وحج بالناس عبد العزيز بن الوليد.
سنة أربع وتسعون
مقتل سعيد بن جبير
في هذه السنة قتل الحجاج بن يوسف سعيد بن جبير، وهو أبو عبد الله سعيد بن جبير

بن هشام الأسدي مولى بني والبة: بطنٌ من بني أسد بن خزيمة.
وكان سبب قتله خروجه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان الحجاج قد جعله
على عطاء الجند حين وجه عبد الرحمن لقتال رتبيل، فلما خلع عبد الرحمن الحجاج وعبد
الملك كان سعيدٌ ممن خلع؛ فلما هزم عبد الرحمن هرب سعيد إلى أصبهان، فكتب الحجاج
إلى عاملها يأمره بإرساله، فتحرج العامل من ذلك، وأرسل إلى سعيد يعرفه أن يفارق البلد،
فخرج إلى أذربيجان. ثم خرج إلى مكة، فكان بها حتى قدم خالد بن عبد الله مكة،
وأخرج أهل العراق إلى الحجاج، فأخذ سعيد فيمن أخذ، وسيره إلى الحجاج مع حرسيين،
فانطلق أحدهما لحاجته في بعض الطريق وبقي الآخر فنام واستيقظ. فقال لسعيد: إني أبرأ
إلى الله من دمك، إني رأيت في منامي قائلا يقول لي: ويلك ! تبرأ إلى الله من دم سعيد بن
جبير، فاذهب حيث شئت، فإني لا أطلبك، فأبى سعيد ذلك، ورأى الحرسي ذلك ثلاث
مرات وهو يكرر القول على سعيد في الذهاب فلا يفعل. ثم قدم الكوفة فأدخل على
الحجاج، فلما رآه قال: لعن الله ابن النصرانية - يعني خالد بن عبد الله، أما كنت أعرف
مكانه، بلى والله والبيت الذي كان فيه بمكة. ثم أقبل عليه وقال: يا سعيد، ألم أشركك في
أمانتي ؟ ألم أستعملك ؟ قال: بلى. قال: فما أخرجك علي ؟ قال: إنما أنا امرؤ من
المسلمين يخطيء مرةً ويصيب مرة. فطابت نفس الحجاج، ثم عاوده في شيء، فقال: إنما
كانت بيعته في عنقي. فغضب الحجاج وانتفخ. وقال: يا سعيد، ألم أقدم مكة فقتلت ابن
الزبير وأخذت بيعة أهلها، وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال: بلى. قال: ثم
قدمت الكوفة والياً فجددت البيعة فأخذت بيعتك ثانياً ؟ قال: بلى. قال: فنكثت بيعتين
لأمير المؤمنين، وتوفي بواحدةٍ للحائك ابن الحائك، والله لأقتلنك. قال: إني إذاً لسعيد كما
سمتني أمي، فأمر به فضربت رقبته. فلما سقط رأسه هلل ثلاثاً؛ أفصح بمرة ولم يفصح
بمرتين، والتبس عقل الحجاج فجعل يقول: قيودنا قيودنا، فظنوا أنه يريد القيود، فعطفوا رجلي

سعيد من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود.
وكان الحجاج إذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه، فيقول: يا عدو الله، فيم قتلتني،
فيقول: مالي ولسعيد بن جبير ! مالي ولسعيد بن جبير ! يكررها.
وفيها كانت الزلازل بالشام فدامت أربعين يوما، فخربت البلاد، وكان معظم ذلك بأنطاكية.
وفاة زين العابدين
علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ونبذة من أخباره
كانت وفاته بالمدينة في أول سنة أربع وتسعين. وقيل في سنة اثنتين. وقيل سنة ثلاث.
وقيل سنة تسع وتسعين. وقيل سنة مائة. حكى هذا الاختلاف أبو القاسم بن عساكر في
تاريخ دمشق، واقتصر ابن الأثير الجزري على سنة أربع وتسعين دون غيرها.
وكان رحمه الله يكنى أبا عبد الله، ويقال أبو محمد، ويقال أبو الحسن، ويقال أبو الحسين
زين العابدين. ومولده سنة ثلاث وثلاثين، وأمه أم ولد اسمها غزالة خلف عليها بعد الحسين
زييد مولى الحسين، فولدت له عبد الله بن زييد.
وقال إسماعيل بن موسى السدى: عبد الرحمن بن حبيب أخو علي ابن الحسين لأبيه،
وكان رحمه الله ثقة ورعاً مأموناً كثير الحديث من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعةً.
حكى أبو القاسم بن عساكر في تاريخه عن الزهري، قال: شهدت على بن الحسين يوم
حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام، فأوثقه حديداً، ووكل به حفاظاً
فاستأذنتهم في التسليم عليه والتوديع له فأذنوا لي فدخلت عليه، وهو في قبةٍ والقيود في
رجليه والغل في يديه، فسكنت وقلت: وددت أني مكانك وأنت سليم. فقال: يا زهري، أو
تظن هذا مما ترى علي وفي عنقي. أما إني لو شئت ما كان. ثم أخرج يديه من الغل
ورجليه من القيد.
ثم قال: يا زهري، جزت معهم على هذا منزلتين من المدينة. فما لبثنا إلا أربع ليالٍ حتى
قدم الموكلون به يطلبونه بالمدينة، فما وجدوه، فكنت فيمن سألهم عنه، فقال لي بعضهم: إنا
نراه متبوعاً، إنه لنازلٌ - ونحن حوله لا ننام نرصده - إذ أصبحنا، فما وجدنا إلا حديده.

قال الزهري: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك فسألني عن علي ابن الحسين، فأخبرته،
فقال لي: إنه قد جاءني في يوم فقده الأعوان، فدخل علي، فقال: أنا وأنت ! فقلت: أقم
عندي. فقال: لا أحب، فخرج، فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفةً.
قال الزهري: فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس علي بن الحسين حيث تظن، إنه لمشغولٌ
بنفسه. فقال: نعم.
وقيل: وقع حريقٌ بالمدينة في بيتٍ فيه علي بن الحسين، فجعلوا يقولون: يا ابن رسول الله،
النار ! فما رفع رأسه حتى أطفئت، فقيل له: ما الذي ألهاك عنها ؟ قال: ألهاني عنها
النار الأخرى. .
وقيل: كان إذا مشى لا تجاوز يده فخذيه، ولا يخطر بيده. وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته
رعدة، فقيل له: مالك ؟ فقال: ما تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي.
قيل: وكان إذا توضأ اصفر فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول:
تدرون بين يدي من أريد أقوم ؟
وعن سفيان بن عيينة قال: حج علي بن الحسين، فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر
لونه وانتفض، ووقع عليه الرعدة، ولم يستطع أن يلبي. فقيل له: مالك لا تلبي ؟ فقال: أخشى
أن أقول لبيك، فيقول لي: لا لبيك. فقيل له: لا بد من هذا. فلما لبى غشى عليه، وسقط
من راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه.
وقيل: كان رضي الله عنه يصلي في كل يوم وليلةٍ ألف ركعة إلى أن مات رضي الله عنه.
وكان يسمى بالمدينة زين العابدين لعبادته. وقيل: إنه قاسم الله ماله مرتين، وكان يحمل
الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين في ظلمة الليل، ويقول: إن الصدقة في ظلمة الليل
تطفئ غضب الرب.
وأعتق غلاماً أعطاه به عبد الله بن جعفر عشرة آلاف درهم وألف دينار. قيل:
وسكبت جاريةٌ عليه الماء ليتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من يدها على وجهه، فشجه،
فرفع رأسه إليها، فقالت: إن الله عز وجل يقول: "والكاظِمِيْنَ القَيْظَ". قال: قد كظمت
غيظي. قالت: "والْعَافِين عن الناس". قال: قد عفا الله عنك. قالت: والله يحب

المحسنين. قال: اذهبي فأنت حرة.
قيل: وأذنب له غلام ذنباً استحق منه العقوبة، فأخذ السوط.
فقال الغلام: قل للذين آمنوا
يغفروا للذين لا يرجون أيام الله، وما أنا كذلك، إني لأرجو رحمة الله، وأخاف عذابه، فألقى
السوط، وقال: أنت عتيق.
وقيل: حج هشام بن عبد الملك في زمن عبد الملك أو في زمن الوليد، فلما طاف جهد أن
يستلم الحجر فلم يطق لزحام الناس عليه، فنصب له منبرٌ، وجلس ينظر إلى الناس، إذ أقبل
علي بن الحسين رضي الله عنه من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً، فطاف بالبيت،
فكان كلما بلغ الحجر تنحى الناس له حتى يستلمه. فقال رجلٌ من أهل الشام: من هذا
الذي قد هابه الناس هذه المهابة ؟ فقال هشام: لا أعرفه - مخافة أن يرغب الناس فيه،
وكان حوله وجوه أهل الشام، والفرزدق الشاعر، فقال الفرزدق: لكنني أنا أعرفه، فقال أهل
الشام: من هذا يا أبا فراس ؟ فزبره هشام، وقال: لا أعرفه. فقال الفرزدق: بل تعرفه، ثم
أنشد مشيراً إليه:

هذا سليل حسين وابن فاطمة — بنت الرسول الذي انجابت به الظّلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته — والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهمو — هذا النّقي التّقي الطاهر العلم
إذا رأته قريشٌ قال قائلها — إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يرقى إلى ذروة العزّ الذي قصرت — عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته — ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يغضى حياءً ويغضى من مهابته — فلا يكلّم إلا حين يبتسم
بكفّه خيزران ريحها عبقٌ — من كفّ أروع في عرنينه شمم
من جدّه دان فضل الأنبياء له — وفضل أمته دانت له الأمم
ينشقّ نور الهدى عن نور غرّته — كالشمس تنجاب عن إشراقها الظّلم
مشتقة من رسول الله نبعته — طابت عناصرها والخيم والشّيم
هذا ابن فاطمةٍ إن كنت جاهله — بجدّه أنبياء الله قد ختموا
الله شرّفه قدماً وفضّله — جرى بذاك له في لوحه القلم
فليس قولك من هذا بضائره — العرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياثٌ عمّ نفعهما — يستو كفان ولا يعروهما عدم
حمّال أثقال أقوام إذا فدحوا — حلو الشمائل تحلو عنده نعم

لا يخلف الوعد ميمونٌ نقيبته رحب الفناء أريب حين يعتزم
من معشرٍ حبّهم دين وبغضهمو كفرٌ وقربهمومنجىً ومعتصم
إن عدّ أهل التّقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل همو
لا يستطيع جوادٌ بعد غايتهم ولا يدانيهم قومٌ وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمةٌ أزمت والأسد أسد الشّرى والبأس محتدم
لا ينقص العسر بسطاً من أكفّهم سيّان ذلك إن أثروا وإن عدموا
يستدفع السوء والبلوى بحبّهمو ويستردّ به الإحسان والنعم
مقدّمٌ بعد ذكر الله ذكرهمو في كل أمرٍ ومختومٌ به الكلم
يأبى لهم أن يحلّ الذّلّ ساحتهم خيمٌ كريم وأيدٍ بالندى هضم
أيّ الخلائق ليست في رقابهمو لأوّليّة هذا أو له نعم
من يشكر الله يشكر أوليّة ذا فالدّين من بيت هذا بابه الأمم
قال: فغضب هشام لذلك وتنغص عليه يومه، وأمر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة
والمدينة، وبلغ ذلك علي بن الحسين رضي الله عنه، فبعث إليه باثني عشر ألف درهم،
وقال: اعذر أبا فراس، لو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك بها، فردها الفرزدق، وقال: ما
قلت الذي قلت إلا غضباً لله ولرسوله، وما كنت لأرزأ عليها شيئاً، فردها عليه، وقال:
بحقي عليك إلا قبلتها، فقد علمت أنا أهل بيت إذا أنفذنا أمراً لا نرجع فيه، وقد رأى الله
مكانك، وعلم نيتك، والجزاء عليه تعالى. فقبلها.
وجعل الفرزدق يهجو هشاماً، فكان مما هجاه به:
أتحبسني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوى منيبها
يقلّب رأساً لم يكن رأس سيّدٍ وعينين حولاوين بادٍ عيوبها
وكان علي بن الحسين يقول: لقد استرقك بالود من سبقك بالشكر.
ولما حضرته الوفاة أوصى ألا يؤذنوا به أحداً، وأن يكفن في قطن، ولا يجعلوا في حنوطه
مسكاً، ودفن بالبقيع رحمه الله ورضي عنه.
ومات أيضاً في هذه السنة عروة بن الزبير رضي الله عنهما، وسعيد بن المسيب، وأبو
بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام.
وحج بالناس مسلمة بن عبد الملك. وقيل عبد العزيز بن الوليد.
وفيها استقضى الوليد على الشام سليمان بن حبيب.
وفاة الحجاج
بن يوسف الثقفي وشيء من أخباره

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن عامر بن مسعود بن مالك بن
كعب بن عمرو بن سعد بن عوف ابن ثقيف، كانت وفاته في شوال سنة خمس وتسعين،
وقيل لخمسٍ بقين من شهر رمضان من السنة، وله من العمر أربعٌ وخمسون، وقيل ثلاث
وخمسون.
روى أن عمر بن عبد العزيز ذكر عنده ظلم الحجاج وغيره من ولاة الأمصار في أيام الوليد
بن عبد الملك، فقال عمر بن العزيز: الحجاج بالعراق، والوليد بالشام، وقرة بن شريك بمصر،
وعثمان بالمدينة، وخالد بمكة؛ اللهم قد امتلأت ظلماً وجوراً، فأرح الناس. فلم يمض غير
قليل حتى توفى الحجاج وقرة في شهر واحد، ثم تبعهم الوليد، وعزل عثمان بن حيان،
وخالد بن عبد الله القسري، واستجاب الله لعمر.
وما أشبه هذه القصة بقصة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما بلغه أن زياد ابن أبيه
كتب إلى معاوية يقول: إني قد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغةٌ. فقال ابن عمر: اللهم
أرحنا من يمين زياد، وأرح أهل العراق من شماله. فاستجاب الله له.
وكان من خبر وفاة زياد ما ذكرناه.
وكانت ولاية الحجاج العراق عشرين سنة، ولما حضرته الوفاة استخلف على الصلاة ابنه
عبد الله، وعلى حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبي كبشة، وعلى الخراج يزيد بن أبي
مسلم، فأقرهما الوليد بعده.
وكان الحجاج من أفصح الناس. قال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحجاج ومن
الحسن، وقد ذكرنا من كلامه عند مقدمه الكوفة ما يدل على فصاحته.
ومن أخباره أن عبد الملك كتب إليه يأمره بقتل أسلم بن عبد الله البكري لشيءٍ بلغه
عنه، فأحضره الحجاج، فقال: أمير المؤمنين غائب وأنت حاضر، والله تعالى يقول: "يأيُّها
الذين آمَنُوا إنْ جَاءَكم فاسِقٌ بنبإٍ فتبيَّنُوا..." الآية. والذي بلغه عني فباطل. فاكتب
إلى أمير المؤمنين أني أعول أربعا وعشرين امرأة، وهن بالباب؛ فأحضرهن، وكان في آخرهن
جاريةٌ قاربت عشر سنين. فقال لها: من أنت منه ؟ قالت: ابنته، أصلح الله الأمير، ثم

أنشأت:
أحجاج لو تشهد مقام بناته وعماته يندبنه الليل أجمعا
أحجاج لا تقتل به إن قتلته ثماناً وعشراً واثنتين وأربعا
أحجاج من هذا يقوم مقامه علينا فمهلا أن تزدنا تضعضعا
أحجاج إما أن تجود بنعمةٍ علينا وإما أن تقتّلنا معا
فبكى الحجاج، وقال: والله لاأعنت الدهر عليكن ولازدتكن تضعضعاً.
وكتب إلى عبد الملك بخبره وبخر الجارية، فكتب إليه: إذا كان الأمر كما ذكرت فأحسن
صلته وتفقد الجارية، ففعل.
قال عاصم بن بهدلة: سمعت الحجاج يقول: اتقوا الله ما استطعتم، هذا والله مثنوية،
واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ليس فيه مثنوية، والله لو أمرتكم أن تخرجوا من
هذا الباب فخرجتم من هذا لحلت لي دماؤكم، ولا أجد أحداً يقرأ علي قراءة ابن أم عبد
- يعني ابن مسعود - إلا ضربت عنقه، ولأحكنها من المصحف ولو بضلع خنزير.
قال الأوزاعي: قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج
لغلبناهم.
قال الحسن: سمعت عليا يقول على المنبر: اللهم ائتمنتهم فخانوا، ونصحتهم فغشوني، اللهم
فسلط عليهم غلام ثقيف يحكم في دمائهم وأموالهم بحكم الجاهلية، فوصفه. قال الحسن:
هذه والله صفة الحجاج.
قال حبيب بن أبي ثابت: قال علي رضي الله عنه لرجل: لا تموت حتى تدرك فتى
ثقيف. قيل: يا أمير المؤمنين؛ ما فتى ثقيف ؟ قال: ليقالن له يوم القيامة: اكفنا زاويةً من
زوايا جهنم، رجل يملك عشرين سنة أو بضعاً وعشرين، فلا يدع لله معصيةً إلا ارتكبها،
حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة وبينها وبينه بابٌ مغلقٌ لكسره حتى يرتكبها، يقتل من
أطاعه بمن عصاه.
وقيل: أحصى من قتله الحجاج صبراً فكانوا مائة ألف وعشرين ألفاً.
وقيل: إن الحجاج مر بخالد بن يزيد بن معاوية وهو يخطر في شيته، فقال رجل لخالد: من
هذا؟ فقال خالد: بخ بخ ! هذا عمرو ابن العاص. فسمعها الحجاج فرجع، وقال: والله ما

يسرني أن العاص والدي، ولكني ابن الأشياخ من ثقيف، والعقائل من قريش، وأنا الذي
ضربت بسيفي هذا مائة ألف كلهم يشهد أن أباك كان يشرب الخمر ويضمر الكفر. ثم
ولي، وهو يقول: بخٍ بخ عمرو بن العاص ! فقد أقر على نفسه بمائة ألف قتيل على ذنبٍ
واحد.
وحج بالناس في هذه السنة بشر بن الوليد بن عبد الملك.
وفاة الوليد سنة
وشيءٍ من أخباره وسيرته وأولاده وعماله
كانت وفاته بدير مران في النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة. ودير مران كان بجبل
قاسيون بظاهر دمشق، وهو الآن مدرسةٌ وتربةٌ منسوبة إلى الملك المعظم شرف الدين
عيسى ابن العادل ابن أيوب. كانت مدة خلافته تسع سنين وثمانية أشهر. ودفن خارج
الباب الصغير بدمشق. وقيل في مقابر الفراديس. وصلى عليه عمر بن عبد العزيز. ولما
دلى في حفرته جمعت ركبتاه إلى عنقه، فقال ابنه: عاش أبي ؟ فقال له عمر بن عبد العزيز
- وكان فيمن دفنه: عوجل والله أبوك. وكان عمره اثنتين وأربعين سنة وستة أشهر. وقيل
سبعاً وأربعين. وقيل ثمانياً وأربعين. والله أعلم.
وكان أسمر اللون، جميل الوجه، أفطس الأنف. وقيل. كان سائل الأنف جدّاً وبوجهه آثار
جدري.
وكان نقش خاتمه: يا وليد، إنك ميت.
وكان له من الأولاد تسعة عشر ذكراً، وعدهم بعض المؤرخين عشرين، وهم: يزيد،
وإبراهيم - وليا الخلافة، والعباس فارس بني مروان، وعمر فحل بني مروان، وعبد العزيز،
وبشرن وصدقة، ومحمد، وتمام، وخالد، وعبد الرحمن، ومبشر، ومسرور، وأبو عبيدة،
ومنصور، ومروان، وعنبسة، وعمرو، وروح، ويحيى، هؤلاء الذكور، سوى البنات.
كتابه: قرة بن شريك، ثم قبيصة بن ذؤيب، ثم الضحاك ابن يزيد، ثم يزيد بن أبي كبشة، ثم
عبد الله بن بلال.
قضاته: عبد الله بن بلال، وسليمان بن حبيب.
حجابه: خالد، وسعيد مولياه.
الأمراء بمصر: أخوه عبد الله، ثم قرة بن شريك.

قاضيها: عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة، ثم صرفه قرة
وولي عياض بن عبد الله، ثم
وليها عبد الملك بن رفاعة بعد وفاة قرة.
وكان عماله على الأمصار من ذكرناهم.
قال: وكان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام من أفضل
خلفائهم، وله آثارٌ حسنة ومبان
عظيمة، وفتح في أيامه بلاد الأندلس وما وراء النهر وبلاد الهند.
قال: وكان الوليد يمر بالبقال فيقف عليه، ويأخذ منه حزمة
بقلٍ، فيقول: بكم هذه ؟
فيقول: بفلس. فيقول الوليد: زد فيها.
وبنى جامع دمشق في سنة ست وثمانين، وهدم كنيسة النصارى
التي كانت إلى جانبه،
وتعرف بماريوحنا، وزادها فيه.
وقيل: كان في الجامع وهو يبني اثنا عشر ألف مرخم. وتوفي
الوليد ولم يتم بناؤه، وكان
الفراغ منه في أيام سليمان أخيه.
وقيل: إن جملة ما أنفق عليه أربعمائة صندوق، في كل صندوق
أربعة عشر ألف دينار،
وكان فيه ستمائة سلسلةٍ من الذهب للقناديل، ولم تطق الناس
الصلاة فيه لكثرة شعاعه،
فدخنت حتى اسودت، فلما ولي عمر بن عبد العزيز جعلها في
بيت المال، وعوضها
بالحديد.
وأمر الوليد ببناء جامع البيت المقدس في سنة ثمان ثمانين.
قيل: وحج الوليد بالناس ثلاث حجج: سنة ثمان وثمانين، وسنة
إحدى وتسعين، وسنة
أربع وتسعين.
قال: وكان الوليد أراد أن يخلع أخاه سليمان، ويبايع لولده عبد
العزيز، فأبى سليمان،
فكتب إلى عماله، ودعا الناس إلى خلعه، فلم يجبه إلى ذلك إلا
الحجاج وقتيبة وخواص من
الناس.
فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم عليه، فأبطأ، فعزم
على المسير إليه ليخلعه، وأخرج
خيمةً فمات قبل أن يسير إليه.
قال: وكان الوليد لحاناً لا يحسن العربية، فعاتبه أبوه، وقال: إنه
لا يلي العرب إلا من يحسن
كلامهم؛ فجمع النحاة، ودخل بيتاً فلم يخرج منه ستة أشهر، ثم
خرج وهو أجهل منه يوم
دخل، فقال عبد الملك: قد أعذر. والله سبحانه وتعالى أعلم.
بيعة سليمان بن عبد الملك

هو أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، وأمه ولادة أم أخيه الوليد، وهو
السابع من ملوك بني أمية. بويع له يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة، وهو يوم وفاة
أخيه الوليد، وكان إذ ذاك بالرملة، وكان الوليد قد أراد خلعه من ولاية العهد، فمات قبل
أن يتم له ما أراد من ذلك.
ولنذكر الحوادث الكائنة في أيامه على حكم السنين:
قتل قتيبة بن مسلم
وفي هذه السنة قتل قتيبة بن مسلم الباهلي بخراسان، وكان سبب ذلك أنه أجاب الوليد
إلى خلع سليمان كما ذكرنا، فلما أفضت الخلافة إلى سليمان خشى قتيبة أن سليمان
يستعمل يزيد بن المهلب على خراسان، فكتب قتيبة إلى سليمان كتاباً يهنئه بالخلافة ويذكر
بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد، وأنه له على مثل ذلك إن لم يعزله عن خراسان.
وكتب إليه كتاباً آخر يعلمه فيه بفتوحه ومكانته، وعظم قدره عند ملوك العجم، وهيبته في
صدورهم، ويذم آل المهلب، ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه.
وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلعه، وبعث الكتب مع رجل من أهله، وقال له: ادفع الكتاب الأول
إليه، فإن كان يزيد حاضراً فقرأه ثم ألقاه إليه فادفع إليه هذا الثاني. فإن قرأه ودفعه إلى
يزيد فادفع إليه الثالث، وإن قرأ الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحبس الكتابين عنه.
فقدم رسول قتيبة، فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب، فدفع إليه الكتاب الأول،
فقرأه وألقاه إلى يزيد، فدفع إليه الثاني، فقرأه وألقاه إليه، فأعطاه الثالث، فقرأه وتغير لونه
وختمه وأمسكه بيده. فقيل: كان فيه: لو لم تقرني على ما كنت عليه وتؤمنني لأخلعنك،
ولأملأنها عليك خيلا ورجلا.
ثم أمر سليمان بإنزال رسول قتيبة، ثم أحضره ليلا وأعطاه دنانير وعهد قتيبة على
خراسان وسير معه رسولا، فلما كان بحلوان بلغهما خلع قتيبة، فرجع رسول سليمان،
وكان قتيبة لما هم بخلع سليمان استشار إخوته فقال عبد الرحمن: اقطع بعثاً فوجه فيه كل
من تخافه، ووجه قوماً إلى مرو، وسر حتى تنزل سمرقند، وقل لمن معك: من أحب المقام

فله المواساة، ومن أراد الانصراف فغير مستكره، فإنه لا يقيم عندك إلا مناصح. وقال له
أخوه عبد الله: اخلعه مكانك فلا يختلف عليك رجلان. فوافقه وخلع سليمان، ودعا
الناس إلى خلعه فلم يجبه أحد، فغضب، وقال: لا أعز الله من نصرتم، والله لو اجتمعتم
على عنز ما كسرتم قرنها، وسبهم طائفةً طائفةً وقبيلةً قبيلة، وذكر مساويهم ومعايبهم،
ونزل؛ فغضب الناس واجتمعوا على خلع قتيبة وخلافه، وكان أول من تكلم في ذلك الأزد،
فأتوا حضين بن المنذر، فقالوا: إن هذا قد خلع الخليفة، وفيه فساد الدين والدنيا، وقد
شتمنا فما ترى ؟ فأشار عليهم أن يأتوا وكيع بن أبي سود التميمي، ويقدموه لرياسته في
قومه، فأتوه وسألوه أن يلي أمرهم، ففعل.
وكان بخراسان يومئذ من أهل البصرة والعالية من المقاتلة تسعة آلاف، ومن بكر سبعة
آلاف، ورئيسهم حضين ابن المنذر، ومن تميم عشرة آلاف وعليهم ضرار بن حصين، ومن
عبد القيس أربعة آلاف وعليهم عبد الله بن حوذان، ومن أهل الكوفة سبعة آلاف وعليهم
جهم بن زحر. ومن الموالي سبعة آلاف وعليهم حيان النبطي مولى بني شيبان، وهو من
الديلم وقيل من خراسان، وإنما قيل له النبطي للكنته.
فأرسل حيان إلى وكيع يقول: إن أنا كففت عنك وأعنتك تجعل لي الجانب الشرقي من نهر
بلخ آخذ خراجه ما دمت حيا، وما دمت أميراً ! قال: نعم. فقال حيان للعجم: هؤلاء
يقاتلون على غير دين، فدعوهم يقتل بعضهم بعضا. ففعلوا.
وقيل لقتيبة: إن وكيعاً يبايع الناس، فدس عليه ضرار بن سنان الضبي، فبايعه سراً، فظهر
أمره لقتيبة، فأرسل إليه يدعوه، فوجده قد طلى رجليه بمغرة، وعلق على ساقه خرزاً،
وعنده رجلان يرقيان رجله. فقال للرسول: قد ترى ما برجلي. فرجع إليه فأخبر قتيبة،
فأعاده إليه يقول: لتأتيني به محمولا، فأتاه فقال: لا أستطيع. فقال قتيبة لصاحب شرطته:
انطلق إلى وكيع فأتني به: فإن أبي فاضرب عنقه، ووجه معه خيلا.
وقيل: أرسل إليه شعبة بن ظهير التميمي. فقال له وكيع: يا ابن ظهير، لبث قليلا تلحق

الكتائب. ولبس سلاحه، ونادى في الناس، فأتوه، وركب فرسه، وخرج، فأتاه الناس
أرسالاً، واجتمع إلى قتيبة أهل بيته وخواص أصحابه وثقاته، منهم إياس ابن بيهس بن
عمرو، وهو ابن عم قتيبة، ودعا قتيبة ببرذون له مدرب ليركبه، فاستعصعب عليه حتى
أعياه، فجلس على سريره وقال: دعوه، فإن هذا أمرٌ يراد.
وجاء حيان في العجم وقتيبة واجدٌ عليه، فقال عبد الله أخو قتيبة: احمل عليهم. فقال
حيان: لم يأت بعد. وقال حيان لابنه: إذا رأيتني قد حولت قلنسوتي وملت نحو عسكر
وكيع فمل بمن معك من العجم إلي. فلما حول حيان قلنسوته مالت الأعاجم إلى عسكر
وكيع فكبروا وهاجوا، فقتل عبد الرحمن أخو قتيبة، وجاء الناس حتى بلغوا فسطاط
قتيبة، فقطعوا أطنابه، وجرح قتيبة جراحات كثيرة، فقال جهم بن زحر بن قيس لسعد:
انزل فحز رأسه، فنزل وشق الفسطاط، واحتز رأسه؛ وقتل معه من أهله وإخوته: عبد
الرحمن، وعبد الله، وصالح، وحضين، وعبد الكريم: بنو مسلم. وقتل كثير ابنه، وكان
عدة من قتل مع قتيبة من أهله أحد عشر رجلا، فأرسل وكيع إلى سليمان برأسه ورؤوس
أهله.
ولما قتل قال رجل من خراسان: يا معشر العرب، قتلتم قتيبة، والله لو كان منا فمات
لجعلناه في تابوت، فكنا نستفتح به إذا غزونا.
وقال عبد الرحمن بن جمانة الباهلي يرثي قتيبة:
كأن أبا حفصٍ قتيبة لم يسر بجيشٍ إلى جيش ولم يعل منبرا
ولم تخفق الرايات والجيش حوله وقوفٌ ولم تشهد له الناس عسكرا
دعته المنايا فاستجاب لربّه وراح إلى الجنّات عفّاً مطهّرا
فما رزئ الإسلام بعد محمّد بمثل أبي حفصٍ فبكّيه عبهرا
وعبهر: أم ولد له.
ووصل خبر مقتله إلى الشام في اليوم الثاني من مقتله.
قال شيوخٌ من غسان: كنا بثنية العقاب إذا نحن برجل معه عصا وجراب، فقلنا: من أين
أقبلت؟ قال: من خراسان. قلنا ؟ هل كان بها من خبر ؟ قال: نعم، قتل بها قتيبة بن
مسلم أمس، فعجبنا من قوله. فلما رأى إنكارنا قال: أين تروني الليلة من إفريقية ؟ وتركنا

ومضى، فاتبعناه على خيولنا فإذا به يسبق الطرف. وثنية العقاب في مرج دمشق على
نصف مرحلة منها.
وفي هذه السنة عزل سليمان بن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة لسبع بقين من
شهر رمضان، واستعمل عليها أبا بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم، وكان عثمان قد عزم
على أن يجلد أبا بكر هذا ويحلق لحيته من الغد، فلما كان اليل جاء البريد إلى أبي بكر
بتأميره وعزل عثمان وحده وتقييده.
وعزل سليمان أيضا يزيد بن أبي مسلم عن العراق، واستعمل يزيد بن المهلب، وجعل صالح
بن عبد الرحمن على الخراج، وأمره ببسط العذاب على آل أبي عقيل؛ وهم أهل الحجاج،
فكان يعذبهم، ويلي عذابهم عبد الملك بن المهلب.
وحج بالناس أبو بكر بن محمد وهو أمير المدينة، وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله
بن خالد بن أسيد وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب، وعلى خراجها صالح بن
عبد الرحمن. وعلى البصرة سفيان بن عبد الله الكندي من قبل يزيد، وعلى قضائها عبد
الرحمن بن أذينة، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى، وعلى حرب خراسان وكيع
بن أبي سود.
وفيها مات شريح القاضي، وقيل سنة سبع وتسعين. وله مائة وعشرون سنة، ومحمود بن
لبيد الأنصاري وله صحبة.
ولاية خراسان
سنة سبع وتسعين:
في هذه السنة استعمل سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب على خراسان مضافةً إلى
العراق، وكان سبب ذلك أن سليمان لما ولي يزيد بن المهلب العراق فوض إليه الحرب
والخراج والصلاة بها، فنظر يزيد لنفسه، فرأى أن الحجاج قد أخرب العراق، وأنه إن أخذ
الناس بالخراج وعذبهم عليه صار عندهم مثل الحجاج، وأنه متى لم يفعل ذلك ويأت
سليمان بمثل ما كان الحجاجي أتي به لم يقبل منه، فأشار على سليمان أن يولي صالح بن
عبد الرحمن مولى تميم الخراج، فولاه الخراج وسيره قبل يزيد، فنزل واسطا. ولما قدم يزيد

خرج الناس يتلقونه، ولم يخرج صالح حتى قرب يزيد، فخرج وبين يديه أربعمائة من أهل
الشام، فلقى يزيد وسايره، ولم يمكنه من شيءٍ، وضيق عليه، فضجر يزيد من ذلك، فدعا
عبد الله بن الأهتم، وقال له: إني أريدك لأمرٍ أهمني، وأحب أن تكفينيه. قال: أفعل. قال:
أنا فيما ترى من الضيق، وقد ضجرت منه، وخراسان شاغرةٌ فهل من حيلة ؟ قال: نعم،
سرحني إلى أمير المؤمنين.
فكتب يزيد إلى سليمان وأعلمه بحال العراق، وأثنى على ابن الأهتم وذكر علمه بها،
وسيره على البريد؛ فأتى ابن الأهتم سليمان فقال له: إن يزيد كتب إلي يذكر علمك بالعراق،
فكيف علمك بخراسان ؟ قال: أنا أعلم الناس بها، ولدت بها ونشأت، ولي بها وبأهلها
خبر. قال: فأشر علي برجلٍ أوليه خراسان. قال: أمير المؤمنين أعلم بمن يريد، فإن ذكر
منهم أحداً أخبرته برأيي فيه، فسمى رجلاً من قريش، فقال: ليس من رجال خراسان.
قال: فعبد الملك بن المهلب. فقال: لا يصح، فإنه يضيق عن هذا، وليس له مكر أبيه ولا
شجاعته، حتى ذكر رجالا، وكان آخر من ذكر وكيع ابن أبي سود، فقال: يا أمير المؤمنين،
وكيع رجلٌ شجاع صارم رئيس مقدام، وما أحد أوجب شكرا ولا أعظم عندي يداً من
وكيع، لقد أدرك بثأري وشفاني من عدوي، ولكن أمير المؤمنين أعظم حقا، والنصيحة له
تلزمني، إنه وكيعاً لم يجتمع له مائة عنان قط إلا حدث نفسه بغدرة، خامل في الجماعة، نابه
في الفتنة.
قال: فمن لها ويحك ! قال: رجلٌ أعلمه لم يسمه أمير المؤمنين. قال: فمن هو ؟ قال: لا
أذكره حتى يضمن لي أمير المؤمنين ستر ذلك، وأن يجيرني منه إن علم. قال: نعم، قال: يزيد
بن المهلب. قال: العراق أحب إليه من خراسان ؟ قال: قد علمت يا أمير المؤمنين، ولكن
تكرهه فيستخلف على العراق رجلا ويسير هو إلى خراسان. قال: أصبت الرأي.
فكتب عهد يزيد على خراسان، وسيره مع ابن الأهتم، فأتى يزيد، فأمر بالجهاز للمسير من
ساعته، وقدم ابنه مخلداً إلى خراسان من يومه؛ ثم سار يزيد بعده، واستخلف على واسط

الجراح بن عبد الله الحكمي، وعلى البصرة عبد الله بن هلال الكلابي، وجعل أخاه مروان
بن المهلب على حوائجه وأموره بالبصرة، واستخلف على الكوفة حرملة بن عمير اللخمي
أشهراً، ثم عزله، وولي بشير بن حيان النهدي، وكانت قيس تزعم أن قتيبة لم يخلع، فأمر
سليمان يزيداً أن يسأل عن ذلك. فإن أقامت قيس البينة أن قتيبة لم يخلع فنقيد وكيعا به،
فلما وصل مخلد بن يزيد مرو أخذه وكيع فحبسه وعذبه، وعذب أصحابه قبل قدوم أبيه،
فكانت ولاية وكيع خراسان تسعة أشهر أو عشرة أشهر، ثم قدم يزيد خراسان فآذى أهل
الشام وقوما من أهل خراسان، فقال نهار ابن توسعة رحمه الله:

وما كنّا نؤمّل من أمير ... كما كنّا نؤمّل من يزيد
فأخطأ ظنّنا فيه وقدماً ... زهدنا في معاشرة الزّهيد
إذا لم يعطنا نصفاً أميرٌ ... مشينا نحوه مشى الأسود
فمهلاً يا يزيد أنب إلينا ... ودعنا من معاشرة العبيد
نجيء ولا نرى إلاّ صدوداً ... على أنّا نسلّم من بعيد
ونرجع خائبين بلا نوال ... فما بال التجهّم والصّدود

وفي هذه السنة جهز سليمان الجيوش إلى القسطنطينية، واستعمل ابنه داود على
الصائفة، فافتتح حصن المرأة.
وفيها غزا مسلمة أرض الوضاحية، وفتح الحصن الذي فتحه الوضاح.
وغزا عمر بن هبيرة الروم في البحر فشتابها. وحج سليمان بن عبد الملك بالناس.
وفيها عزل داود بن طلحة الحضرمي عن مكة، فكان عمله عليها ستة أشهر، وولي عبد
العزيز بن عبد الله بن خالد.
سنة ثمان وتسعين:
محاصرة القسطنطينية
في هذه السنة بعث سليمان الجيوش إلى القسطنطينية مع أخيه مسلمة بعد أن سار
سليمان إلى دابق، وأخبره بوفاته، وضمن له فتح الروم، فبعث معه مسلمة، فسار هو
وأليون، فلما دنا من أرض الروم أمر كل فارس أن يحمل معه مدين من طعام، فلما أتاها أمر
بإلقاء ذلك، فصار مثل الجبال، وقال مسلمة لمن معه: لا تأكلوا منه شيئاً وأغيروا في أرضهم
وازرعوا، وعمل بيوتا من خشب فشتا فيها وصاف وزرع الناس، فلما كثر عندهم الطعام

أقام مسلمة قاهرا للروم معه أعيان الناس، فأرسل الروم إلى مسلمة يعطونه عن كل رأسٍ
ديناراً فلم يقبل، فقالت الروم لأليون: إن صرفت عنا المسلمين ملكناك، فاستوثق منهم،
وأتى مسلمة فقال له: إن الروم قد علموا أنك لا تصدقهم القتال، وأنك تطاولهم ما دام الطعام
عندك، فلو أحرقته أعطو ما بأيديهم، فأمر مسلمة بالطعام فحرق، فقوي الروم وضاق
المسلمون حتى كادوا يهلكون، وداموا على ذلك حتى مات سليمان.
وقيل: إن أليون إنما خدع مسلمة بأن سأله أن يدخل من الطعام إلى الروم ما يعيشون به
ليلة واحدة، ليصدقوا أن أمره وأمر مسلمة واحد، وأنهم في أمان من السبي والخروج من
بلادهم، فأذن له في ذلك. وكان أليون قد أعد السفن والرجال فنقلوا تلك الليلة الطعام كله،
وأصبح أليون محارباً، ولقي الجند ما لم يلقه أحد، حتى أن كان الرجل ليخاف أن يخرج من
العسكر وحده، وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق، وسليمان مقيم بدابق ووقع
الشتاء فلم يقدر أن يمدهم حتى مات.
وفي هذه السنة بايع سليمان لابنه أيوب بولاية العهد.
وفيها فتحت مدينة الصقالبة.
وفيها غزا الوليد بن هشام وعمرو بن قيس، فأصيب ناسٌ من أهل أنطاكية، وأصاب
الوليد ناسا من ضواحي الروم، وأسر بشراً كثيراً.
جرجان وطبرستان
في هذه السنة غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان.
وكان سبب اهتمامه بها أن يزيد لما كان عند سليمان بالشام في حياة الوليد، فكان كلما
فتح قتيبة فتحاً يقول سليمان ليزيد: ألا ترى إلى ما يفتح الله على قتيبة ! فيقول يزيدك ما
فعلت جرجان التي قطعت الطريق، وأفسدت قومس ونيسابور، ويقول: هذه الفتوح ليست
بشيءٍ، الشأن في جرجان.
وكان سعيد بن العاص قد صالح أهل جرحان، فكانوا يجبون أحياناً مائة ألف، وأحياناً
مائتي ألف، وأحياناً ثلاثمائة ألف، وربما منعوا ذلك، ثم أظهروا الامتناع وكفروا فلم يعطوا
خراجاً، ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد، وقد منعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك أحدٌ
طريق خراسان إلا على فارس وكرمان.

فلما ولي سليمان يزيد خراسان لم يكن له همةٌ غير جرجان، فسار إليها في مائة ألفٍ سوى
الموالي والمتطوعة، ولم تكن جرجان يومئذ مدينة، إنما هي جبال ومخارم وأبواب يقوم الرجل
على بابٍ منها فلا يقدر عليه أحدٌ، فابتدأ بقهستان فحاصرها، وكان أهلها طائفة من
الترك، فقاتلهم قتالاً شديداً، واشتدت الحرب، وقطع عنهم الميرة، فبعث دهقانها، واسمه
صول يطلب من يزيد الأمان لنفسه وأهله وماله، ويسلم إليه المدينة بما فيها، فأمنه ووفي له،
ودخل المدينة فقتل بها أربعة عشر ألف تركي صبراً، وأخذ ما فيها من الكنوز والسبي
وغير ذلك، ثم خرج حتى أتى جرجان فهابه أهلها، وأتوه وصالحوه، فأجابهم إلى ذلك،
وصالحهم، فطمع في طبرستان، فسار إليها فصالحه اصبهذها على سبعمائة ألف، وقيل
خمسمائة ألف وأربعمائة وقرزعفران، أو قيمته من العين، وأربعمائة رجل على كل رجل
منهم ترس وطيلسان، ومع كل رجل جامٌ من فضة وسرقة حرير وكسوة، فأرسل من يقبض
ذلك وانصرف إلى جرجان. والله أعلم.

ذكر فتح جرجان الفتح الثاني وانشاء مدينتها

قال: ولما سار يزيد إلى طبرستان غدر أهل جرجان، فعاد إليهم وعاهد الله إن ظفر بهم
لا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم ويأكل من ذلك الطحين، فحصرهم سبعة أشهر
وهم يخرجون إليه يقاتلونه ويرجعون، فبينما هم على ذلك إذ خرج رجلٌ من عجم
خراسان يتصيد، وقيل من طيئ، فأبصر وعلاً في الجبل فتبعه فلم يشعر حتى هجم على
عسكرهم، فرجع يريد أصحابه، وجعل يخرق قباءه ويعقد على الشجر علاماتٍ، فأتى يزيد
فأخبره فضمن له يزيد ديةً إن دلهم على الحصن؛ فانتخب معه ثلاثمائة رجل، واستعمل
عليهم ابنه خالداً، وقال له: إن غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت، وإياك أن أراك
عندي مهزوماً، وضم إليه جهم بن زحر، وقال للرجل: متى تصل ؟ قال: غداً العصر. قال
يزيد: سأجهد على مناصحتهم عند الظهر.
فساروا، فلما كان الغد وقت الظهر أحرق يزيد كل حطبٍ كان عندهم، فصار مثل الجبال

من النيران، فنظر العدو إلى النار، فها لهم ذلك، فخرجوا إليهم؛ وتقدم يزيد إليهم، ودهمهم
ابنه بمن معه قبيل العصر وهم آمنون من ذلك الوجه، ويزيد يقاتلهم من هذا الوجه، فما
شعروا إلا والتكبير من ورائهم، فانقطعوا جميعا إلى حصنهم، وركبهم المسلمون؛ فأعطوا
بأيديهم، ونزلوا على حكم يزيد، فسبى ذراريهم، وقتل مقاتلتهم، وصلبهم فرسخين عن يمين
الطريق ويساره، وقاد منهم اثني عشر ألفا إلى وادي جرجان فقتلهم، وأجرى الماء على
الدم، وعليه أرحاء، ليطحن بدمائهم ليبر يمينه، فطحن وخبز وأكل.
وقيل: قتل منهم أربعين ألفاً، وبنى مدينة جرجان، ولم تكن بنيت قبل ذلك مدينة، ورجع
إلى خراسان، واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفي، وكتب إلى سليمان بالفتح
وعظمه عنده، وأخبره أنه قد حصل عنده من الخمس ستمائة ألف ألف، فقال له كاتبه -
المغيرة بن أبي قرة مولى بني تميم: لا تكتب بتسمية المال، فإنك من ذلك بين أمرين: إما
استكثره فأمرك بحمله، وإما سخت به نفسه فأعطاكه فتكلفت الهدية؛ فلا يأتيه من قبلك
شيء إلا استقله، فكأني بك قد استغرقت ما سميت ولم يقع منه موقعا، ويبقى المال الذي
سميت مخلداً في دواوينهم، فإن ولي وال بعده أخذك به، وإن ولي من يتحامل عليك لم يرض
بأضعافه، ولكن اكتب سله القدوم وشافهه بما أصبت فهو أسلم.
فلم يقبل منه، وكتب، فكان من أمره في ذلك ما نذكره في أخبار عمر بن عبد العزيز.
وقيل: كان المبلغ أربعة آلاف ألف، والله تعالى أعلم.
وفيها توفي أيوب بن سليمان بن عبد الملك، وهو ولي العهد.
وفيها غزا داود بن سليمان أرض الروم؛ ففتح حصن المرأة مما يلي ملطية.
وفيها كانت الزلازل في الدنيا كثيرةً، ودامت ستة أشهر.
وحج بالناس عبد العزيز بن عبد الله أمير مكة.

سنة تسع وتسعين:

وفاة سليمان
بن عبد الملك وشيءٍ من أخباره وعماله

كانت وفاته يوم الجمعة لعشرٍ مضين من صفر من السنة بدابق من أرض قنسرين بذات

الجنب، وله خمس وأربعون سنة. وكانت مدة خلافته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام،
وصلى عليه عمر بن عبد العزيز؛ وكان طويلا أبيض، جميل الوجه، فصيح اللسان، معجباً
بنفسه، يتوقى سفك الدماء. وكان أكولاً نكاحا، وكان حسن السيرة، وكان الناس يقولون:
سليمان مفتاح الخير؛ ذهب عنهم الحجاج، وولي سليمان، فأطلق الأسارى، وأخلى
السجون، وأحسن إلى الناس، واستخلف عمر بن عبد العزيز. ويقال: إنه فعل في يومٍ واحد
أكثر مما فعل عمر بن عبد العزيز جميع عمره، وذلك أنه أعتق سبعين ألف مملوك ومملوكة،
وكساهم.
ومن أعظم بركاته أنه جعل عمر بن عبد العزيز ولي عهده. وحكى أنه لبس يوما حلةً
خضراء وعمامةً خضراء، ونظر في المرآة، فقال: أنا الملك الفتى، فما عاش جمعة.
وقيل: كانت له جاريةٌ معها مرآة، فدعاها يوما فجاءته بها، فنظر وجهه، ونظرت الجارية
إليه، فقال لها: ما تنظرين ؟ قال:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لابقاء للإنسان
ليس فيما بدا لنا منك عيبٌ عابه الناس غير أنك فاني

وانصرفت، فاستدعاها فجاءت بالمرآة فسألها عن البيتين، فقالت: والله ما جئتك اليوم؛
فعلم أنه نعى.
وقيل: إنه شهد جنازةً بدابق فدفنت في حقلٍ، فجعل سليمان يأخذ من تلك التربة، ويقول:
ما أحسن هذه وأطيبها ! فما أتى عليه جمعة حتى دفن إلى جنب ذلك القبر.
وقيل: إنه كان له من الأولاد الذكور أربعة عشر.
وكان نقش خاتمه: آمنت بالله مخلصاً.
وكتابه: يزيد بن المهلب، ثم المفضل بن المهلب عم عبد العزيز ابن الحارث بن الحكم.
قاضيه: محمد بن حزم.
حاجبه: أبو عبيدة مولاه.
الأمير بمصر: عبد الله بن رفاعة.
قاضيها من قبله: عبد الله بن عبد الرحمن، وهو متولي بيت المال، ثم رد القضاء إلى
عياض بن عبد الله من قبل سليمان بن عبد الملك.

بيعة عمر بن عبد العزيز

هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم؛ وأمه أم عاصم بنت عاصم بن

عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو الثامن من ملوك بني أمية، بويع له بدابق يوم الجمعة
بعد وفاة سليمان لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين.
قال: وكان سليمان لماَ مرض بدابق عهد في كتابٍ كتبه لبعض بنيه وهو غلام لم يبلغ الحلم،
فدخل عليه رجاء بن حيوة، فقال له: يا أمير المؤمنين؛ إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن
يستخلف على الناس الرجل الصالح. فقال سليمان: أنا أستخير الله، وأنظر. ومكث يوماً
أو يومين ثم حرق الكتاب، ودعا رجاء، فقال: ما ترى في ولدي داود ؟ فقال رجاء: هو
غائب بالقسطنطينية، ولم يدر أحي هو أم لا ؟ قال: فما ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ قال
رجاء: أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً. قال سليمان: هو على ذلك، ولئن وليته ولم أول
أحداً سواه لتكونن فتنةٌ ولا يتركونه أبداً عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده.
فأمر سليمان أن يجعل يزيد بن عبد الملك بعد عمر. وكان يزيد غائباً في الموسم.
فكتب سليمان: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من عبد الله سليمان أمير المؤمنين
لعمر بن عبد العزيز؛ إني قد وليتك الخلافة من بعدي، ومن بعدك يزيد بن عبد الملك؛
فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله، ولا تختلفوا، فيطمع فيكم.
وختم الكتاب وأرسل إلى كعب بن جابر صاحب شرطته، فقال: ادع أهل بيتي، فجمعهم
كعب، ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم: اذهب بكتابي هذا إليهم، ومرهم أن يبايعوا
من وليت فيه، ففعل، وبايعوا رجلا رجلا، ولم يعلموا من في الكتاب.
قال رجاء: فأتاني عمر بن عبد العزيز فقال: أخشى أن يكون هذا أسند إلي من هذا
الأمر شيئاً؛ فأنشدك الله إلا أعلمتني إن كان قد وقع حتى أستعفى قبل أن يأتي حالٌ لا
أقدر على ذلك فيها. قال رجاء: فقلت: ما أنا مخبرك. فذهب عني غضبان.
ولقيني هشام بن عبد الملك فقال: إن لي حرمةً ومودةً قديمة فأعلمني بهذا الأمر؛ فإن كان
إلى غيري تكلمت، ولله علي ألا أذكرك. قال: فأبيت أن أخبره. قال: ودخلت على
سليمان عند موته فغمضته وسجيته، وأغلقت الباب، وأرسلت إلى كعب بن جابر، فجمع

أهل بيت سليمان في مسجد دابق، فقلت: بايعوا ! فقالوا: قد بايعنا مرةً. قلت: وأخرى،
هذا عهدٌ من أمير المؤمنين، فبايعوا الثانية. قال رجاء: فلما بايعوا بعد موته رأيت أني قد
أحكمت الأمير فقلت: قوموا إلى صاحبكم فقد مات،
فاسترجعوا، وقرأت الكتاب، فلما
انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز قال هشام: لا نبايعه والله أبداً. قلت: أضرب والله
عنقك. قم وبايع. فقام يجر رجليه.
قال رجاء: وأجلست عمر على المنبر وهو يسترجع لما وقع فيه، وهشام يسترجع لما
أخطأه، فبايعوه.
قال: ولما دفن سليمان أتى عمر بمراكب الخلافة، فقال: دابتي أرفق لي، وركب دابته؛ ثم
أقبل سائراً، فقيل له: منازل الخلافة ؟ فقال: فيا عيال سلمان، وفي فسطاطي كفاية حتى
يتحولوا.
قال: وبلغ عبد العزيز بن الوليد - وكان غائبا - وفاة سليمان ولم يشعر بعمر، فدعا لنفسه،
فبلغه بيعة عمر، فأقبل حتى دخل عليه، فقال له عمر: بلغني أنك بايعت من قبلك، وأردت
دخول دمشق. قال: نعم، وذلك أنه بلغني أن سليمان ما عقد لأحد فخفت على الأموال أن
تنتهب. فقال له عمر: لو بايعت وقمت بالأمر لم أنازعك فيه. فبايعه عبد العزيز.
قال: ولما استقرت البيعة لعمر قال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك: إن أردتني فردي ما
معك من مال وحلي وجوهر إلى بيت المال، فإنه للمسلمين، وإني لا أجتمع أنا وأنت وهو في
بيتٍ واحد، فردته جميعه. فلما توفي عمر وولي أخوها يزيد رده عليها فلم تأخذه، وقالت:
ما كنت لأطيعه حياً وأعصيه ميتاً، ففرقه يزيد على أهله.
قال: وكان من أول ما ابتدأ به عمر بن عبد العزيز أن ترك سب علي بن أبي طالب رضي
الله عنه على المنابر، وكان يسب في أيام بني أمية إلى أن ولي عمر فترك ذلك، وأبد له بقول
الله عز وجل: "إنَّ الله يأْمُرُ بالعَدْلِ والإحسان وإيتاء ذي القرْبَى ويَنْهَى عن الفحشاء
والْمُنْكَرِ والبغْي يعِظكم لعلكم تذكرون". فحل ذلك عند الناس محلاً حسنا، وأكثروا مدح
عمر بسببه، فكان ممن مدحه كثير عزة بقوله:
وليت فلم تشتم عليّا ولم تخف   بريّاً ولم تتبع مقالة مجرم

تكلّمت بالحقّ المبين وإنما تبيّن آيات الهدى بالتكلم
فصدقت معروف الذي قلت بالذي فعلت فأضحى راضياً كلّ مسلم
ألا إنما يكفى الفتى بعد زيغه من الأود البادي ثقاف المقوّم
وفيها وجه عمر بن عبد العزيز إلى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقفول منها بمن معه من
المسلمين، ووجه لهم خيلاً عتاقا وطعاماً كثيراً.
وفيها أغارت الترك على أذربيجان. فقتلوا من المسلمين جماعة، فوجه عمر حاتم بن
النعمان الباهلي فقتل أولئك الترك، ولم يفلت منهم إلا اليسير، وقدم على عمر منهم بخمسين
أسيراً.
وفيها عزل عمر يزيد بن المهلب عن أعماله، ووجه إلى البصرة عدي بن أرطاة الفزاري،
وجعل على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد الخطاب العدوي، وضم إليه أبا
الزناد، واستعمل على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي.
وحج بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وكان عامل المدينة، وكان العامل على
مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد، وعلى الكوفة عبد الحميد، وعلى القضاء بها عامر
الشعبي، وكان على البصرة عدي من أرطاة، وعلى القضاء الحسن بن أبي الحسن
البصري، ثم استعفى عدياً فأعفاه، واستقضى إياس بن معاوية.
سنة مائة للهجرة:
خروج شوذب الخارجي
في هذه السنة خرج شوذب واسمه بسطام من بني يشكر في جوخي وكان في ثمانين رجلا،
فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد عامله بالكوفة ألا يحركهم حتى يسفكوا الدماء
أو يفسدوا في الأرض، فإن فعلوا وجه إليهم رجلاً صليبا حازماً في جند.
فبعث عبد الحميد محمد بن جرير بن عبد الله البجلي في ألفين، وأمره أن يفعل ما كتب به
عمرن وكتب عمر إلى بسسطام يسأل عن مخرجه، فقدم كتاب عمر عليه، وقد قدم عليه
محمد، فكان في كتاب عمر: بلغني أنك خرجت غضباً لله ولرسوله، ولست بذلك أولى مني،
فهلم إلي أناظرك، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيها دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نظرنا
في أمرك.

فكتب إليه بسطام: قد أنصفت، وقد بعثت إليك برجلين يدارسانك ويناظرانك. وأرسل
إليه مولى حبشياً لبني شيبان اسمه عاصم، ورجلاً من بني يشكر، فقدما على عمر
بخناصرة، فقال لهما: ما أخرجكما هذا المخرج ؟ وما الذي نقمتم ؟ قال عاصم: ما
نقمنا سيرتك، إنك لتتحرى العدل والإحسان، فأخبرنا عن قيامك بهذا الأمر؛ عن رضاً من
الناس ومشورة، أم ابتززتم أمرهم ؟ فقال عمر: ما سألتهم الولاية عليهم، ولا غلبتهم عليها،
وعهد إلي رجلٌ كان قبلي، فقمت، ولم ينكر علي أحد، ولم يكرهه غيركم، وأنتم ترون
الرضا بكل من عدل وأنصف من كان من الناس، فأنزلوني ذلك الرجل، فإن خالفت الحق
وزغت عنه فلا طاعة لي عليكم. قالا: بيننا وبينك أمرٌ واحدٌ. قال: ما هو ؟ قالا:
رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم، فإن كنت على هدى وهم على ضلالة
فألعنهم وابرأ منهم. فقال عمر: قد علمت أنكم لم تخرجوا طلباً للدنيا، ولكنكم أردتم
الآخرة فأخطأتم طريقها، إن الله عز وجل لم يبعث رسوله لعاناً. وقال إبراهيم الخليل
صلوات الله عليه وسلامه: فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفورٌ رحيم. وقال الله
عز وجل: أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده. وقد سميت أعمالهم ظلماً، وكفى بذلك
ذماً ونقصا، وليس لعن أهل الذنوب فريضةً لا بد منها، فإن قلتم إنها فريضةٌ فأخبرني متى
لعنت فرعون ؟ قال: ما أذكر متى لعنته. قال: أفيسعك ألا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق
وشرهم، ولا يسعني ألا ألعن أهل بيتي وهم مصلون صائمون ؟ قال عاصم: أما هم كفار بظلمهم ؟ قال: لا، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا
الناس إلى الإيمان، فكان من أقربه وبشرائعه قبل منه، فإن أحدث حدثا أقيم عليه الحد.
فقال عاصم: إن رسول الله دعا الناس إلى توحيد الله تعالى والإقرار بما أنزل من عنده.
قال عمر: فليس أحدٌ منهم يقول: لا أعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن
القوم أسرفوا على أنفسهم على علمهم أنه محرمٌ عليهم، ولكن غلب عليهم الشقاء.
قال عاصم: فابرأ مما خالف عملك ورد أحكامهم.

قال عمر: أخبراني عن أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما، أليسا على الحق ؟ قالا: بلى.
قال: أتعلمان أن أبا بكر حين قاتل أهل الردة سفك دماءهم، وسبى الذراري، وأخذ
الأموال ؟ قالا: نعم. قال: أفتعلمان أن عمر رضي الله عنه رد السبايا بعده إلى عشائرهم
بفدية ؟ قالا: نعم. قال: فهل برى عمر من أبي بكر ؟ قالا: لا. قال: أفتبرءون أنتم من
واحد منهما ؟ قالا: لا. قال: فأخبراني عن أهل النهروان وهم أسلافكم، هل تعلمان أن
أهل الكوفة خرجوا فلم يسفكوا دماً، ولم يأخذوا مالاً، وأن من خرج إليهم من أهل البصرة
قتلوا عبد الله بن خباب وجاريته وهي حامل ؟ قالا: نعم. قال: فهل برئ من لم يقتل ممن
قتل ؟ قالا: لا. قال: أفتبرءون أنتم من إحدى الطائفتين ؟ قالا: لا. قال: أفيسعكم أن
تتولوا أبا بكر وعمر وأهل الكوفة وأهل البصرة وقد علمتم اختلاف أعمالهم، ولا يسعني إلا
البراءة من أهل بيتي، والدين واحد ؟ فاتقوا الله، فإنكم جهال تقبلون من الناس ما رد
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتردون عليهم ما قبل، ويأمن عندكم من خاف
عنده، ويخاف عندكم من أمن عنده، فإنكم يخاف عندكم من يشهد أن لا إله إلا الله وأن
محمداً عبده ورسوله، وكان من فعل ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن وحقن
دمه وماله، وأنتم تقتلونه ويأمن عندكم سائر أهل الأديان، فتحرمون دماءهم وأموالهم.
قال اليشكري: أرأيت رجلا ولى قوماً وأموالهم فعدل فيها ثم صيرها بعده إلى رجلٍ غير
مأمون، أتراه أدى الحق الذي يلزمه لله عز وجل، وتراه قد سلم ؟ قال عمر: لا. قال:
أفتسلم هذا الأمر إلى يزيد من بعدك وأنت تعلم أنه لا يقوم فيه بالحق. قال: إنما ولاه غيري،
والمسلمون أولى بما يكون منهم فيه بعدي. قال: أفترى ذلك من صنع من ولاه حقاً ؟
فبكى عمر، وقال: أنظراني ثلاثاً.
فخرجا من عنده ثم عادا إليه، فقال عاصم: أشهد أنك على حق. فقال عمر لليشكري:
ما تقول أنت ؟ قال: ما أحسن ما وصفت، ولكني لا أفتات على المسلمين بأمرٍ، أعرض

عليهم ما قلت وأعلم احجتهم. فأما عاصم فأقام عند عمر، فأمر له بالعطاء فتوفي بعد
خمسة عشر يوماً، فكان عمر يقول: أهلكني أمر يزيد، وخصمت فيه، فأستغفر الله.
فخاف بنو أمية أن يخرج ما بأيديهم وأن يخلع يزيد من ولاية العهد؛ فوضعوا على عمر من
سقاه سماً. فلم يلبث بعد ذلك إلا ثلاثاً حتى مرض ومات، رحمه الله تعالى.
هذا ومحمد بن جرير مقابل الخوارج لا يتعرض إليهم ولا يتعرضون إليه، فلما مات عمر
وولي يزيد كان ما نذكره في أخبار يزيد.
وفي هذه السنة عزل عمر يزيد بن المهلب عن خراسان وأحضره وطالبه بالمال الذي كان
كتب به إلى سليمان واعتقله بحصن حلب، واستعمل على خراسان الجراح بن عبد الله
الحكمي، ثم عزله؛ واستعمل عبد الرحمن بن نعيم القشيري.
وفيها كان ابتداء خروج شيعة بني العباس على ما نذكره في أخبار الدولة العباسية إن
شاء الله تعالى.
وفيها أمر عمر بن عبد العزيز أهل طرندة بالقفول عنها إلى ملطية، وطرندة أوغل في البلاد
الرومية بثلاث مراحل، وكان عبد الله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين بعد أن غزاها
سنة ثلاث وثمانين وملطية يومئذ خراب، وكان يأتيهم جند من الجزيرة يقيمون عندهم إلى أن
ينزل الثلج ويعودون إلى بلادهم، فلم يزالوا كذلك إلى أن ولي عمر، فأمرهم بالعود إلى ملطية
وأخلى طرندة خوفاً على المسلمين من العدو، وأخرب طرندة، واستعمل على ملطية جعونة
بن الحارث أحد بني عامر بن صعصعة.
وفيها كتب عمر إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم من ذكرنا منهم على ما
سبق ذكر ذلك.
وفيها استعمل عمر بن عبد العزيز عمر بن هبيرة الفزاري على الجزيرة.
وفيها مات أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي بمكة، وهو آخر من مات من الصحابة، ومولده
عام أحد.
وحج بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.
سنة 1احدى ومائة:
في هذه السنة هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز، وذلك أنه لما اشتد

مرض عمر بن عبد العزيز عمل يزيد في الهرب مخافة يزيد بن عبد الملك لإساءة كانت
صدرت منه في حقه أيام سليمان، فأرسل ابن المهلب إلى مواليه فأعدوا له خيلاً وإبلا،
وواعدهم مكاناً يأتيهم فيه، وأرسل إلى عامل حلب وإلى الحراس مالاً، وقال: إن أمير
المؤمنين قد ثقل في مرضه، وليس يرجى، وإن ولي يزيد سفك دمي، فأخرجوه، فهرب وقصد
البصرة، وكتب إلى عمر كتاباً يقول: إني والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك ولكني
خفت أن يلي يزيد فيقتلني شر قتله.
فورد الكتاب وبه رمقٌ، فقال رضي الله عنه: اللهم إن كان يزيد يريد بالمسلمين سوءاً فألحقه
به وهضه فقد هاضني، ثم كان من أمر ابن المهلب ما نذكره إن شاء الله تعالى.
وفاة عمر
بن عبد العزيز رضي الله عنه وشيء من أخباره وسيرته رحمه الله تعالى
كانت وفاته رحمه الله بخناصرة لستٍ بقين من شهر رجب سنة إحدى ومائة، وكانت1
شكواه عشرين يوماً، وقيل له في مرضه: لو تداويت ! فقال: لو كان دوابي في مسح أذني ما
مسحتها، نعم المذهوب إليه ربى. ودفن بدير سمعان من أرض حمص.
وقيل: به توفي، وكان عمره تسعا وثلاثين سنة وأشهراً وقيل أربعين سنة وأشهراً.
وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً.
وكان أبيض نحيفاً حسن الوجه، وهو أشج بني أمية، رمحته دابة فشجته، وهو غلام،
فدخل على أمه فضمته إليها ولامت أباه حيث لم يجعل معه حاضنا. فقال لها عبد العزيز:
اسكتي يا أم عاصم، فطوبى له إن كان أشج بني أمية.
وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يقول: يا ليت شعري، من هذا الذي
من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الدنيا عدلاً؛ فكان عمر بن عبد العزيز؛ لأن أمه ابنة
عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم أجمعين.
نبذة من سيرته
كان رحمه الله ورضي عنه قد بث العدل ونشره في الدنيا واقتصر من دنياه على سد الخلة
حتى إن مسلمة بن الملك عاده في مرض موته، فرأى عليه قميصاً دنساً، فقال لأخته

فاطمة، وهي زوجة عمر: اغسلوا ثياب أمير المؤمنين. فقالت: نفعل. ثم عاده فرأى الثوب
بحاله، فقال: ألم آمركم أن تغسلوا قميصه. فقالت: والله إله غيره، وكانت نفقته في كل يوم
درهمين.
قال: ولما ولي الخلافة أتاه أصحاب مراكب الخلافة يطلبون علفها، فأمر بها فبيعت، وجعل
ثمنها في بيت المال، وقال: بغلتي هذه تكفيني.
قال: ولما ولي صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، من صحبنا
فليصحبنا لخمس، وإلا فلا يقربنا: يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها، ويعيننا على
الخير بجهده، ويدلنا على ما لا نهتدي إليه من الخير، ولا يغتابن أحداً، ولا يعترض فيما لا
يعنيه.
فانقشع الشعراء والخطباء، وثبت عنده الفقهاء والزهاد، وقالوا: ما يسعنا أن نفارق هذا
الرجل حتى يخالف قوله فعله.
ولما ولي أحضر قريشاً ووجوه الناس فقال: إن فدك كانت بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكان يضعها حيث أراه الله، ثم وليها أبو بكر كذلك، وعمر كذلك، ثم أقطعها
مروان. ثم إنها صارت لي، ولم يكن من مالي أعود علي منها، وإن أشهدكم أني قد رددتها
على ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال: فيئس الناس من الظلم.
وأخذ من أهله ما بأيديهم، وسمى ذلك مظالم، ففزع بنو أمية إلى عمته فاطمة بنت مروان
فأتته، فقالت له: تكلم أنت يا أمير المؤمنين. قال: إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم
إلى الناس كافة، ثم اختار له ما عنده، وترك للناس نهراً شربهم سواء، ثم ولى أبو بكر
فترك النهر على حاله، ثم ولى عمر فعمل عملهما، ثم لم يزل النهر يستقى منه يزيد ومروان،
وعبد الملك ابنه، والوليد وسليمان ابنا عبد الملك، حتى أفضى الأمر إلي، وقد يبس النهر
الأعظم، فلن يروى أصحابه حتى يعود إلى ما كان عليه.
فقالت: حسبك قد أردت كلامك، فأما إذا كانت مقالتك هذه فلا أذكر شيئاً أبداً،
ورجعت إليهم فأخبرتهم بكلامه.
وقد قيل: إنها قالت له: إن بني أمية كذا وكذا - ذكرت إنكارهم لفعله بهم - فلما تكلم

بهذا قالت له: إنهم يحذرونك يوما من أيامهم، فغضب وقال: كل يوم أخافه غير يوم القيامة؛
فلا أمنني الله شره.
فرجعت إليهم فأخبرتهم وقالت: أنتم فعلتم هذا بأنفسكم، تزوجتم بأولاد عمر بن
الخطاب، فجاء يشبه جده، فسكتوا.
قالت فاطمة امرأة عمر: دخلت عليه في مصلاه ودموعه تجري على لحيته، فقلت: أحدث
شيء ؟ قال: إني تقلدت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فتفكرت في الفقير الجائع
والمريض الضائع والعاري والمظلوم والمقهور، والغريب والأسير، والشيخ الكبير وذي العيال
الكثير والمال القليل وأشباههم في أقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم
القيامة، وأن خصمي دونهم محمد صلى الله عليه وسلم، فخشيت ألا تثبت حجتي عند
الخصومة، فرحمت نفسي فبكيت.
وكتب إلى عماله نسخةً واحدة: أما بعد فإن الله عز وجل أكرم بالإسلام أهله، وشرفهم
وأعزهم، وضرب الذلة والصغار على من خالفهم، وجعلهم خير أمةٍ أخرجت للناس، فلا
تولين أمر المسلمين أحداً من أهل ذمتهم وخراجهم، فتنبسط عليهم أيديهم وألسنتهم فتذلهم
بعد أن أعزهم الله، وتهينهم بعد أن أكرمهم الله، وتعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم،
ومع هذا فلا يؤمن غشهم إياهم، فإن الله عز وجل يقول: "يأيها الذين آمنوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً
من دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُم خَبَالاً وَدُّوا ما عَنِتُّم". وقال تعالى: "يأيها الذين آمنوا لا تَتَّخِذُوا اليهودَ
والنصارَى أولياءَ بعضُهم أولياءُ بَعْض". والسلام.
وكتب لما ولى الخلافة إلى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وهو إذ ذاك يلي العراق
وخراسان:
أما بعد فإن سليمان كان عبداً من عبيد الله، أنعم الله عليه ثم قبضه، واستخلفني ويزيد
بن عبد الملك من بعدي إن كان، وإن الذي ولاني الله من ذلك وقدر لي ليس علي بهين،
ولو كانت رغبتي في اتخاذ أزواجٍ واعتقاد أموال لكان في الذي أعطاني الله من ذلك ما قد
بلغ بي أفضل ما بلغ بأحدٍ من خلقه، وأنا أخاف فيما ابتليت به حساباً شديداً ومسألة

غليظة إلا ما عافى الله ورحم، وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك.
فلما قرأ الكتاب قيل له: لست من عماله، لأن كلامه ليس ككلام من مضى من أهله.
وكتب إلى عبد الرحمن بن نعيم:
أما بعد فاعمل عمل من يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين.
وكتب إلى سليمان بن أبي السرى: أن اعمل خانات، فمن مر بك من المسلمين فاقروه يوماً
وليلة، وتعهدوا دوابهم. ومن كانت به علةٌ فاقروه يومين وليلتين، وإن كان منقطعا به فأبلغه
بلده.
فلما أتاه كتاب عمر قال له أهل سمرقند: إن قتيبة ظلمنا وغدر بنا، وأخذ بلادنا، وقد
أظهر الله العدل والإنصاف فأذن لنا فليقدم منا وفدٌ على أمير المؤمنين، فأذن لهم، فوجهوا
وفداً إلى عمر، فكتب إلى سليمان: إن أهل سمرقند شكوا ظلماً وتحاملاً من قتيبة عليهم
حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم، فإن
قضى لهم فأخرج العرب إلى معسكرهم كما كانوا قبل أن يظهر عليهم قتيبة.
فأجلس لهم سليمان جميع بن حاضر القاضي، فقضى أن تخرج العرب إلى معسكرهم
وينابذوهم على سواء، فيكون صلحا جديداً أو ظفراً عنوةً. فقال أهل الصغد: نرضى بما
كان ولا نحدث شيئاً وتواصوا بذلك.
وكتب إلى عبد الحميد: أما بعد فإن أهل الكوفة أصابهم بلاءٌ وشدةٌ وجورٌ في أحكام
الله؛ وسنةٌ خبيثة سنها عليهم عمال السود، وإن قوام الدين العدل والإحسان، فلا يكونن
شيء أهم إليك من نفسك؛ فإنه لا قليل من الإثم، ولا تحمل خراباً على عامر، وخذ منه
ما أطاق؛ وأصلحه حتى يعمرن ولا يؤخذن من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين
لأهل الأرض، ولا تأخذن أجور الضرابين ولا هدية النوروز والمهرجان؛ ولا ثمن الصحف ولا
أجور الفيوج ولا أجور البيوت؛ ولا دراهم النكاح؛ ولا خراج على من أسلم من أهل
الأرض، فاتبع في ذلك أمري، فإني قد وليتك من ذلك ما ولاني الله، ولا تعجل دوني بقطعٍ
ولا صلب حتى تراجعني فيه، وانظر من أراد من الذرية أن يحج فعجل له مائة ليحج بها.

والسلام.
قال محمد بن علي الباقر: إن لكل قومٍ نجيبةً، وإن نجيبة بني أمية عمر بن عبد العزيز رحمه
الله، فإنه يبعث يوم القيامة أمةً وحده.
وقال مجاهد: أتينا عمر نعلمه؛ فلم نبرح حتى تعلمنا منه.
وقيل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ما كان بدء إنابتك ؟ قال: أردت ضرب غلام
لي، فقال لي: اذكر ليلةً صبيحتها يوم القيامة.
وقال عمر: ما كذبت منذ علمت أن الكذب يضر أهله.
وأخباره رضي الله عنه في الخير والعدل كثيرة لو استقصيناها أو أوردنا ما طالعناه منها
لطال ولخرج عن قاعدة هذا التأليف، وناهيك بها سيرةً ضرب بها المثل في العدل
والإحسان منذ كانت إلى يومنا هذا.
وكان له من الأولاد الذكور أربعة عشر وخمس بنات.
كتابه: رجاء بن حيوة الكندي؛ وابن أبي رقبة.
قاضيه: عبد الله بن سعد الأبلي.
حجابه: جيش ومزاحم مولياه.
الأمير بمصر: أيوب بن شرحبيل.
وأقر على القضاء عياض بن عبد الله؛ ثم صرفه بأبي مسعود عبد الله بن حذافة.
وكان نقض خاتمه رضي الله عنه: عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله.
بيعة يزيد بن عبد الملك
هو أبو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية،
وهو التاسع من ملوك بني أمية، بويع له يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رجب سنة 1إحدى
ومائة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز؛ وذلك بعهدٍ من أخيه سليمان بن عبد الملك عل ما
تقدم ذكر ذلك.
قيل: ولما احتضر عمر رضي الله عنه قيل له: اكتب إلى يزيد فأوصه بالأمة. قال: بماذا
أوصيه ؟ إنه من بني عبد الملك.
ثم كتب إليه: أما بعد فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة، حين لا تقال العثرة، ولا تقدر على
الرجعة، إنك تترك ما تترك لمن لا يحمدك، وتصير إلى من لا يعذرك. والسلام.
فلما ولي يزيد نزع أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم عن المدينة، واستعمل عبد الرحمن بن
الضحاك بن قيس الفهري عليها؛ فأراد معارضة ابن حزم فلم يجد عليه سبيلا حتى شكا

عثمان بن حيان إلى يزيد ابن عبد الملك من ابن حزم، وأنه ضربه حدين، وطلب منه أن
يقيده منه.
فكتب يزيد إلى عبد الرحمن كتابا: أما بعد فانظر فيم ضرب ابن حزم ابن حيان، فإن كان
ضربه في أمرٍ بين أو أمرٍ مختلف فيه فلا تلتفت إليه.
فأرسل ابن الضحاك إلى ابن حزم فأحضره؛ وضربه حدين في مقامٍ واحد، ولم يسأله عن
شيءٍ، وعمد يزيد إلى كل ما فعله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مما لم يوافق هواه،
فرده، ولم يخف شناعةً عاجلة ولا إثماً آجلا.
مقتل شوذب
الخارجي وهزيمته بجيوش يزيد قبل ذلك
واسم شوذب بسطام.
قد ذكرنا خروجه في أيام عمر بن عبد العزيز رحمه الله ووصول رسله إلى عمر، وما كان
بينهما من المناظرة، وخروج محمد بن جرير ابن عبد الله البجلي إليهم في ألفين وموادعتهم
إلى أن يعود رسولا شوذب من عند عمر؛ فلما مات عمر بن عبد العزيز أحب عبد الحميد
ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وهو الأمير على الكوفة، أن يحظى عند يزيد بن عبد
الملك؛ فكتب إلى محمد بن جرير يأمره بمناجزة شوذب، فلما رآه يستعد للحرب أرسل إليه
يقول: ما أعجلكم قبل انقضاء المدة.
فأرسل إليه محمد: إنه لا يسعنا ترككم على هذه الحال.
فقال الخوارج: ما فعل هؤلاء هذا إلا وقد مات الرجل الصالح، فاقتتلوا، فأصيب من
الخوارج نفرٌ، وقتل أكثر أهل الكوفة، وانهزم من بقي منهم نحو الكوفة، وتبعهم الخوارج حتى
بلغوا الكوفة، ثم رجعوا إلى مكانهم.
ثم وجه يزيد بن عبد الملك تميم بن الحباب في ألفين فقاتلوه، فقتل، وقتل أكثر أصحابه،
ولجأ من بقي منهم إلى الكوفة، والتحق بعضهم بيزيد، فأرسل إليهم يزيد نجدة بن الحكم
الأزدي في جمع، فقتلوه وهزموا أصحابه.
وأقام شوذب بمكانه حتى دخل مسلمة بن عبد الملك الكوفة، فشكا إليه أهل الكوفة
مكان شوذب وحذروه أمره، فأرسل إليه مسلمة سعيد بن عمرو الحرشي. في عشرة
آلاف، فقال شوذب لأصحابه: من كان منكم يريد الشهادة فقد جاءته، ومن كان يريد الدنيا

فقد ذهبت. فكسروا أغماد سيوفهم وحملوا فكشفوا سعيداً وأصحابه مراراً حتى
خاف سعيد رحمه الله الفضيحة، وكان فارساً شجاعاً، فوبخ أصحابه، وقبح عليهم
الفرار، فحملوا فقتلوا بسطاما ومن معه من الخوارج.
الغزوات والفتوحات في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان
غزوة الترك
وفي سنة 1اثنتين ومائة كانت الحرب بين المسلمين والترك عند قصر الباهلي.
وقيل: كان سبب ذلك أن عظيما من عظماء الدهاقين أراد أن يتزوج امرأةً من باهلة كانت
في ذلك القصر، فأبت فاستجاش الترك، فجمعهم خاقان ووجههم إلى الصغد، فساروا
وعليهم كورصول حتى نزلوا بقصر الباهلي، ورجوا أن يسبوا من فيه، وكان فيه مائة أهل
بيتٍ بذراريهم، وكان على سمرقند يومذاك عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير من
قبل سعيد بن عبد العزيز عامل خراسان، فكتب أهل القصر إليه، وخافوا أن يبطئ عنهم
المدد، فصالحوا الترك على أربعين ألفا وأعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة؛ وانتدب عثمان
الناس؛ فانتدب المسيب ابن بشر الرياحي، وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل،
وعليهم شعبة بن ظهير، وكان على سمرقند قبل عثمان، فلما عسكروا قال لهم المسيب:
إنكم تقدمون على حلبة الترك عليهم خاقان، والعوض إن صبرتم الجنة، والعقاب إن فررتم
النار؛ فمن أراد الغزو والصبر فليقدم.
فرجع عنه ألفٌ وثلاثمائة، فلما سار فرسخاً آخر، فقال مثل ذلك؛ فاعتزله ألفٌ، ثم سار
فرسخا آخر فقال مثل ذلك، فاعتزله ألفٌ، وبقي في سبعمائة؛ فسار حتى بقي على
فرسخين من الترك، فأتاه الخبر أن أهل القصر قد صالحوا الترك على أربعين ألفا، وأعطوهم
سبعة عشر رجلا رهينة، وأنه لما بلغهم مسير المسلمين قتلوا الرهائن وأنهم اتعدوا القتال
غدا.
فبعث المسيب رجلين إلى أهل القصر يعلمهم بقربه، ويستمهلهم يوما وليلة، فأتيا القصر في
ليلة مظلمة وقد أجرت الترك الماء في نواحي القصر، فليس يصل إليه أحدٌ. فلما دنوا من

القصر صاح بهم الربيئة فاستنصتاه، وقالا له: ادع لنا عبد الملك بن دثار، فدعاه، فأعلماه
قرب المسيب، وأمراه بالصبر غدا، ورجعا إلى المسيب، فبايع أصحابه على الموت،
فبايعوه، وسار حتى بقي بينه وبين القصر نصف فرسخ، فلما أمسى أمر أصحابه بالصبر،
وقال: ليكن شعاركم: يا محمد، ولا تتبعوا مولياً، وعليكم بالدواب فاعقروها فإنها إذا
عقرت كانت أشد عليهم منكم، وسار بهم ليلا فوافى عسكر الترك وقت السحر،
فخالطهم المسلمون، وعقروا الدواب، فانهزمت الترك، ونادى منادي المسيب: لا تتبعوهم،
فإنهم لا يدرون من الرعب أتبعتوهم أم لا.
وأمر أصحابه أن يقصدوا القصر ويحملوا ما فيه من المال ومن بالقصر؛ ممن يعجز عن
المشي، ففعلوا، ورجع إلى سمرقند، ورجع الترك من الغد، فلم يروا بالقصر أحداً، ورأوا
قتلاهم، فقالوا: لم يكن الذين أتونا من الإنس. والله أعلم.

غزو الصغد

وفي سنة 1اثنتين ومائة أيضاً عبر سعيد النهر، وغزا الصغد، وكانوا نقضوا العهد، وأعانوا
الترك على المسلمين، فلقيه الترك وطائفة من الصغد، فهزمهم المسلمون وساروا حتى انتهوا
إلى واد بينهم وبين المرج، فقطعه بعضهم وقد أكمن لهم الترك، فلما جازهم المسلمون
خرجوا عليهم، فانهزم المسلمون حتى انتهوا إلى الوادي، ثم جاء الأمير وبقية الجيش فانهزم
العدو.
وفيها غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية أرمينية، وهو على الجزيرة قبل أن يلي العراق،
فهزمهم، وأسر منهم خلقاً كثيراً. وقيل سبعمائة أسير.
وغزا عباس بن الوليد بن عبد الملك الروم، فافتتح دلسة، وغزا أيضاً في سنة ثلاث ومائة،
ففتح مدينة يقال لها رسلة.

ذكر الوقعة بين سعيد الحرشي أمير خراسان وبين الصغد

وفي سنة 1أربع ومائة غزا سعيد الحرشي، فقطع النهر وسار فنزل قصر الريح على
فرسخين من الدبوسية، وكان الصغد لما بلغهم عزل سعيد بن عبد العزيز عن خراسان
واستعمال الحرشي خافوه على أنفسهم، فأجمع عظماؤهم على الخروج من بلادهم، فقال

لهم ملكهم: أقيموا واحملوا له خراج ما مضى، واضمنوا له خراج ما يأتي، وعمارة الأرض،
والغزو معه إن أراد ذلك، واعتذروا مما كان منكم، وأعطوه رهائن. قالوا: نخاف ألا يقبل
ذلك منا، ولكنا نأتي خجندة فنستجير بملكها، ونرسل إلى الأمير فنسأله الصفح عما كان
منا. فوافقهم.
فخرجوا إلى خجندة، وأرسلوا إلى ملك فرغانة يسألونه أن يمنعهم، وينزلهم مدينته، فأراد
أن يفع فنهته أمه، وقالت له: فرغ لهم رستاقاً يكونون فيه؛ فأرسل إليه: سموا رستاقاً تكونون
فيه حتى نفرغه لكم، وأجلوني أربعين يوماً.
فاختاروا شعب عصام بن عب الله الباهلي، فقال: نعم، وليس علي عقد ولا جوار حتى
تدخلوه، وإن أتتكم العرب قبل دخوله لم أمنعكم. فرضوا، وفرغ لهم الشعب.
فلما انتهى الحرشي إلى قصر الريح أتاه ابن عم ملك فرغانة فقال له: إن أهل الصغد
بخجندة، وأخبره خبرهم، وقال: عاجلهم قبل أن يصلوا إلى الشعب، فليس لهم علينا
جوار حتى يمضي الأجل.
فوجه معه عبد الرحمن القشيري أو زياد بن عبد الرحمن في جماعة، ثم ندم بعدما فصلوا،
وقال: جاءني علج لا أعلم صدق أم كذب؛ فغررت بجند من المسلمين.
فارتحل في أثرهم حتى نزل أشرو سنة، فصالحهم بشيء يسير، ثم سار مسرعاً حتى لحق
القشيري، وساروا حتى انتهوا إلى خجندة، فنزل عليهم وأخذ في التأهب. وكان الذين
بخجندة قد حفروا خندقاً في ربضهم وراء الباب، وغطوه بقصب وتراب، وأرادوا إذا التقوا
إن انهرموا دخلوا من الطريق، ويشكل على المسلمين فيسقطون في الخندق. فلما خرجوا
قاتلوهم فانهزموا وأخطئوا هم الطريق فسقطوا في الخندق، فأخرج منهم المسلمون أربعين
رجلا، وحصرهم الحرشي، ونصب عليهم المجانيق.
فأرسلوا إلى ملك فرغانة: إنك قد غدرت بنا، وسألوه أن ينصرهم، فقال: قد أتوكم قبل
انقضاء الأجل، ولستم في جواري، فطلبوا الصلح، وسألوا الحرشي أن يؤمنهم ويردهم إلى
الصغد، فاشترط عليهم أن يردوا ما في أيديهم من نساء العرب وذراريهم، وأن يؤدوا ما

كسروا من الخراج، ولا يغتالوا أحداً، ولا يتخلف منهم بخجندة أحد، فإن أحدثوا حدثاً
حلت دماؤهم.
فخرج إليهم الملوك والتجار من الصغد، ونزل عظماء الصغد على الجند الذين يعرفونهم،
ونزل كارزنج على أيوب بن حسان، وبلغ الحرشي أنهم قتلوا امرأةً ممن كان في أيديهم، فقال
لهم: بلغني أن ثابتاً الإشتيخني قتل امرأةً؛ فجحدوا. فسأل حتى استصح الخبر، فأحضر
ثابتاً وقتله، فلما بلغ كارزنج ذلك خاف أن يقتل فأرسل إلى ابن أخيه ليأتيه بسراويل، وكان
قد قال لابن أخيه: إذا طلبت سراويل فاعلم أنه القتل. فبعث به إليه، وخرج واعترض
الناس فقتل ناساً، وانتهى إلى ثابت بن عثمان بن مسعود فقتله ثابت، وقتل الصغد مائةً
وخمسين رجلا كانوا عندهم من أسرى المسلمين، فأمر الحرشي بقتل الصغد بعد عزل
التجار عنهم، فقاتلهم الصغد بالخشب، ولم يكن لهم سلاحٌ، فقتلوا عن آخرهم، وكانوا ثلاثة
آلاف، وقيل سبعة آلاف، واصطفى الحرشي أموال الصغد وذراريهم، وأخذ من ذلك ما
أعجبه، وقسم ما بقي، وفتح المسلمون حصنا يطيف به وادي الصغد من ثلاث جهات
صلحاً على ألا يتعرض لنسابهم وذراريهم، ففعلوا.
وسار الحرشي إلى كس، فصالحوه على عشرة آلاف رأس. وقيل: ستة آلاف رأس، وولي
الحرشي نصر بن سيار قبض صلح كس، واستعمل سليمان بن أبي السرى على كس،
ونسف - حربها وخراجها. وكانت خزار منيعة، فأرسل الحرشي إليها المسربل بن الخريت
الناجي، وكان صديقا لملكها، واسم ملكها سبغري، فأخبر الناجي الملك بما صنع
الحرشي بأهل خجندة، وخوفه. قال: فما ترى ؟ قال: أرى أن تنزل بأمان، فصالحهم
فأمنوه وبلاده، ورجع الحرشي إلى مرو ومعه سبغريفقتله وصلبه ومعه أمانه.
ظفر الخزر بالمسلمين
وفي سنة 1أربع ومائة دخل جيش المسلمين إلى بلاد الخزر من أرمينية، وعليهم ثبيت
النهراني، فاجتمعت الخزر في جمعٍ كثيف، وأعانهم قفجلق وغيرهم من الترك، فلقوا

المسلمين بمكانٍ يعرف بمرج الحجارة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل من المسلمين خلقٌ كثير،
واحتوت الخزر على عسكرهم، وغنموا ما فيه، وأقبل المنهزمون إلى الشام، فقدموا على
يزيد، فوبخهم على الهزيمة، فقال ثبيتٌ: يا أمير المؤمنين، ما جبنت ولا نكبت عن لقاء
العدو، ولقد لصقت الخيل بالخيل والرجل بالرجل، ولقد طاعنت حتى انقصف رمحي،
وضاربت حتى انقطع سيفي، غير أن الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء.
فتح بلنجر وغيرها
قال: لما تمت الهزيمة المذكورة على المسلمين طمع الخزر في البلاد. فجمعوا وحشدوا،
فاستعمل يزيد بن عبد الملك الجراح بن عبد الله الحكمي على أرمينية، وأمده بجيش
كيفٍ، وأمره بغزو الخزر وغيرهم من الأعداء وقصد بلادهم، فسار الجراح وتسامعت به
الخزر فعادوا حتى نزلوا بالباب والأبواب، ووصل الجراح إلى بردعة، فأقام بها حتى استراح
هو ومن معه، وسار نحو الخزر فعبر نهر الكر، فبلغه أن بعض من معه كتب إلى ملك الخزر
يخبره بمسير الجراح إليه، فأمر الجراح منادياً فنادى في الناس: إن الأمير مقيم ها هنا عدة
أيام، فاستكثروا من الميرة.
فكتب ذلك الرجل إلى ملك الخزر يخبره أن الجراح مقيم، ويشير عليه بترك الحركة لئلا
يطمع المسلمون فيه، ثم أمر الجراح بالرحيل ليلا، وسار مجداً حتى انتهى إلى مدينة الباب
والأبواب، فلم ير الخزر، فدخل البلد، وبث سراياه للنهب والغارة، فغنموا وعادوا، وسار
الخزر إليه، وعليهم ابن ملكهم فالتقوا عند نهر الران، واقتتلوا قتالاً شديداً، فهزمهم
المسلمون وتبعوهم يقتلون ويأسرون، فقتل منهم خلق كثير، وغنم المسلمون جميع ما معهم،
وساروا حتى نزلوا على حصن يعرف بالحصين، فنزل أهله بالأمان على مالٍ يحملونه،
فأجابهم ونقلهمٍ عنه، ثم سار إلى مدينة برغر فأقام عليها ستة أيام، وجد في قتال أهلها،
فسألوا الأمان فأمنهم وتسلم حصنهم ونقلهم منه.
ثم سار إلى بلنجر وهو حسنٌ مشهور من حصونهم، فنازله، وقاتل عليه قتالاً شديداً،

وملك الحصن عنوة، وغنم المسلمون ما فيه، فأصاب الفارس ثلاثمائة دينار، وكانوا بضعة
وثلاثين ألفاً، وأخذ الجراح أولاد صاحب بلنجر وأهله، وأرسل إليه فأحضره ورد إليه
أمواله وأهله وحصنه، وجعله عيناً للمسلمين؛ ثم سار عن بلنجر فنزل على حصن
الوبندر، وبه نحو أربعين ألف بيت من الترك، فصالحوا الجراح على مالٍ يؤدونه، ثم تجمع أهل
تلك البلاد، وأخذوا الطرق على المسلمين، فكتب صاحب بلنجر إلى الجراح يخبره بذلك،
فعاد مجداً حتى وصل إلى رستاق سلى، وأدركهم الشتاء، فا قام المسلمون به، وكتب
الجراح إلى يزيد بن عبد الملك يخبره بما فتح الله عليه وبجموع الكفار، ويسأله المدد، فوعده
بانفاد العساكر، فمات قبل ذلك، فأقر هشام الجراح على عمله، ووعده المدد.
هذا ما كان من الغزوات والفتوحات في أيام يزيد بن عبد الملك، فلنذكر حوادث السنين في
أيامه.
تتمة سنة 1احدى مائة:
ذكر استيلاء يزيد بن المهلب بن أبي صفرة على البصرة وخلعه يزيد بن عبد الملك
قد ذكرنا هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وأنه إنما هرب
خوفاً من يزيد بن عبد الملك لمنافرةٍ كانت بينهما.
وقيل: كان السبب الذي أوجب كراهة يزيد بن عبد الملك في يزيد بن المهلب أن ابن
المهلب خرج يوماً من الحمام في أيام سليمان وقد تضمخ بالغالية، فاجتاز بيزيد بن عبد الملك
وهو إلى جانب عمر ابن عبد العزيز، فقال يزيد بن عبد الملك: قبح الله الدنيا ! لوددت أن
مثقال الغالية بألف دينار، فلا يناله إلا كل شريف، فقال ابن المهلب: بل وددت أن الغالية في
جبهة الأسد فلا ينالها إلا علي. فقال له يزيد بن عبد الملك: والله لئن وليت يوماً لأقتلنك.
فقال ابن المهلب: والله لئن وليت هذا الأمر وأنا حي لاضربن وجهك بمائة ألف سيف.
وقيل: كان السبب أن يزيد بن المهلب كان قد عذب أصهار يزيد بن عبد الملك، وكان
سليمان بن عبد الملك لما ولي الخلافة طلب آل عقيل فأخذهم وسلمهم إلى ابن المهلب

ليخلص الأموال منهم، فبعث ابن المهلب إلى البلقاء من أعمال دمشق وبها خزائن الحجاج
ابن يوسف وعياله، فنقلهم وما معهم إليه، وكان فيمن أتى به أم الحجاج زوجة يزيد بن عبد
الملك.
وقيل: بل أختٌ لها - فعذبها، فأتى يزيد بن عبد الملك إلى ابن المهلب في منزله، فشفع
فيها، فلم يشفعه، فقال: الذي قررتم عليها أنا أحمله، فلم يقبل منه، فقال لابن المهلب: أما
والله لئن وليت من الأمر شيئاً لأقطعن منك عضواً. فقال ابن المهلب: وأنا والله لئن كان
ذلك لأرمينك بمائة ألف سيف.
فحمل يزيد بن عبد الملك المال عنها، وكان مائة ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك. والله
أعلم.
قال: فلما ولي يزيد بن عبد الملك كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن، وإلى عدي بن
أرطاة، يعرفهما هرب يزيد، ويأمرهما بالتحرز منه، وأمر عديا أن يأخذ من بالبصرة من آل
المهلب ويحبسهم، فقبض عليهم وفيهم الفضل وحبيب ومروان بنو المهلب، وأقبل يزيد بن
المهلب نحو البصرة، وقد جمع عدي بن أرطاة الجموع، وخندق على البصرة، وندب الناس،
وجاء يزيد في أصحابه، والذين معه، فالتقاه أخوه محمد بن المهلب فيمن اجتمع إليه من أهله
وقومه ومواليه، فمر بجموع عدي؛ فجعل لا يمر بخيلٍ من خيل عدي إلا تنحوا عن طريقه،
وأقبل حتى نزل داره، واختلف الناس إليه، فبعث إلى عدي أن ابعث إلي إخوتي وأنا
أصالحك على البصرة وأخليك وإياها حتى آخذ لنفسي من يزيد ما أحب. فلم يقبل منه،
وأخذ يزيد بن المهلب يعطى من أتاه قطع الذهب والفضة؛ فمال الناس إليه؛ وكان عدي لا
يعطي إلا درهمين درهمين، ويقول: لا يحل أن أعطيكم من بيت المال درهما إلا بأمر يزيد بن
عبد الملك، ولكن تبلغوا بهذه حتى يأتي الأمر، فقال الفرزدق:
أظنّ رجال الدّرهمين تقودهم إلى الموت آجالٌ لهم ومصارع
وأكيسهم من قرّ في قعر بيته وأيقن أنّ الموت لا بدّ واقع
وخرج يزيد حين اجتمع الناس له حتى نزل جبانة بني يشكر وهو المنصف فيما بينه وبين

القصر، فلقيه قيس وتميم وأهل الشام، فاقتتلوا هنيهة وانهزموا، فتبعهم يزيد وأصحابه حتى
دنا من القصر، وخرج إليهم عدي بنفسه فقتل من أصحابه وانهزم هو، وقصد قتل آل
المهلب الذين في حبسه؛ فأغلقوا الباب ومنعوا عن أنفسهم حتى أدركهم يزيد، ونزل في دار
سالم ابن زياد بن أبيه، وهي إلى جنب القصر، ونصب السلاليم، وفتح القصر، وأتى بعدي
بن أرطاة فحبسه، وقال: لولا حبسك إخوتي لما حبستك، وأخرج إخوته وهرب بوجوه
أهل البصرة، فلحقوا بالكوفة، وكان يزيد قد بعث حميد بن عبد الملك بن المهلب إلى يزيد
ابن عبد الملك في طلب الأمان، فعاد بما طلب ومعه خالد القسري وعمرو ابن يزيد
الحكمي، فوجد المغيرة بن زياد وقد فر من يزيد ابن المهلب، فأخبرهم الخبر، فعادوا إلى
يزيد بن عبد الملك ومعهم حميد، وأرسل يزيد بن عبد الملك إلى أهل الكوفة يثنى عليهم
ويعدهم الزيادة وأرسل أخاه مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد، في سبعين ألف مقاتل من
أهل الشام والجزيرة.
وقيل: كانوا ثمانين ألفا، فساروا إلى العراق حتى بلغوا الكوفة فنزلوا بالنخيلة، واستوثق أمر
البصرة لابن المهلب، وبعث عماله على الأهواز وفارس وكرمان، ثم سار يزيد من البصرة،
واستعمل عليها أخاه مروان، وأتى واسطا، وأقام عليها أياما يسيرةً إلى أ، دخلت سنة
1اثنتين ومائة، فسار عنها.
واستخلف عليها ابنه معاوية، ونزل عنده بيت المال، وقدم أخاه عبد الملك نحو الكوفة،
فاستقبله العباس بن الوليد واقتتلوا، فظفر عبد الملك أولا، ثم كانت الهزيمة عليه، فعاد بمن
معه إلى أخيه، وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات إلى الأنبار، وعقد عليها جسراً
فعبر وسار حتى نزل على ابن المهلب، والتحق بابن المهلب ناسٌ كثيرٌ من الكوفة والثغور،
وأحصى ديوانه مائة ألف وعشرين ألفاً، فقال: لوددت أن لي بهم من بخراسان من قومي.
ثم قام في أصحابه وحرضهم على القتال، وكان اجتماع ابن المهلب ومسلمة ثمانية أيام، فلما
كان يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة مضت من صفر سنة 1اثنتين ومائة خرج مسلمة في جنوده

حتى قرب من ابن المهلب، والتقوا واقتتلوا؛ فانهزم أصحاب ابن المهلب، فترجل وبقي في
جماعةٍ من أصحابه وقد استقتل وهو يتقدم؛ فكلما مر بخيل كشفها أو جماعةٍ من أهل
الشام عدلوا عنه؛ وأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره، فلما دنا منه أدنى فرسه ليركب، فعطف
عليه أهل الشام، فقتل يزيد والسميدع ومحمد بن المهلب، وكان رجل من كلب يقال له القحل
بن عياش لما نظر إلى يزيد قال هذا والله يزيد، والله لأقتلنه أو ليقتلني، فمن يحمل معي
يكفيني أصحابه حتى أصل إليه، فحمل معه ناسٌ، فاقتتلوا ساعةً، وانفرج الفريقان عن يزيد
قتيلا وعن القحل بآخر رمقٍ، فأومأ إلى أصحابه يريهم مكان يزيد وأنه هو الذي قتله، وأن
يزيد قتله، وأتى مولى لبني مرة برأس يزيد إلى مسلمة، فقيل له: أنت قتلته ؟ قال: لا، فبعث
مسلمة بالرأس إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد ابن عقبة بن أبي معيط.
وقيل: بل قتله الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي، ولم ينزل لأخذ رأسه أنفةً.
قال: ولما قتل يزيد كان المفضل بن المهلب يقاتل أهل الشام وهو لا يدري بقتل أخيه ولا
بهزيمة الناس، فأتاه آتٍ وقال له: ما تصنع وقد قتل يزيد وحبيب ومحمد، وانهزم الناس منذ
طويل ؟ فتفرق الناس عنه، ومضى المفضل إلى واسط.
وقيل: بل أتاه أخوه عبد الملك، وكره أن يخبره بقتل يزيد فيستقتل، فقال له: إن الأمير قد
انحدر إلى واسط، فانحدر المفضل بمن بقي من ولد المهلب إليها، فلما علم بقتل يزيد حلف
أنه لا يكلم عبد الملك أبداً، فما كلمه حتى قتل بقندابيل.
قال: ولما أتت هزيمة ابن المهلب إلى واسط أخرج ابنه معاوية اثنين وثلاثين إنسانا كانوا
عنده، فضرب أعناقهم منهم عدي ابن أرطاة، وابنه محمد، ومالك، وعبد الملك ابنا مسمع
وغيرهم، ثم أقبل حتى أتى البصرة بالمال والخزائن، وجاء المفضل بن المهلب واجتمع إلى
المهلب بالبصرة، وأعدوا السفن وتجهزوا للركوب. في البحر إلى جبال كرمان، وحملوا
عيالهم وأموالهم في السفن البحرية، ولججوا حتى أتوا جبال كرمان، فخرجوا من سفنهم،
وحملوا ما معهم على الدواب.

وكان المقدم عليهم المفضل، وكان بكرمان فلولٌ كثيرة، فاجتمعوا إلى المفضل، وبعث مسلمة
مدرك بن ضب الكلبي في طلبهم وفي أثر الفل، فأدرك المفضل ومن اجتمع إليه، فقاتلوه قتالاً
شديداً، فقتل من أصحاب المفضل جماعةٌ، وطلب بعض من معه الأمان، ومضى آل المهلب
إلى قندابيل، وبعث مسلمة إلى مدرك بن ضب، فرده؛ وسير في أثرهم هلال بن أحوز
التميمي فلحقهم بقندابيل، فأراد آل المهلب دخولها فمنعهم أميرها وادع بن حميد، وكان
يزيد بن المهلب قد استعمله عليها، وأخذ عليه العهود والمواثيق أنه إن قتل في حربه يلجأ
أهله إليها ويتحصنوا بها حتى يأخذوا أمان يزيد بن عبد الملك.
وقال له: قد اخترتك لهم من بين قومي فكن عند حسن ظني؛ وعاهده ليناصحن أهل
بيته إن هم لجئوا إليه.
فلما أتوه منعهم من الدخول، وكتب إلى هلال بن أحوز، فلما التقوا نصب هلالٌ راية أمان،
فتفرق الناس عن آل المهلب، وتقدموا هم بأسيافهم، فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم،
وهم المفضل، وعبد الملك، وزياد، ومروان بنو المهلب، ومعاوية بن يزيد بن المهلب، والمنهال
بن أبي عيينة بن المهلب، وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة ابن المهلب، وحملت رؤوسهم؛ وفي
أذن كل واحد رقعةٌ فيها اسمه، ولحق منهم برتبيل أبو عيينة بن المهلب، وعمرو بن يزيد،
وعثمان بن المفضل؛ وبعث هلال بالرؤوس والنساء الأسرى من آل المهلب إلى مسلمة بن
عبد الملك وهو بالحيرة، فبعثهم إلى يزيد ابن عبد الملك، فبعثهم يزيد إلى العباس بن الوليد
وهو على حلب، فنصب الرؤوس، وأراد مسلمة أن يبيع الذرية، فاشتراهم منه الجراح بن
عبد الله الحكمي بمائة ألف، وخلى سبيلهم، ولم يأخذ مسلمة بن الجراح شيئاً، وكانت
الأسرى من آل المهلب ثلاثة عشر رجلا، فلما جيء بهم إلى يزيد بن عبد الملك كان عنده
كثير عزة فقال:
حليم إذا ما نال عاقب مجملا أشدّ العقاب أو عفا لم يثرّب
فعفواً أمير المؤمنين وحسبةً فما تأته من صالح لك يكتب
أساءوا فإن تصفح فإنك قادر وأفضل حلمٍ حسبةً حلم مغضب

فقال يزيد: هيهات يا أبا صخر؛ أطت بك الرحم، لا سبيل إلى ذلك، إن الله أقاد منهم
بأعمالهم الخبيثة، ثم أمر بهم فقتلوا، وبقي غلام صغير. فقال: اقتلوني، فما أنا بصغير.
فقال: انظروا، أنبت ؟ فقال: أنا أعلم بنفسي، قد احتملت ووطئت النساء، فأمر به فقتل.
والذين قتلوا من آل المهلب بين يدي يزيد بن عبد الملك المعارك وعبد الله، والمغيرة،
والمفضل، ومنجاب أولاد يزيد بن المهلب ودوية والحجاج، وغسان، وشبيب، والفضل أولاد
المفضل بن المهلب، والمفضل ابن قبيصة بن المهلب.
قال: وأما أبو عيينة بن المهلب فأرسلت هند بنت المهلب إلى يزيد ابن عبد الملك في أمانه
فأمنه، وبقي عمرو وعثمان حتى ولي أسد ابن عبد الله القسري خراسان، فكتب إليهما
بأمانهما فقدما خراسان.
وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس، وهو عامل المدينة، وكان
على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد ابن أسيد، وعلى الكوفة عبد الحميد، وعلى
قضائها الضعبي، وعلى خراسان عبد الرحمن بن نعيم.
سنة اثنتين ومائة:
ولاية مسلمة
بن عبد الملك العراق وخراسان وعزله وولاية عمر بن هبيرة
قال: ولما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب ابن المهلب جمع له أخوه يزيد ولاية الكوفة
والبصرة وخراسان، فأقر محمد بن عمرو ابن الوليد على الكوفة، وبعث إلى البصرة عبد
الرحمن بن سليم الكلبي، وعلى شرطتها عمرو بن يزيد التميمي، فأراد عبد الرحمن أن
يستعرض أهل البصرة ويقتلهم، فنهاه عمرو واستمهله عشرة أيام، وكتب إلى مسلمة بالخبر
فعزله، واستعمل على البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان، واستعمل على خراسان
سعيد بن عبد العزيز ابن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وهو الذي يقال له
سعيد خدينة، وإنما لقب بذلك لأنه كان رجلا ليناً متنعما، فدخل عليه بعض ملوك العجم
وسعيد في ثياب مصبغة وحوله مرافق مصبغة، فلما خرج من عنده قالوا له: كيف رأيت
الأمير. قال: خدينة. فلقب خدينة، وهي الدهقانة ربة البيت.

وكان سعيد زوج ابنة مسلمة، فلذلك استعمله، فغزا سعيد الصغد
كما تقدم.
قال: ولما ولي مسلمة العراق وخراسان لم يرفع من الخراج
شيئا، فأراد يزيد عزله فاستحي
من ذلك، فكتب إليه أن استخلف على عملك، وأقبل. فلما قدم
لقيه عمر بن هبيرة الفزاي
بالطريق على دواب البريد، فسأله عن مقدمه، فقال: وجهني
أمير المؤمنين في حيازة أموال
بني المهلب. ولم يكن الأمر كذلك، وإنما كان يزيد قد استعمله،
فلم يلبث حتى أتاه عزل ابن
هبيرة عماله والغلظة عليهم، وكان ابن هبيرة قبل ذلك يلي
الجزيرة.
البيعة لهشام
بن عبد الملك والوليد بن يزيد بولاية العهد
وفي هذه السنة أراد يزيد أن يأخذ البيعة لابنه الوليد، فقال له
مسلمة بن عبد الملك: إن
ابنك لم يبلغ الحلم؛ وأشار عليه بالبيعة لهشام، ففعل، وبايع
لهشام بولاية العهد، ثم من بعده
لابنه الوليد بن يزيد، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة، ثم عاش
يزيد حتى بلغ ابنه الوليد
الحلم، فكان يزيد إذا رآه يقول: الله بيني وبين من جعل هشاماً
بيني وبينك.
مقتل يزيد بن أبي مسلم
كان يزيد بن عبد الملك قد استعمل يزيد بن أبي مسلم على
إفريقية في سنة 1إحدى
ومائة، فقتل في هذه السنة.
وكان سبب قتله أنه أراد أن يسر في أهل إفريقية بسيرة الحجاج
في أهل الإسلام الذين
سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة، فإنه
ردهم إلى قراهم، ووضع
عليهم الجزية على ما كانوا عليه قبل الإسلام. فلما عزم يزيد بن
مسلم على ذلك اجتمع
رأي أهل إفريقية على قتله، فقتلوه وولوا عليهم الوالي الذي
كان قبله، وهو محمد بن يزيد
مولى الأنصار، وكتبوا إلى يزيد ابن عبد الملك: إنا لم نخلع أيدينا
من طاعة، ولكن يزيد بن
أبي مسلم سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون، فقتلناه، وأعدنا
عاملك.
فكتب إليهم: إنه لم يرض بما صنع. وأقر محمد بن يزيد على
عمله.
وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك، وهو عامل
المدينة.

سنة 1ثلاث ومائة:
استعمال سعيد الحرشي
على خراسان وعزل سعيد خدينة عنها
في هذه السنة عزل عمر بن هبيرة سعيد خدينة عن خراسان
بشكوى المجشر بن مزاحم
السلمي، وعبد الله بن عمير الليثي، واستعمل سعيد بن عمرو
الحرشي، من بني الحريش
بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة، وكان خدينة بباب
سمرقند، فبلغه عزله فرجع
وقدم الحرشي خراسان فلم يعرض لعمال خدينة، وقرأ رجلٌ
عهده فلحن فيه، فقال: صه؛
مهما سمعتم فهو من الكاتب، والأمير منه بريء.
وخطب الناس وحثهم على الجهاد، وقال: إنكم لا تقاتلون بكثرة
ولا بعدة، ولكن بنصر
الله وعز الإسلام، فقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله.
وقال:
فلست لعامرٍ إن لم تروني أمام الخيل أطعن بالعوالي
وأضرب هامة الجبّار منهم بعضب الحدّ حودث بالصّقال
فما أنا في الحروب بمستكينٍ ولا أخشى مصاولة الرّجال
أبى لي والدي من كلّ ذمّ ٍ وخالي في الحوادث غير خالي
فهابه الصغد، وكان من قتاله إياهم وقتلهم ما ذكرناه.
ولما ظفر بهم كتب إلى يزيد بن عبد الملك ولم يكتب إلى ابن
هبيرة فوجد عليه.
وفيها جمعت مكة والمدينة لعبد الرحمن بن الضحاك، وولي عبد
الواحد ابن عبد الله
النضري الطائف.
سنة 1أربع ومائة:
عزل عبد الرحمن عن مكة والمدينة
وولاية عبد الواحد
وفي هذه السنة عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن
الضحاك عن مكة والمدينة.
وسبب ذلك أن عبد الرحمن خطب فاطمة بنت الحسين بن علي
رضي الله عنهما،
فقالت: ما أريد النكاح، ولقد قعدت على بني هؤلاء، فألح عليها،
وقال: لئن لم تفعلي
لأجلدن أكبر بنيك في الخمر، يعني عبد الله بن الحسن بن
الحسن بن علي، وكان على
الديوان بالمدينة ابن هرمز رجل من أهل الشام، وقد رفع
حسابه، وهو يريد أن يسير إلى
يزيد، فدخل على فاطمة يودعها، فقالت: تخبر أمير المؤمنين
بما ألقى من الضحاك.

وبعثت رسولا بكتابٍ إلى يزيد يخبره بذلك. فقدم ابن هرمز على يزيد، فاستخبره عن
المدينة، وقال: هل من مغربةٍ خبر ؟ فلم يذكر شأن فاطمة، فقال الحاجب ليزيد: بالباب
رسول من فاطمة بنت الحسين. فقال ابن هرمز: إنها حملتني رسالةً؛ وأخبره الخبر، فنزل
عن فراشه، وقال: لا أم لك ! عندك هذا وما تخبر نيه ! فاعتذر بالنسيان، فأذن لرسولها،
فأدخل، وقرأ كتابها، وجعل يضرب بخيزران في يده، ويقول: لقد اجترأ ابن الضحاك، هل من
رجل يسمعني صوته في العذاب ؟ قيل له: عبد الواحد بن عبد الله النضري. فكتب إليه
بيده:
قد وليتك المدينة، فاهبط إليها، واعزل عنها ابن الضحاك، وأغرمه أربعين ألف دينار،
وعذبه حتى أسمع صوته، وأنا على فراشي.
وسار البريد بالكتاب، ولم يدخل على ابن الضحاك، فأحس وأحضر البريد، وأعطاه ألف
دينار ليخبره الخبر، فأخبره، فسار ابن الضحاك مجداً فنزل على مسلمة بن عبد الملك،
فاستجار به، فحضر مسلمة عند يزيد، فطلب إليه حاجةً جاء لها، فقال: كل حاجة هي
لك إلا ابن الضحاك. فقال: هي والله ابن الضحاك. فقال: والله لا أعفيه أبداً.
ورده إلى عبد الواحد بالمدينة فعذبه، ولبس جبة صوف، فسأل الناس.
وكان قدوم النضري في شوال سنة 1أربع ومائة، فأحسن السيرة في الناس، وكان ابن
الضحاك قد آذى الأنصار طراً، فأعفاهم الله منه.
وفيها عزل عمر بن هبيرة سعيدا الحرشي عن خراسان وولاها مسلم بن سعيد بن أسلم
بن زرعة الكلابي، وسبب ذلك أن الحرشي كان يستخف بابن هبيرة فعزله وعذبه حتى
أدى الأموال.
وحج بالناس في هذه السنة عبد الواحد النضري.
سنة 1خمس ومائة:
أخبار الخوارج
في أيام يزيد بن عبد الملك
وهؤلاء الخوارج الذين نذكرهم ذكرهم ابن الأثير في حوادث هذه السنة، ولم يذكر أنهم
خرجوا فيها، فقال:

وفي أيام يزيد خرج حروري اسمه عقفان في ثلاثين رجلاً، فأراد يزيد أن يرسل إليه جنداً
يقاتلونه، فقيل له: إن قتل بهذه البلاد اتخذها الخوارج دار هجرةٍ، والرأي أن تبعث إلى كل
رجل من أصحابه رجلاً من قومه يكلمه ويرده. ففعل ذلك، فرجعوا وبقي عقفان وحده،
فبعث إليه يزيد أخاه فاستعطفه ورده.
فلما ولي هشام بن عبد الملك ولاه أمر العصاة، فقدم ابنه من خراسان عاصياً، فشده
وثاقاً، وبعث به إلى هشام، فأطلقه لأبيه، وقال: لو خاننا عقفان لكتم أمر ابنه، واستعمل
عقفان على الصدقة فبقي إلى أن توفي هشام.
وخرج مسعود بن أبي زينب العبدي بالبحرين على الأشعث ابن عبد الله بن الجارود،
ففارق الأشعث البحرين، وسار مسعود إلى اليمامة وعليها سفيان بن عمرو العقيلي من
قبل ابن هبيرة، فخرج إليه سفيان فاقتتلوا بالخضرمة قتالاً شديداً، فقتل مسعود، وقام بأمر
الخوارج بعده هلال بن مدلج، فقاتلهم يومه كله، فلما أمسى تفرق عنه أصحابه، وبقي في نفرٍ
يسير، فدخل قصراً فتحصن به، فنصبوا عليه السلاليم، وصعدوا إليه فقتلوه.
وقيل: إن مسعوداً غلب على البحرين واليمامة تسع عشرة سنة حتى قتله سفيان بن
عمرو. والله أعلم.
وخرج مصعب بن محمد الوالبي، وكان من رؤساء الخوارج، فطلبه عمر بن هبيرة، وطلب
معه مالك بن الصعب وجابر بن سعد، فخرجوا واجتمعوا بالخورنق، وأمروا عليهم
مصعباً، فاستمر إلى أن ولي خالد القسري العراق في أيام هشام، فبعث إليهم جيشاً، وكانوا
قد صاروا بحزة من أعمال الموصل، فالتقوا واقتتلوا، فقتل الخوارج.
وقيل: كان قتلهم في أيام يزيد. والله أعلم.

وفاة يزيد
بن عبد الملك وشيء من أخباره

كانت وفاته بحوران لخمس بقين من شعبان سنة 105 خمس ومائة، وله أربعون سنة.
وقيل خمس وثلاثون. وقيل: غير ذلك.
وكانت خلافته أربع سنين وشهراً. وكان جميلاً أبيض جسيما مدور الوجه شديد الكبر

عاجز الرأي، وكان صاحب لهو، وهو أول من اتخذ القيان من بني أمية، وكان يهوى
جاريتين، وهما حبابة وسلامة، وهي سلامة القس، وقال يوماً - وقد طرب: دعوني أطير.
فقالت حبابة: على من تدع الأمة ؟ فقال: عليك. وغنت يوما:
بين التّراقي واللهاة حرارة ما تطمئنّ وما تسوغ فتبرد
فأهوى ليطير، فقالت: يا أمير المؤمنين، إن لنا فيك حاجة. فقال: والله لأطيرن. فقالت:
فعلى من تخلف الأمة والملك ؟ فقال: عليك والله. وقبل يدها.
وخرجت معه إلى ناحية الأردن للتنزه فرماها بحبة عنب فدخلت حلقها فشرقت
ومرضت وماتت، فتركها ثلاثة أيام لا يدفنها حتى أنتنت، وهو يقبلها ويشمها وينظر إليها
ويبكي، فكلم في أمرها فدفنها.
وقيل: إنه نبشها بعد دفنها، وبقي سبعة أيامٍ لا يظهر للناس، وأشار عليه مسلمة بذلك لئلا
يظهر منه ما يسفهه عندهم.
قال: وكان يزيد قد حج أيام أخيه سليما، فاشترى حبابة بأربعة آلاف دينار، وكان اسمها
الغالية، فقال سليمان: لقد هممت أن أحجر على يزيد. فردها يزيد فاشتراها رجلٌ من أهل
مصر، فلما أفضت الخلافة إلى يزيد قالت له امرأته سعدة يوما: هل بقي من الدنيا شيء
تتمناه ؟ قال: نعم، حبابة، فأرسلت فاشترتها، وأتت بها فأجلستها من وراء الستر،
وأعادت عليه القول الأول. فقال: قد أعلمتك، فرفعت الستر، وقالت: هذه حبابة، وقامت
وتركتها، فحظيت سعدة عنده، وأكرمها.
وهي سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان.
قال: وإنما قيل لسلامة القس، لأن عبد الرحمن بن عبد الله ابن أبي عمار أحد بني جشم
بن معاوية بن بكر كان فقيها عابداً مجتهدا في العبادة، وكان يسمى القس لعبادته. مر يوما
بمنزل مولاها، فسمع غناءها، فوقف يسمعه فرآه مولاها، فقال له: هل لك أن تنظر وتسمع
! فأبى، فقال: أنا أقعدها بمكانٍ لا تراها وتسمع غناءها. فدخل معه فغنت، فأعجبه
غناؤها. ثم أخرجها مولاها إليه فشغف بها وأحبها وأحبته. فقالت له يوما على خلوة:
أنا والله أحبك. قال: وأنا والله. قالت: وأحب أن أقبلك. قال: وأنا والله. قالت: وأحب

أن أضع بطني على بطنك. قال: وأنا والله. قالت: فما يمنعك ؟
قال: قوله تعالى: "الإخلاَّءُ
يومئذ بعْضُهم لبَعْضٍ عدوٌّ إلاَّ المتَّقِين". وأنا أكره أن تئول خلتنا إلى عداوة، ثم قام وانصرف
عنها وعاد إلى عبادته. وله فيها أشعار كثيرة منها قوله:
ألم ترها لا يبعد الله دارها إذا طرّبت في صوتها كيف تصنع
تمدّ نظام القول ثم ترده إلى صلصلٍ من صوتها يترجع
وله فيها غير ذلك.
وأما يزيد فأخباره مع سلامة وحبابة كثيرة مشهورة أضربنا عن ذكر كثير منها.
فلنذكر خلاف ذلك من أخباره:
وكان له من الأولاد الذكور ثمانية، منهم عبد الله، والوليد.
كتابه: عمر بن هبيرة، ثم إبراهيم بن جبلة، ثم أسامة بن زيد السليحي.
قاضيه: عبد الرحمن بن الحسحاس وغيره.
حجا به: سعيد وخالد مولياه.
نقش خاتمه: قنى السيئات يا عزيز.
الأمير بمصر: بشر بن صفوان.
وأقر أبا مسعود على القضاء، ثم ولي إمارة مصر حنظلة بن صفوان أخا بشر، وسار
بشر إلى إفريقية. وولي مصر أيضاً في خلافته أسامة ابن زيد، والله أعلم.
بيعة هشام بن عبد الملك
هو أبو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، وأمه أم هشام فاطمة، وقيل:
عائشة بنت هشام المخزومي، وهو العاشر من ملوك بني أمية.
بويع له لخمس بقين من شعبان سنة 1خمس ومائة بعد وفاة أخيه. أتته الخلافة وهو
بالرصافة، فجاءه البريد بالخاتم والقضيب وسلم عليه بالخلافة، فركب منها، حتى أتى
دمشق، وكان من أول ما ابتدأ به أن عزل عمر بن هبيرة عن العراق، واستعمل خالد بن
عبد الله القسري، وذلك في شوال من السنة. ولنبدأ بذكر الغزوات والفتوحات في أيامه:
الغزوات والفتوحات في أيام هشام بن عبد الملك على حكم السنين
في سنة 1خمس ومائة غزا الجراح الحكمي اللان حتى جاز ذلك إلى مدائن وحصون وراء
بلنجر، ففتح بعض ذلك وأصاب غنائم كثيرة.
وغزا سعيد بن عبد الملك أرض الروم، فبعث سرية في نحو ألف مقاتل فأصيبوا جميعاً.

وغزا مسيلم بن سعيد الكلابي أمير خراسان الترك بما وراء النهر فلم يفتح شيئاً، وقفل
فاتبعه الترك فلحقوه، والناس يعبرون جيحون، وعلى اساقة عبيد الله بن زهير بن حيان
على خير تميم، فحاموا حتى عبر الناس.
وغزا مسلم أفشين، فصالح أهلها على ستة آلاف رأس، ودفع إليه القلعة.
وغزا مروان بن محمد الصائفة اليمنى، فافتتح قونية من أرض الروم، وكمخ. والله سبحانه
وتعالى أعلم.
غزوة مسلم الترك
وفي سنة 1ست ومائة غزا مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الترك، فقطع النهر، فلما بلغ
بخارى أتاه كتاب خالد القسري بولايته العراق، ويأمره بإتمام غزاته، فسار إلى فرغانة، فلما
وصلها بلغه أن خاقان قد أقبل إليه، فارتحل، فسار ثلاث مراحل في يومٍ، وأقبل إليهم
خاقان، فلقى طائفةً من المسلمين، فقتل جماعةً منهم، وأصاب دواب لمسلم، ورحل مسلم
بالناس، فسار ثمانية أيام والترك يطيفون بهم، وأحرق الناس ما ثقل عليهم من أثقالهم،
فحرقوا ما قيمته ألف ألف، ونزل مسلم في الليلة التاسعة، وأصبح فسار فورد النهر وأقام
يوما ثم قطعه من الغد، واتبعهم ابنٌ لخاقان، فعطف حميد ابن عبد الله وهو على الساقة
على طائفةٍ من الترك نحو المائتين فقاتلهم، فأسر أهل الصغد وقائدهم وقائد الترك في سبعة،
ومضى البقية. ورجع حميد فرمى بنشابة في ركبته فمات.
وعطش الناس في هذه الغزوة عطشا شديداً وأتوا خجندة وقد أصابتهم مجاعةٌ وجهد،
فانتشر الناس. وجاء عبد الرحمن بن نعيم عهده على خراسان من قبل أسد بن عبد الله
أخي خالد القسري، فأقرأه عبد الرحمن مسلما، فقال: سمعاً وطاعة.
قال بعض من شهد هذه الغزوة، قاتلنا الترك فأحاطوا بنا حتى أيقنا بالهلاك، فحمل حوثرة
بن يزيد بن الحر بن الحنيف على الترك في أربعة آلاف، فقاتلهم ساعةً. ثم رجع، وأقبل نصر
بن سيرا في ثلاثين فارسا فقاتلهم حتى أزالهم عن مواقفهم، وحمل عليهم الناس؛ فانهزم
الترك، وقف عبد الرحمن بالناس ومعه مسلم.
وغزا سعيد بن عبد الملك الصائفة في هذه السنة.

وغزا الجراح بن عبد الله اللان، فصالح أهلها وأدوا الجزية.
غزاة عنبسة
الفرنج بالأندلس
وفي سنة 1سبع ومائة غزا عنبسة بن سحيم الكلبي عامل الأندلس بلد الفرنج في جمعٍ
كثير، فنازل مدينة برشلونه، وحصر أهلها، فصالحوه على نصف أعمالها، وعلى جميع ما في
المدينة من أسرى المسلمين وأسلابهم، وأن يعطوا الجزية ويلتزموا بأحكام الذمة.
وفيها غزا أسد بن عبد الله أمير خراسان الغور؛ وهي جبال هراة، فعمد أهلها إلى
أثقالهم فصيروها في كهفٍ ليس إليه طريق، فأمر أسد باتخاذ توابيت، ووضع فيها الرجال،
ودلاها بالسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه.
وفيها غزا الحارث بن عمرو الطائي الترك من جهة أرمينية فافتتح رستاقا من بلد الترك
وقرىً كثيرة وأثر أثرا حسنا.
وفي سنة 1ثمان ومائة قطع أسد بن عبد الله النهر، وأتاه خاقان، فلم يكن بينهما قتال، ثم
مضى أسد إلى غوريان، فقاتلهم يوما، ثم اقتتلوا من الغد فانهزم المشركون، وحوى المسلمون
عسكرهم، وظهروا على البلاد، وأسروا وسبوا وغنموا.
وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الروم مما يلي الجزيرة ففتح قيساية، وهي مدينة مشهورة.
وغزا إبراهيم بن هشام ففتح حصناً من حصون الروم.
وفيها سار ابن خاقان ملك الترك إلى أذربيجان، فحصر بعض مدنها، فسار إليه الحارث
بن عمرو الطائي، فالتقوا واقتتلوا فانهزم الترك وتبعهم الحارث حتى عبر نهر روس، فعاد إليه
ابن خاقان فعاودوا الحرب أيضا، فانهزم ابن خاقان، وقتل من الترك خلق كثير.
وغزا معاوية بن هشام بن عبد الملك ومعه ميمون بن مهران على أهل الشام فقطعوا البحر
إلى قبرس.
وغزا البر مسلمة بن عبد الملك بن مروان.
وفي سنة تسع ومائة غزا عبد الله بن عقبة الفهري في البحر، وغزا معاوية بن هشام أرض
الروم، ففتح حصنا يقال له طيبة، وغزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية أذربيجان
فغنم وسبى وعاد.
وغزا بشر بن صفوان عامل إفريقية جزيرة صقلية، فغنم شيئا كثيرا، ثم رجع إلى القيروان

فتوفي من سنته. واستعمل هشام عبيدة بن عبد الرحمن بن أبي الأغر السلمي.
خبر أشرس
بن عبد الله السلمي أمير خراسان وأهل سمرقند وغيرها بما وراء النهر وما يتصل بذلك
من الحروب
في سنة 110 عشرة ومائة أرسل أشرس إلى أهل سمرقند وغيرها مما وراء النهر يدعوهم
إلى الإسلام، على أن توضع عنهم الجزية، وأرسل في ذلك ابا الصيداء صالح بن طريق مولى
بني ضبة والربيع بن عمران التميمي، فقال أبو الصيداء: إنما أخرج على شريطة أنه من
أسلم لا يؤخذ منه الجزية، وإنما خراج خراسان على رؤوس الرجال. فقال أشرس: نعم.
فشخص إلى سمرقند وعليها الحسن بن أبي العمرطة الكندي، فدعا أبو الصيداء أهل
سمرقند ومن حولها إلى الإسلام، على أن توضع عنهم الجزية، فسارع الناس إلى الإسلام،
فكتب إلى أشرس: إن الخراج قد انكسر. فكتب أشرس إلى ابن أبي العمرطة: إن في
الخراج قوةً للمسلمين، وقد بلغني أن أهل الصغد وأشباههم إنما أسلموا تعوذاً من الجزية،
فانظر من اختتن وأقام الفرائض، وقرأ سورةً من القرآن فارفع خراجه، ثم عزل أشرس ابن
أبي العمرطة عن الخراج، وصيره إلى هانيء بن هانيء، فمنعهم أبو الصيداء من أخذ الجزية
ممن تلفظ بالإسلام، وكتب هانيء إلى أشرس: إن الناس قد أسلموا وبنوا المساجد.
فكتب أشرس إليه وإلى العمال: خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه عنه، فأعادوا الجزية على
من أسلم، فامتنعوا، واعتزلوا في سبعة آلاف على عدة فراسخ من سمرقند، وخرج إليهم
أبو الصيداء وربيع بن عمران، والهيثم الشيباني، وأبو فاطمة الأزدي، وعامر بن قشير،
وبشير الخجندي، وبيان العنبري، وإسماعيل بن عقبة لينصروهم، فعزل أشرس ابن أبي
العمرطة عن الحرب، واستعمل مكانه المجشر بن مزاحم السلمي؛ فكتب المجشر إلى أبي
الصيداء في القدوم عليه هو وأصحابه، فقدم أبو الصيداء وثابت قطنة فحبسهما، واجتمع
أصحاب أبي الصيداء وولوا أمرهم أبا فاطمة ليقاتلوا هانئا، فقال لهم: كفوا حتى نكتب

إلى أشرس.
فكتبوا إليه، فكتب أشرس: ضعوا عنهم الخراج. فرجع أصحاب أبي الصيداء وضعف
أمرهم، فتتبع الرؤساء فأخذوا وحملوا إلى مرو. وألح هانيء في الخراج، واستخفوا بعظماء
العجم والدهاقين، وأخذوا الجزية ممن أسلم، فكفرت الصغد وبخارى، واستجاشوا الترك،
وخرج أشرس غازياً، فنزل آمل، فأقام ثلاثة أشهر.
وقدم قطن بن قتيبة بن مسلم، فعبر النهر في عشرة آلاف، وأقبل أهل الصغد وبخارى معهم
خاقان والترك، فحصروا قطنا في خندقه، وأرسل خاقان من أغار على سرح الناس،
فأخرج أشرس ثابت قطنة بكفالة عبد الله بن بسطام بن مسعود، فوجهه مع عبد الله بن
بسطام في خيل، فقاتلوا الترك بآمل حتى استنقذوا ما كان بأيديهم، ورجع الترك.
ثم عبر أشرس بالناس إلى قطن، وبعث سريةً مع مسعود أحد بني حيان، فلقيهم العدو
فقاتلوهم، فقتل رجالٌ من المسلمين، وهزم مسعود. فرجع إلى أشرس.
وأقبل العدو، فلقيه المسلمون فجالوا جولةً، فقتل رجالٌ من المسلمين.
ثم رجع المسلمون فصبروا، فهزم الله المشركين، وسار أشرس بالناس حتى نزل بيكند،
فقطع عنهم العدو الماء، وأقام المسلمون يوما وليلة، وعطشوا؛ فرحلوا إلى المدينة التي قطع
العدو بها الماء، وعلى المقدمة قطن بن قتيبة، فلقيهم العدو، فقاتلوهم، فجهدوا من
العطش، فمات منهم سبعمائة، وعجز الناس عن القتال؛ فقال الحارث بن سريج للناس: القتل
بالسيف أكرم في الدنيا وأعظم أجراً عند الله من الموت عطشا، وتقدم هو وقطن في فوارس
من تميم فقاتلوا حتى أزالوا الترك عن الماء، فشرب الناس واستقوا، ثم قاتلوا الترك قتالا
شديدا، فقتل ثابت قطنة في جماعة من المسلمين بعد أن أبلوا أعظم بلاءٍ وأحسنه.
ثم اجتمع رجالٌ من المسلمين تبايعوا على الموت مع قطن بن قتيبة، وحملوا على العدو
فقاتلوهم فكشفوهم، وركبهم المسلمون يقتلونهم حتى حجز بينهم الليل، وتفرق العدو،
وأتى أشرس بخارى، فحصر أهلها فعزل وهو يحاصرها بالجنيد بن عبد الرحمن على ما

نذكره إن شاء الله تعالى.
وقعة كمرجة
قال: ثم إن خاقان حصر كمرجة، وهي من أعظم بلدان خراسان، وبها جمعٌ من
المسلمين، ومع خاقان أهل فرغانه وأفشينة، ونسف، وطوائف من أهل بخارى، فأغلق
المسلمون الباب، وقطعوا القنطرة التي على الخندق، فأتاهم ابن خسرو بن يزدجرد، فقال: يا
معشر العرب، لم تقتلون أنفسكم ؟ أنا الذي جئت بخاقان ليرد على مملكتي، وأنا آخذ لكم
الأمان، فشتموه، وأتاهم بازغري، فقال: إن خاقان يقول لكم: إني أجعل من عطاؤه منكم
ستمائة ألفا، ومن عطاؤه ثلاثمائة ستمائة، ويحسن إليكم وتكونون معه، فأبوا ذلك، فأمر
خاقان بجمع الحطب الرطب، وأن يلقى في الخندق ليعبروا عليه. فجمع في سبعة أيام،
فكانوا يلقون الحطب الرطب، ويلقى المسلمون الحطب اليابس حتى سوى الخندق بالأرض؛
فأشعل المسلمون فيه النيران، وهاجت ريحٌ شديدةٌ، فاحترق الحطب الذي جمع في سبعة
أيام في ساعةٍ واحدة، ثم فرق خاقان على الترك أغناما، وأمرهم أن يأكلوها ويحشوا
جلودها تراباً، ويلقوها في الخندق، ففعلوا ذلك، فأرسل الله تعالى مطراً شديدا، فاحتمل
السيل ما في الخندق، وألقاه في النهر الأعظم.
ورماهم المسلمون بالسهام فقتل بازغرى وكان داهيةً، وكان خاقان لا يخالفه؛ ففرح
المسلمون بقتله، وكان عند المشركين مائةٌ من أسرى المسلمين فيهم أبو الحوجاء العتكي
والحجاج ابن حميد النضري، وكان عند المسلمين مائتان من أولاد المشركين رهائن فقتلوهم،
واستماتوا واشتد القتال.
ثم وقع الاتفاق بينهم وبين الترك على أن خاقان يرحل عن كمرجة، ويرحلوا هم عنها أيضا
إلى سمرقند والدبوسية، فأجاب أهل كمرجة إلى ذلك، وأخذ كلٌ منهم من الطائفتين رهائن
من الأخرى على الوفاء، وارتحل خاقان، ثم رحلوا بعده، وسير معه كور صول التركي
ليمنعهم ممن يتعرض إليهم من الترك، فلما انتهوا إلى الدبوسية، وكان بها عشرة آلاف مقاتل
من المسلمين، أمنوا وأطلق كلٌ من الطائفتين ما بيدهم من الرهائن، وكانت مدة حصار

كمرجة ثمانية وخمسين يوماً، فيقال: إنهم لم يسقوا إبلهم خمسةً وثلاثين يوما.
وفي هذه السنة ارتد أهل كردر، فأرسل إليهم أشرس جنداً فظفروا بهم.
وغزا مسلمة الترك من نحو باب اللان، فلقى خاقان في جموعه، فاقتتلوا قريباً من شهر،
وأصابهم مطرٌ شديد، فانهزم خاقان ورجع مسلمة.
وغزا معاوية الروم ففتح صلم.
وغزا الصائفة عبد الله بن عقبة الفهري.
عزل أشرس عن خراسان واستعمال الجنيد بن عبد الرحمن، وقتاله الترك
وفي سنة 1إحدى عشرة ومائة عزل هشام بن عبد الملك أشرس بن عبد الله عن
خراسان، واستعمل الجنيد بن عبد الرحمن ابن عمرو بن الحارث بن خارجة بن سنان بن
أبي حارثة المري، وحمله على ثمانية من البريد، فقدم خراسان في خمسمائة، وسار إلى ما
وراء النهر، وسار معه الخطاب بن محرز السلمي خليفة أشرس بخراسان، فقطعا النهر،
وأرسل الجنيد إلى أشرس، وهو يقاتل أهل بخارى والصغد: أن أمدني بخيلٍ.
وخاف أن يقطع دونه، فوجه إليه أشرس عامر بن مالك الحماني، فلما كان عامرٌ ببعض
الطريق عرض له الترك والصغد، فدخل حائطا حصينا، وقاتلهم على الثلمة، وكان معه ورد
بن زياد بن أدهم بن كلثوم وواصل بن عمرو القيسي، فخرج واصل وعاصم بن عمير
السمرقندي وغيرهما، فاستداروا خلف الترك فلم يشعر خاقان إلا والتكبير من ورائه،
وحمل المسلمون على الترك، فقاتلوهم، وقتلوا عظيما من عظماء الترك، فانهزم الترك، وسار
عامر حتى لقى الجنيد، وأقبل معه وعلى مقدمة الجنيد عمارة ابن خريم، فلما صار على
فرسخين من بيكند تلقته خيل الترك، فقاتلوهم، فكاد الجنيد يهلك هو ومن معه، ثم أظهره
الله، وسار حتى قدم العسكر، وظفر الجنيد، وقتل من الترك، ثم زحف إليه خاقان، فالتقوا
دون زرمان من بلاد سمرقند، وقطن بن قتيبة على ساقة الجنيد، فأسر الجنيد ابن أخي
خاقان، فبعث به إلى هشام، ورجع الجنيد بالظفر إلى مرو.
وفيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى، وغزا سعيد بن هشام الصائفة اليمنى، حتى

أتى قيسارية.
وغزا عبد الله بن أبي مريم البحر.
وفيها سارت الترك إلى أذربيجان، فلقيهم الحارث بن عمرو، فهزمهم.
وفيها استعمل هشام الجراح بن عبد الله الحكمي على أرمينية، وعزل أخاه مسلمة،
فدخل بلاد الخزر من ناحية تفليس، ففتح مدينتهم البيضاء، وانصرف سالما.
مقتل الجراح
بن عبد الله الحكمي وولاية سعيد الحرشي وحروبه مع الخزر والترك، وما افتتحه من
البلاد
وفي سنة 1ثنتي عشرة ومائة قتل الجراح بن عبد الله الحكمي. وسبب ذلك أنه لما هزم
الخزر اجتمعوا هم والترك من ناحية اللان، فلقيهم الجراح فيمن معه من أهل الشام، فاقتتلوا
أشد قتالٍ رآه الناس، وتكاثر الخزر والترك على المسلمين، فاستشهد الجراح ومن معه بمرج
أردبيل، فلما قتل طمع الخزر وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل، وعظم الخطب على
المسلمين.
فبلغ الخبر هشام بن عبد الملك، فاستشار سعيدا الحرشي، فقال: أرى أن تبعثني على
أربعين دابة من دواب البريد، ثم تبعث إلي كل يوم بأربعين رجلا، واكتب إلى أمراء الأجناد
أن يوافوني. ففعل ذلك، وسار الحرشي وهو لا يمر بمدينة إلا استنهض أهلها، فيجيبه من
يريد الجهاد.
ولم يزل كذلك حتى وصل إلى مدينة أرزن، فلقيه جماعة من أصحاب الجراح، فردهم معه،
وسار فبلغ خلاط، فحاصرها أياما وفتحها، وقسم غنائمها في أصحابه، ثم سار عنها
وفتح الحصون والقلاع شيئا بعد شيءٍ حتى أتى بردعة، وكان ابن خاقان يومئذ بأذربيجان
يغير وينهب ويسبي ويقتل، وهو يحاصر مدينة ورثان، فأرسل الحرشي رجلا من أصحابه إلى
أهلها يعرفهم وصوله، ويأمرهم بالصبر، فسار ولقيه بعض الخزر، فأخذوه وسألوه عن الخبر،
فأخبرهم وصدقهم، فقالوا له: إن فعلت ما نأمرك به أحسنا إليك، وأطلقناك، وإلا قتلناك.
قال: فما الذي تريدون ؟ قالوا: تقول لأهل ورثان: إنكم ليس لكم مدد، ولا من يكشف ما

بكم، وتأمرهم بتسليم البلد إلينا. فأجابهم إلى ذلك.
فلما قارب المدينة وقف بحيث يسمع أهلها كلامه، فقال لهم: أتعرفوني ؟ قالوا: نعم، أنت
فلانٌ، قال: فإن الحرشي قد وصل إلى مكان كذا في عساكر كثيرة، وهو يأمركم بحفظ
البلد، والصبر، ففي هذين اليومين يصل إليكم.
فرفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير، وقتلت الخزر ذلك الرجل، ورحلوا عن مدينة ورثان،
ووصلها الحرشي، وقد ارتحل الخزر إلى أردبيل، فسبقهم إليها، فساروا عنها، ونزل سعيد
باجروان، فأتاه فارسٌ على فرس أبيض، فقال له: أيها الأمير، هل لك في الجهاد والغنيمة ؟
قال: وكيف لي بذلك ؟ قال: هذا عسكر الخزر في عشرة آلاف، ومعهم خمسة آلاف بنت
من المسلمين أسارى وسبايا، وهم على أربعة فراسخ.
فسار الحرشي إليهم ليلاً، فوافاهم آخر الليل، وهم نيامٌ، فكبسهم مع الفجر، ووضع
المسلمون فيهم السيف، فما بزغت الشمس حتى قتلوا عن آخرهم غير رجل واحد.
ثم أتاه ذلك الفارس الذي أتاه أولا وقال له: هذا جيش الخزر ومعهم أموال المسلمين
وأولادهم، وحرم الجراح وأولاده، وهم بمكان كذا؛ فسار الحرشي إليهم، فما شعروا إلا
والمسلمون معهم، فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاؤوا، ولم يفلت من الخزر إلا
الشريد، واستنقذوا من معهم، وغنموا أموال الخزر، وحمل الأسارى إلى باجروان.
وبلغ الخبر ابن ملك الخزر، فجمع أصحابه من نواحي أذربيجان، فاجتمع له عساكر كثيرة،
فحرضهم، وسار نحو الحرشي، وسار الحرشي إليه، فالتقيا بزرند، واقتتلوا أشد قتال،
فانحاز المسلمون يسيراً ثم عادوا إلى القتال، فاشتدت نكايتهم في العدو، فهزموهم، وتبعهم
المسلمون حتى بلغوا بهم نهر أوس، وعادوا عنهم وحووا ما في عسكرهم من الأموال
والغنائم، وأطلقوا الأسارى والسبايا، وحملوا الجميع إلى باجروان، ثم جمع ابن ملك الخزر
من لحق به من عساكره، وعاد بهم نحو الحرشي، فنزل على نهر البيلقان، فسار الحرشي
نحوه؛ فوافاهم هناك، والتقوا، فكانت الهزيمة على الخزر، فكان من غرق منهم أكثر ممن

قتل، وجمع الحرشي الغنائم، وعاد إلى باجروان وكتب إلى هشام بالفتح، وأرسل إليه
الخمس. فكتب إليه هشام يشكره، ويثنى عليه، ويأمره بالمسير إليه، واستعمل هشام أخاه
مسلمة على أرمينية وأذربيجان، فوصل إلى البلاد، وسار إلى الترك حتى جاز البلاد في
آثارهم.
وقعة الجنيد بالشعب
وفي سنة 1ثنتي عشرة ومائة أيضا خرج الجنيد أمير خراسان غازياً يريد طخارستان؛
فوجه عمارة بن خريم إلى طخارستان في ثمانية عشر ألفا، ووجه إبراهيم بن بسام الليثي في
عشرة آلاف إلى وجهٍ آخر، وجاشت الترك فأتوا سمرقند، وعليها سورة بن الحر؛ فكتب
إلى الجنيد أن خاقان جاش بالترك، فخرجت إليهم، فلم أطق أن أمنع حائط سمرقند،
فالغوث الغوث.
فعبر الجنيد النهر، وقد فرق عساكره، فسار بمن معه حتى نزل كش، وتأهب للمسير، وبلغ
ذلك الترك؛ فغوروا الآبار التي في طريق كش، وسار الجنيد يريد سمرقند، فأخذ طريق
العقبة، وارتقى في الجبل، ثم سار حتى صار بينه وبين سمرقند أربعة فراسخ، ودخل
الشعب فصبحه خاقان في جمعٍ عظيم؛ فكانت بينهم وقعةٌ عظيمة صبر الناس فيها وقاتلوا
حتى كانت السيوف لا تقطع شيئاً، فقطع عبيدهم الخشب يقاتلون به، ثم كانت المعانقة؛ ثم
تحاجزوا، فاستشهد من المسلمين جماعةٌ.
فبينما الناس كذلك إذ أقبل رهج، وطلعت الفرسان، فنادى منادي الجنيد: الأرض
الأرض ! وترجل، وترجل الناس، ثم أمر أن يخندق كل قائد على حياله، فخندقوا
وتحاجزوا وقد أصيب من الأزد يومئذ مائة وتسعون رجلا، وكان قتالهم يوم الجمعة، فلما
كان يوم السبت قصدهم خاقان وقت الظهر، فلم ير موضعا للقتال أسهل من موضع بكر بن
وائل، وعليهم زياد ابن الحارث، فقصدهم، فلما قربوا حملت بكرٌ عليهم فافرجوا لهم،
واشتد القتال بينهم.
فلما رأى الجنيد شدة الأمر استشار أصحابه، فقال له عبيد الله بن حبيب: اختر إما أن

تهلك أنت أو سورة بن الحر. فقال: هلاك سورة أهون علي.
قال: فاكتب إليه فليأتك في
أهل سمرقند؛ فإنه إذا بلغ الترك إقباله توجهوا إليه فقاتلوه.
فكتب إليه الجنيد يأمره بالقدوم، فسار في اثني عشر ألفا،
فأصبح على رأس جبلٍ، فتلقاه
خاقان، وقد بقي بينه وبين الجنيد نحو فرسخ فقاتلهم فاشتد
القتال، وسقط سورة بن الحر،
فاندقت فخذه، وقتل وتفرق الناس، وقتلهم الترك، ولم ينج
منهم غير ألفين. ويقال: ألف.
ولما استقل خاقان بقتال سورة خرج الجنيد مبادراً يريد
سمرقند، فلقيه الترك قبل وصوله
إليها، فقاتلهم قتالاً شديدا. وقال الجنيد: أي عبد قاتل فهو حر.
فقاتل العبيد قتالا عجبت
منه الناس، وهزم الله الترك.
ومضى الجنيد إلى سمرقند، وكتب إلى هشام بن عبد الملك
بالخبر. فكتب إليه هشام:
قد وجهت إليك عشرة آلاف من أهل البصرة، وعشرة آلاف من
أهل الكوفة، ومن السلاح
ثلاثين ألف رمح، ومثلها ترسة، فافرض فلا غاية لك في
الفريضة لخمسة عشر ألفا.
قال: وأقام الجنيد بسمرقند، وتوجه خاقان إلى بخارى، وعليها
قطن بن قتيبة، فسار
الجنيد إليه، وخلف بسمرقند عثمان بن عبد الله ابن الشخير في
أربعمائة فارس وأربعمائة
راجل.
ولما انتهى الجنيد إلى كرمينية أتاه خاقان وذلك في مستهل
رمضان من السنة، فاقتتلوا
يومهم؛ ثم ارتحل الجنيد وقد قوى الساقة بالرجال، فجاءت
الترك فمالوا على الساقة فاقتتلوا
فاشتد القتال بينهم، فقتل مسلم بن أحوز عظيما من عظماء
الترك، فتطيروا من ذلك،
وانصرفوا. وسار المسلمون فدخلوا بخارى، ثم قدمت الجنود
من الكوفة والبصرة فسرح
الجنيد معهم حوثرة ابن زيد العنبري فيمن انتدب معه.
وقيل: إن وقعة الشعب كانت في سنة 1ثلاث عشرة ومائة.
والله أعلم.
وفيها غزا معاوية بن هشام الصائفة، فافتتح خرشنة والله أعلم.
غزو مسلمة وعوده
في هذه السنة فرق مسلمة الجيوش ببلاد خاقان ففتحت مدائن
وحصونٌ على يديه، وقتل
منهم وسبى وأسر وأحرق، ودان له من وراء جبال بلنجر، وأقبل
ابن خاقان وقد

اجتمعت عليه الخزر وغيرهم من تلك الأمم، وصار في جموع عظيمة. فلما بلغ مسلمة
الخبر أمر أصحابه فأوقدوا النيران، ثم ترك خيامهم وأثقالهم، وعاد بعسكره جريدة، وقدم
الضعفة وأخر الشجعان، وطوى المراحل كل مرحلتين في مرحلة حتى وصل الباب والأبواب
في آخر رمق.
وفيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم فرابط من ناحية مرعش ثم رجع. والله أعلم.
ذكر غزو مروان بن محمد
بلاد الترك
ودخوله إلى بلاد ملك السرير وغيرها من بلادهم وما افتتحه وقرره وصالح عليه الملوك
وفي سنة 114 أربع عشرة استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن محمد بن مروان على
الجزيرة وأذربيجان وأرمينية. وسبب ذلك أنه كان في عسكر مسلمة بن عبد الملك حين
غزا الخزر، فلما عاد مسلمة - كما تقدم - سار مروان إلى هشام فلم يشعر به حتى دخل
عليه، فسأله عن سبب قدومه، فقال: ضقت ذرعاً بما أذكره، ولم أر من يحمله غيري. قال:
وما هو ؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ إنه كان من دخول الخزر إلى بلاد الإسلام وقتل الجراح
وغيره ما دخل به الوهن على المسلمين. ثم رأى أمير المؤمنين أن يوجه أخاه مسلمة إليهم،
فوالله ما وطيء من بلادهم إلا أدناها، ثم إنه لما رأى كثرة جمعه أعجبه ذلك، فكتب إلى
الخزر يؤذنهم بالحرب، وأقام بعد ذلك ثلاثة أشهر، فاستعد القوم وحشدوا، فلما دخل
بلادهم لم يكن له فيهم نكايةٌ، فكان قصاراه السلامة، وقد أردت أن تأذن لي في غزوة
أذهب بها عنا العار، وأنتقم من العدو. قال: قد أذنت لك. قال: وتمدني بمائة ألف
وعشرين ألف مقاتل ؟
قال: قد فعلت. قال: وتكتم هذا الأمر عن كل أحدٍ ؟ قال: قد فعلت. وقد استعملتك
على إرمينية.
فودعه وسار إلى إرمينية والياً عليها وسير إليه هشام الجنود من الشام والعراق والجزيرة،
فاجتمع عنده من الجنود والمتطوعة مائة ألف وعشرون ألفا، فأظهر أنه يريد غزو اللان،

وأرسل إلى ملك الخزر يطلب منه المهادنة، فأجابه إلى ذلك، وأرسل إليه من يقرر الصلح،
فأمسك الرسول عنده إلى أن فرغ من جهازه، وأحضره، ثم أغلظ لهم في القول وآذنهم
بالحرب، وسير الرسول إلى صاحبه بذلك، ووكل به من يسير به على طريق فيه بعد، وسار
هو في أقرب الطرق، فما وصل الرسول إلى صاحبه إلا ومروان قد وافاهم بالجنود،
فاستشار ملك الخزر أصحابه، فقالوا: إن هذا قد جمع ودخل بلادك، فإن أقمت إلى أن
تجمع لم يجتمع جندك إلى مدةٍ، فيبلغ منك ما يريد، وإن أنت لقيته على حالك هذه هزمك
وظفر بك، والرأي أن تتأخر إلى أقصى بلادك، وتدعه وما يريد.
فقبل رأيهم وسار ودخل مروان البلاد، وأوغل فيها، وأخربها، وغنم وسبى، وانتهى إلى
آخرها، وأقام فيها عدة أيام أذلهم، ودخل بلاد ملك السرير، فأوقع بأهلها، وفتح قلاعاً،
ودان له الملك، وصالحه على ألف رأس: خمسمائة غلام، وخمسمائة جارية سود الشعور،
ومائة ألف مديٍ تحمل إلى الباب، وصالح أهل تومان على مائة رأس نصفين وعشرين ألف
مدى ثم دخل زديكران، فصالحه ملكها، ثم أتى أرض حمزين، فأبى حمزين أن يصالحه،
فحصرهم، وافتتح حصنهم، ثم أتى سغدان، فافتتحها صلحاً، ووظف على طبر سرانشاه
عشرة آلاف مدى كل سنة تحمل إلى الباب؛ ثم نزل على قلعة صاحب اللكز وقد امتنع من
أداء الوظيفة، فخرج ملك اللكز يريد ملك الخزر، فقتله راعٍ بسهم وهو لا يعرفه، فصالح أهل
اللكز مروان، واستعمل عليهم عاملاً وسار إلى قلعة شروان وهي على البحر، فأذعن له
بالطاعة، وسار إلى الدوادانية، فأوقع بهم، ثم عاد.
وغزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى، فأصاب ربض أقرن.
وفيها التقى عبد الله البطال هو وقسطنطين في جموعٍ، فهزمهم البطال وأسر قسطنطين.
وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى، فبلغ قيسارية.
وفي سنة 1خمس عشرة ومائة غزا معاوية بن هشام أرض الروم.
وغزا ايضا الصائفة في سنة 1ست عشرة. وفي سنة 1سبع عشرة غزا معاوية بن هشام
الصائفة اليسرى، وسليمان بن هشام الصائفة اليمنى من نحو الجزيرة، وفرق سراياه في أرض

الروم.
وبعث مروان بن محمد، وهو على إرمينية بعثين؛ فافتتح أحدهما حصونا ثلاثةً من اللان،
ونزل الآخر على تومان شاه، فنزل أهلها على الصلح.
وفي سنة 1ثمان عشرة ومائة غزا معاوية وسليمان ابنا هشام بن عبد الملك أرض الروم.
وغزا مروان بن محمد من إرمينية، ودخل أرض ورتيس من ثلاثة أبواب، فهرب ورتيس
إلى الخزر، وترك حصنه، فحصره مروان، ونصب عليه المجانيق، واتفق قتل ورتيس، قتله
بعض من اجتاز به، وأرسل رأسه إلى مروان، فنصبه لأهل حصنه، فنزلوا على حكمه،
فقتل المقاتلة وسبى الذرية ...
ذكر ظفر المسلمين بالترك وقتل خاقان ملك الترك
وفي سنة 1تسع عشرة ومائة كانت الحرب بين أسد ابن عبد الله القسري أمير خراسان
وبين خاقان ملك الترك.
وسبب ذلك أن الحارث بن مريح كان قد خلع بخراسان على ما نذكره إن شاء الله تعالى
في حوادث السنين، وولى أسد خراسان على ما نذكره إن شاء الله، فكتب الحارث إلى
خاقان يعلمه بضعف أسد وقلة أصحابه، ويستدعيه لحربه.
فأقبل خاقان، وقطع النهر إلى بلخ، فلقيه أسد، فاقتتلوا قتالا شديداً، فظفر المسلمون
بالترك، وهزموهم أقبح هزيمة، وغنموا أموالهم وخيولهم وأثقالهم، وقتلوا منهم مقتلةً
عظيمة، وأراد خصى لخاقان حمل امرأة خاقان فأعجلوه فقتلها، ومضى خاقان إلى
طخارستان ثم إلى بلاده. وحمل الحارث وأصحابه على خمسة آلاف برذون، واستعد لغزو
المسلمين، فلاعب خاقان يوما كور صول بالنرد على خطر، فتنازعا، فضرب كور صول يد
خاقان فكسرها وتنحى عنه، وجمع جمعاً، وبلغه أن خاقان قد حلف ليكسرن يده؛ فبيت
خاقان فقتله، وتفرقت الترك واشتغلوا بأنفسهم، وأرسل أسد إلى هشام بن عبد الملك يخبره
بالفتح وبقتل خاقان، فلم يصدق ذلك. وأرسل مبشراً آخر فوقف على باب هشام وكبر،
فأجابه هشام بالتكبير. فلما انتهى إليه أخبره بالفتح، فسجد شكراً لله تعالى.
وفيها غزا أسد بن عبد الله أمير خراسان الختل، فقتل بدر طرخان ملك الختل، وغلب

على القلعة العظمى، وفرق عساكره في أودية الختل، فملئوا أيديهم من الغنائم والسبي، وهرب
أهلها إلى الصين.
وغزا الوليد بن القعقاع أرض الروم.
وغزا مروان بن محمد من إرمينية فدخل بلاد اللان، وسار فيها حتى خرج منها إلى بلاد
الخزر، فمر ببلنجر وسمندر، وانتهى إلى البيضاء التي كون فيها خاقان، فهرب خاقان منه.
وفي سنة 1عشرين ومائة غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وافتتح سندرة.
وغزا إسحاق بن مسلم العقيلي تومان شاه وافتتح قلاعه وخرب أرضه.
غزوات نصر
بن سيرا ما وراء النهر
وفي سنة 1إحدى وعشرين ومائة غزا نصر بن سيرا ما وراء النهر مرتين: إحداهما من نحو
الباب الجديد، فسار من بلخ، ثم رجع إلى مرو، فخطب الناس، وأخبرهم أنه قد أقام
منصور بن عمر بن أبي الخرقاء على كشف المظالم، وأنه قد وضع الجزية عمن أسلم،
وجعلها على من كان يخفف عنه من المشركين، فلم تمض جمعة حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم
كانوا يؤدون الجزية عن رؤوسهم، وثمانون ألفا من المشركين كانت الجزية قد وضعت عنهم،
فحول ما كان على المسلمين عليهم، ثم صنف الخراج ووضعه مواضعه.
ثم غزا الثانية إلى ورغسر وسمرقند.
ثم غزا الثالثة إلى شاش من مرو، فحال بينه وبين عبور نهر الشاش كورصول في خمسة
عشر ألفا، وكان معهم الحارث بن سريج، وعبر كور صول في أربعين رجلا فبيت العسكر في
ليلةٍ مظلمة، ومع نصر بخارى خذاه في أهل بخارى، ومعه أهل سمرقند وكش ونسف، وهم
عشرون ألفا، فنادى نصر: ألا لا يخرجن أحدٌ، واثبتوا على مواضعكم.
فخرج عاصم بن عمي - وهو على جند سمرقند - فمرت به خيل الترك، فحمل على
رجل في آخرهم فأسره، فإذا هو ملكٌ من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبة، فأتى به إلى
نصر، فقال له نصر: من أنت ؟ قال: كور صول. قال: الحمد لله الذي أمكن منك يا عدو

الله. قال: ما ترجو من قتل شيخ، وأنا أعطيك أربعة آلاف بعير من إبل الترك وألف برذون
تقوى به جندك، وتطلق سبيلي.
فاستشار نصر الناس، فأشاروا بإطلاقه، فسأله عن عمره قال: لا أدري. قال: كم غزوت
؟ قال: ثنتين وسبعين غزاة. قال: أشهدت يوم العطش ؟ قال: نعم. قال: لو أعطيتني ما
طلعت عليه الشمس ما أفلت من يدي بعد ما ذكرت من مشاهدك.
وقال لعاصم بن عمير السغدي: قم إلى سلبه فخذه. فقال: من أسرني ؟ قال: نصر -
وهو يضحك - أسرك يزيد بن قران الحنظلي، وأشار إليه. قال: هذا لا يستطيع أن يغسل
استه، أو لا يستطيع أن يتم بوله، فكيف يأسرني ؟ أخبرني من أسرني ؟ قال: أسرك
عاصم بن عمير. قال: لست أجد ألم القتل إذا أسرني فارسٌ من فرسان العرب.
فقتله وصلبه على شاطيء النهر، فلما قتل أحرقت الترك أبنيته، وقطعوا آذانهم وشعورهم
وأذناب خيولهم.
فملا أراد نصر الرجوع أحرقه لئلا يحملوا عظامه، فكان ذلك أشد عليهم من قتله.
وارتفع إلى فرغانة فسبى منها ألف رأس. وكتب يوسف ابن عمر الثقفي عاهل العراقين
إلى نصر بن سيار يأمره بالمسير إلى الشاش لقتال الحارث بن سريج، فاستعمل نصر يحيى بن
حصين على مقدمته، فسار إلى الشاش، فأتاهم الحارث، وأغار الأخرم، وهو فارس الترك،
على المسلمين فقتلوه، وألقوا رأسه إلى الترك، فصاحوا وانهزموا، وسار نصر إلى الشاش
فتلقاه ملكها بالصلح والهدية والرهن، فاشترط عليه إخراج الحارث بن سريج من بلده،
فأخرجه إلى فاراب، واستعمل على الشاش نيزك بن صالح مولى عمرو بن العاص، ثم سار
حتى نزل قباء من أرض فرغانة، وكانوا قد علموا بمجيئة، فأحرقوا الحشيش، وقطعوا الميرة،
فوجه نصر إلى ولي عهد صاحب فرغانة فحاصره في حصنٍ، فخرج وقد غفل المسلمون
فغنم دوابهم، فوجه إليهم نصرٌ رجالا من تميم، ومعهم محمد بن المثنى، فكايدهم المسلمون
وأهملوا دوابهم وكمنوا لهم، فخرجوا فاستاقوا بعضها، وخرج عليهم المسلمون فهزموهم،

وقتلوا الدهقان وأسروا منهم، فكان فيمن أسر ابن الدهقان، فقتله نصرٌ.
وأرسل نصرٌ سليمان بن صول بكتاب الصلح إلى صاحب فرغانة، فأمر به فأدخل الخزائن
ليراها، ثم رجع إليه، فقال: كيف رأيت الطريق فيما بيننا وبينكم ؟ قال: سهلاً كثير الماء
والمرعى، فكره ذلك، وقال: ما أعلمك ؟ فقال سليمان: قد غزوت غرشتان وغور والختل
وطبرستان، فكيف لا أعلم ؟ قال: فكيف رأيت ما أعددنا ؟ قال: عدة حسنة، ولكن
أما علمت أن المحصور لا يسلم من خصال ؟ قال: وما هن ؟ قال: لا يأمن أقرب الناس
إليه، وأوثقهم في نفسه، أو يفنى ما جمع، فيسلم برمته، أو يصيبه داءٌ فيموت.
فكره ما قاله له، وأمره فأحضر كتاب الصلح، فأجابه إليه، وسير أمه معه، وكانت صاحبة
أمره، فقدمت على نصر فكلمها فكلمته، وكان فيما قالت له: كل ملكٍ لا تكون عنده ستة
أشياء فليس بملك: وزير يبث إليه ما في نفسه، ويشاوره ويثق بنصيحته. وطباخ إذا لم
يشته الطعام اتخذ له ما يشتهى، وزوجة إذا دخل عليها مغتماً فنظر إلى وجهها زال غمه،
وحصن إذا فزع أتاه فأنجاه - تعنى البرذون - وسيف إذا قاتل لم يخش خيانته. وذخيرة
إذا حملنا عشا بها أين كان من الأرض.
ودخل تميم بن نصر في جماعة، فقالت: من هذا ؟ قالوا: هذا فتى خراسان تميم بن
نصر. قالت: ماله نبل الكبير، ولا حلاوة الصغير.
ثم دخل الحجاج بن قتيبة، فقالت: من هذا ؟ قالوا: الحجاج بن قتيبة، فحيته، وسألت
عنه، وقالت: يا معشر العرب، ما لكم وفاءٌ، ولا يصلح بعضكم لبعض، قتيبة الذي ذلل
لكم ما أرى، وهذا ابنه تقعده دونك، فحقه أن تجلسه أنت هذا المجلس وتجلس أنت
مجلسه.
ذكر غزو مروان بن محمد بن مروان
وفي سنة 1إحدى وعشرين أيضا غزا مروان بن محمد من إرمينية وهو واليها، فأتى قلعة
بيت السرير فقتل وسبى، ثم أتى قلعة ثانية فقتل وسبى، ودخل غرمسك، وهو حصنٌ فيه
بيت الملك وسريره، فهرب الملك منه إلى حصن خيزج، وهو الذي فيه السرير الذهب،

فسار إليه مروان ونازله صيفةً وشتوةً، فصالحه الملك على ألف رأس في كل سنة، ومائة
ألف مدى، وسار مروان فدخل أرض أرزو بطران، فصالحه ملكها. ثم سار في أرض
تومان فصالحه وسار حتى أتى حمزين، فأخرب بلاده، وحصر حصناً له شهرا فصالحه.
ثم أتى مروان أرض مسدار، فافتتحها على صلح، ثم نزل كيران فصالحه طبرسران
وفيلان، وكل هذه الولايات على شاطيء البحر من أرمينية إلى طبرستان.
وفيها غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير.
وفي سنة 1أربع وعشرين غزا سليمان بن هشام الصائفة فلقى أليون ملك الروم فغنم.
هذا ما أمكن إيراده من الغزوات والفتوحات في أيام هشام فلنذكر حوادث السنين في
أيامه.
سنة 1ست ومائة:
ولاية أسد خراسان
في هذه السنة استعمل خالد بن عبد الله القسري أخاه أسداً على خراسان، فقدمها
ومسلم بن سعيد بفرغانة، فلما أتى أسدٌ النهر ليقطعه منعه الأشهب بن عبيدٍ التميمي؛
وكان على السفن بامل، وقال: قد نهيت عن ذلك، فأعطاه ولاطفه، فأبى. قال: فإني أمير،
فأذن له، فقال أسد: اعرفوا هذا حتى نشركه في أمانتنا.
وأتى الصغد فنزل بالمرج، وعلى سمرقند هانيء بن هانيء، فخرج في الناس للقاء أسدٍ،
فرآه على حجر، فقال الناس: ما عند هذا خير، أسد على حجر، ودخل سمرقند وعزل
هانئاً عنها، واستعمل عليها الحسن بن أبي العمرطة الكندي، ثم كان من عزل أسد ما
نذكره إن شاء الله.
وفيها استعمل هشام الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية على
الموصل، وهو الذي عمل النهر الذي كان بالموصل.
وسبب ذلك أنه رأى امرأةً تحمل جرة فيها ماء، وهي تحملها ساعةً ثم تستريح قليلا لبعد
الماء، فكتب بذلك إلى هشام، فأمره أن يحفر نهراً إلى البلد، فحفره، وبقى العمل فيه عدة
سنين ومات الحر سنة 1ثلاث عشرة ومائة.
وفي سنة ست أيضا عزل هشام عبد الواحد النضري عن مكة والمدينة والطائف، وولى

ذلك كله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل، فقدم المدينة في
جمادى الآخرة.
وكانت ولاية النضري سنة وثمانية أشهر.
وفيها استقضى إبراهيم بن هشام على المدينة محمد بن
صفوان الجمحي، ثم عزله،
واستقضى الصلت الكندين وكان العامل على العراق وخراسان
خالد بن عبد الله القسري
البجلي، وكان عامل خالد على البصرة عقبة بن عبد الأعلى على
الصلاة. وعلى الشرطة
مالك بن المنذر بن الجارود، وعلى القضاء ثمامة بن عبد الله بن
أنس.
وحج بالناس في هذه السنة هشام بن عبد الملك.
سنة 1سبع ومائة:
في هذه السنة كان من خبر دعاة بني العباس ما نذكره إن شاء
الله في أخبار الدولة
العباسية.
وفيها عزل هشام الجراح بن عبد الله الحكمي عن إرمينية
وأذربيجان، واستعمل عليها
أخاه مسلمة بن عبد الملك، فاستعمل عليها الحارث بن عمرو
الطائي، فافتتح من بلاد الترك
رستاقاً وقرىً كثيرة، وأثر أثراً حسناً.
وفيها نقل أسد من كان بالبروقان إلى بلخ من الجند، وأقطع
من كان بالبروقان بقدر
مسكنه، ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكنا، وأراد أن ينزلهم
على الأخماس، فقيل له:
إنهم يتعصبون؛ فخلى بينهم، وتولى بناء مدينة بلخ برمك، وهو
أبو خالد بن برمك، وبينها
وبين البروقان فرسخان.
وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام.
سنة 1ثمان ومائة:
في هذه السنة كان من خبر شيعة بني العباس ما نذكره إن شاء
الله تعالى.
وفيها وقع الحريق بدابق، فاحترق المرعى والدواب والرجال.
وفيها خرج عباد الرعيني باليمن محكما فقتله أميرها يوسف بن
عمرو، وقتل أصحابه
وكانوا ثلاثمائة.
وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام.
وفيها مات محمد بن كعب القرظي، وقيل سنة سبع عشرة.
وقيل: إنه ولد على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم.
سنة 1تسع ومائة:

في هذه السنة عزل أسد بن عبد الله القسري عن خراسان، وسبب ذلك أنه ضرب نصر
بن سيار ونفراً بالسياط، منهم عبد الرحمن بن نعيم وسورة بن الحر والبختري بن أبي
درهم، وعامر بن مالك الحماني، وحلقهم وسيرهم هو إلى أخيه، وكتب إليه: إنهم أرادوا
الوثوب بي.
فلما قدموا على خالد لام أسدا وعنفه، وقال: ألا بعث إلي برؤوسهم.
وخطب أسد يوما، فقال: قبح الله هذه الوجوه وجوه أهل الشقاق والنفاق والشغب
والفساد، اللهم فرق بيني وبينهم، وأخرجني إلى مهاجري ووطني.
فبلغ فعله هشام بن عبد الملك، فكتب إلى خالد: اعزل أخاك، فغزله، فرجع إلى العراق في
رمضان من السنة، واستخلف على خراسان الحكم بن عوانة الكلبي، فأقام الحكم صيفيته
فلم يغز، ثم استعمل هشام أشرس بن عبد الله السلمي على خراسان، وأمره أن يكاتب
خالدا، وكان أشرس فاضلا خيرا، وكانوا يسمونه الكامل لفضله.
فلما قدم خراسان فرح الناس به، واستقضى أبا المنازل الكندي، ثم عزله واستقضى
محمد بن يزيد.
وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام، فخطب الناس، فقال: سلوني، فإنكم لا
تسألون أحداً أعلم مني، فسأله رجلٌ من أهل العراق عن الأضحية أواجبةٌ هي ؟ فما
درى ما يقول: فنزل.
سنة 1عشرة ومائة:
فيها جمع خالد القسري الصلاة والأحداث والشرط والقضاء بالبصرة لبلال بن أبي بردة،
وعزل ثمامة عن القضاء.
وحج بالناس إبراهيم بن إسماعيل.
وفيها مات الفرزدق الشاعر، وله إحدى وتسعون سنة.
ومات جرير بن الخطفي الشاعر.
سنة 1احدى عشرة ومائة:
في هذه السنة كان عزل أشرس عن خراسان واستعمال الجنيد ابن عبد الرحمن؛ وقد
تقدم ذكر ذلك في الغزوات.
وفيها استعمل هشام الجراح بن عبد الله الحكمي على إرمينية، وعزل أخاه مسلمة كما
تقدم.

وحج بالناس إبراهيم بن هشام المخزومي.
سنة 1ثنتي عشرة ومائة:
حج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي. وقيل. سليمان بن هشام بن
عبد الملك. والله أعلم.
سنة 1ثلاث عشرة ومائة:
في هذه السنة قتل عبد الوهاب ابن بخت، وكان قد غزا مع البطال أرض الروم، فانهزم
الناس عن البطال، فحمل عبد الوهاب، وهو يقول: ما رأيت فرساً أجبن منك، وسفك الله
دمي إن لم أسفك دمك، ثم ألقى بيضته عن رأسه، وصاح: أنا عبد الوهاب ! من الجنة
تفرون !
ثم تقدم في نحو العدو، فجاء برجل وهو يقول: واعطشهاه ! فقال: تقدم، الري أمامك،
وخالط القوم فقتل وقتل فرسه.
وحج بالناس في هذه السنة سلميان بن هشام بن عبد الملك، وقيل إبراهيم بن هشام
المخزومي، والله أعلم.
سنة 1أربع عشرة ومائة:
في هذه السنة كانت ولاية مروان بن محمد بن مروان إرمينية وأذربيجان، وقد تقدم ذكر
ذلك في الغزوات.
وفيها عزل هشامٌ إبراهيم بن هشام المخزومي عن المدينة، واستعمل عليها خالد بن عبد
الملك بن الحارث بن الحكم في ربيع الأول، فكانت إمرة إبراهيم على المدينة ثماني سنين،
وعزله أيضا عن مكة والطائف، واستعمل على ذلك محمد بن هشام المخزومي.
وحج بالناس خالد بن عبد الملك بن الحارث. وقي: محمد ابن هشام.
وفيها توفي محمد بن علي بن الحسين الباقر. وقيل سنة خمس عشرة.
سنة 1خمس عشرة ومائة:
حج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام المخزومي، وكان الأمير بخراسان الجنيد.
وقيل: بل كان قد مات، واستخلف عمارة بن خريم المري. والله أعلم.
سنة 1ست عشرة ومائة:
في هذه السنة عزل الجنيد عن خراسان.
وسبب ذلك أنه تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب، فغضب هشام؛ واستعمل عاصم بن

عبد الله بن يزيد الهلالي على خراسان، وكان الجنيد قد سقى بطنه، فقال هشام لعاصم:
إن أدركته وبه رمق فأزقه نفسه.
فقدم عاصم وقد مات الجنيد، واستخلف عمارة بن خريم وهو ابن عمه، فعذبه عاصم،
وعذب عمال الجنيد لعداوةٍ كانت بينه وبين الجنيد ...
خلع الحارث
بن سريج بخراسان وما كان من أمره
وفي هذه السنة خلع الحارث بن سريج وأقبل إلى الفارياب فأرسل إليه عاصم رسلا. منهم
مقاتل بن حيان النبطي، والخطاب ابن محرز السلمي، فقالا لمن معهما: لا نلقى الحارث إلا
بأمان، فأبى القوم عليهما وأتوه، فأخذهم الحارث وحبسهم، ووكل بهم رجلاً فأوثقوه،
وخرجوا من السجن، فركبوا وعادوا إلى عاصم، فأمرهم فخطبوا وذموا الحارث، وذكروا
خبث سيرته وغدره، وكان الحارث قد لبس السواد، ودعا إلى كتاب الله وسنة نبيه
والبيعة للرضا، فسار من الفارياب، وأتى بلخ، وعليها نصر بن سيرا والتجيبي، فلقياه في
عشرة آلاف وهو في أربعة آلاف، فقاتلهما، فانهزم أهل بلخ.
وتبعهم الحارث، فدخل مدينة بلخ، وخرج نصر بن سيار منها، وأمر الحارث بالكف
عنهم، واستعمل عليها رجلاً من ولد عبد الله ابن خازم، وسار إلى الجوزجان فغلب عليها
وعلى الطالقان ومرو الروذ. فلما كان بالجوزجان استشار أصحابه في أي بلدٍ يقصد، فقيل
له: مرو بيضة خراسان وفرسانهم كثير، ولو لم يلقوك إلا بعبيدهم لانتصفوا منك، فأقم، فإن
أتوك فقاتلهم، وإن أقاموا قطعت المادة عنهم.
قال: لا أرى ذلك؛ وسار إلى مرو، فأقبل إليها يقال في ستين ألفا، ومعه فرسان الأزد وتميم،
منهم محمد بن المثنى، وحماد ابن عامر الحماني، وداود الأعسر، وبشر بن أنيف الرياحي،
وعطاء الدبوسي.
ومن الدهاقين دهقان الجوزجان، ودهقان الفارياب، وملك الطالقان ودهقان مرو الروذ في
اشباههم، وخرج عاصمٌ في أهل مرو وغيرهم، فعسكر وقطع القناطر، وأقبل أصحاب
الحارث فأصلحوها، فمال محمد بن المثنى الفراهيدي الأزدي إلى عاصم في ألفين، فأتى

الأزد، ومال حماد بن عامر الحماني إليه، فأتى بني تميم، وأتى الحارث وعاصم فاقتتلوا قتالا
شديداً، فانهزم أصحاب الحارث، فغرق منهم بشرٌ كثير، في أنهار مرو وفي النهر الأعظم؛
ومضت الدهاقين إلى بلادهم، وغرق خازم بن عبد الله بن خازم، وكان مع الحارث. وقتل
أصحاب الحارث قتلاً ذريعاً، وقطع الحارث وادي مرو، فضرب رواقاً عند منازل الدهاقين،
وكف عنه عاصم؛ واجتمع إلى الحارث زهاء ثلاثة آلاف، ثم كان من أمره ما نذكره إن
شاء الله تعالى.
وفيها عزل هشامٌ عبد الله بن الحبحاب عن ولاية مصر، واستعمله على إفريقية.
وقيل: كان ذلك في سنة 1سبع عشرة ومائة.
وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن يزيد بن عبد الملك. والله أعلم.
سنة 1سبع عشرة ومائة:
عزل عاصم
عن خراسان وولاية أسد وخبر الحارث بن سريج
في هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان، وضمها إلى
خالد بن عبد الله القسري أمير العراقين، فاستعمل عليها خالدٌ أخاه أسد بن عبد الله.
وكان سبب ذلك أن عاصماً كتب إلى هشام: أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله، وإن
خراسان لا تصلح إلا أن تضم إلى العراق وتكون معونتها وموادها من قريبٍ، لتباعد أمير
المؤمنين عنها وتباطيء غياثه عنها، فضم هشام خراسان إلى خالد بن عبد الله، وكتب
إليه: ابعث أخاك يصلح ما أفسد؛ فإن كانت رجية كانت به.
فسير خالد إليها أخاه أسداً، فلما بلغ عاصمٌ إقبال أسد، وأنه قد بعث على مقدمته
محمد بن مالك الهمداني صالح الحارث ابن سريج، وكتبا بينهما كتاباً، على أن ينزل الحارث
أي كور خراسان شاء، وأن يكتبا جميعا إلى هشام يسألانه كتاب الله وسنة نبيه، فإن أبى
اجتمعا عليه.
فختم على الكتاب بعض الرؤساء، وأبى يحيى بن حضين بن المنذر أن يختم، وقال: هذا
خلعٌ لأمير المؤمنين فانفسح ذلك.
وكان عاصم بقرية بأعلى مرو، فأتاه الحارث بن سريج التقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم

الحارث، وأسر جماعةٌ من أصحابه، منهم: عبد الله بن عمرو المازني رأس أهل مرو الروذ،
فقتل عاصمٌ الأسرى، وعظم أهل الشام يحيى بن حضين لما صنع في نقض الكتاب، وكتبوا
كتابا بما كان وبهزيمة الحارث وبعثوه إلى أسد، فلقيه بالري وقيل ببيهق.
فكتب أسد إلى أخيه خالد ينتحل أنه هزم الحاث، ويخبره بأمر يحيى، فأجاز خالد يحيى
بعشرة آلاف دينار ومائة حلة، وحبس أسدٌ عاصما وحاسبه وطلب منه مائة ألف درهم،
وقال: إنك لم تغز، وأطلق عمال الجنيد، وقدم أسد ولم يكن لعاصمٍ إلا مرو ونيسابور،
والحارث بمرو الروذ، وخالد بن عبيد الله الهجري بآمل موافق للحارث، فخاف أسد إن
قصد الحارث بمرو الروذ أن يأتي الهجري مرو من قبل آمل، وإن قصد الهجري قصد
الحارث مرو من قبل مرو الروذ، فأجمع رأيه على توجيه عبد الرحمن بن نعيم في أهل الكوفة
والشام إلى الحارث بمرو الروذ، وسار أسد بالناس إلى آمل، فلقيه خيل آمل؛ عليهم زياد
القرشي مولى حيان النبطي وغيره، فهزموا حتى رجعوا إلى المدينة، فحصرهم أسد،
ونصب عليهم المجانيق؛ فطلبوا الأمان، وطلبوا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم،
وألا يؤخذ أهل المدن بجنايتهم، فأجابهم أسد إلى ذلك، واستعمل عليهم يحيى ابن نعيم بن
هبيرة الشيباني؛ وسار يريد بلخ، فأخبر أن أهلها قد بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم،
فسار حتى قدمها، واتخذ سفنا، وسار منها إلى ترمذ، فوجد الحارث محاصراً لها، وبها
سنان الأعرابي، فنزل أسد دون النهر، ولم يطق العبور إليهم، ولا أن يمدهم، وخرج أهل
ترمذ من المدينة، وقاتلوا الحارث قتالاً شديداً، فاستطرد الحارث لهم، وكان قد وضع
كميناً، فلما جاوزوه خرج عليهم، فانهزموا.
ثم ارتحل أسدٌ إلى بلخ، ثم خرج أهل ترمذ إلى الحارث، فهزموه. ثم سار أسد إلى
سمرقند في طريق زم، فلما قدم زم بعث إلى الهيثم الشيباني وهو في حصنٍ من حصونها –
وهو من أصحاب الحارث - فأمنه، ووعده المواساة والكرامة والأمان لمن معه، وأقسم إنه

إن رد ذلك ورمى بسهم ألا يؤمنه أبداً، وإنه إن جعل له ألف ألف أمان لا يفي له.
فخرج إليه وسار معه إلى سمرقند، ثم ارتفع إلى ورغسر - وماء سمرقند منها - فسكر
الوادي، وصرفه عن سمرقند. ثم رجع إلى بلخ، فلما استقر بها سرح جديعاً الكرماني إلى
القلعة التي فيها ثقل الحارث وأصحابه، واسمها التبوشكان من طخارستان العليا وفيها بنو
برزى التغلبيون أصهار الحارث، فحصرهم الكرماني حتى فتحها، وذلك في سنة 1ثمان
عشرة، فقتل مقاتلتهم، وسبى عامة أهلها من العرب والموالي والذراري، وباعهم فيمن يزيد
في سوق بلخ.
قال: ونقم على الحارث أربعمائة وخمسون رجلا من أصحابه، وكان رئيسهم جرير بن
ميمون القاضي، فقال لهم الحارث: إن كنتم لا بد مفارقي فاطلبوا الأمان، وأنا شاهدٌ،
فإنهم يجيبونكم. وإن ارتحلت قبل ذلك لم يعطوا الأمان.
فقالوا: ارتحل أنت عنا، وخلنا.
فأرسلوا يطلبون الأمان، فأخبر أسدٌ أن القوم ليس لهم طعام ولا ماء، فسرح إليهم أسدٌ
جديعاً الكرماني وستة آلاف، فحصرهم في القلعة وقد عطش أهلها، وجاعوا، فسألوا أن
ينزلوا على الحكم، ويترك لهم نساءهم وأولادهم، فأجابهم، فنزلوا على حكم أسد.
فأرسل أسد إلى الكرماني يأمره أن يحمل إليه خمسون رجلا من وجوههم، فيهم المهاجر
بن ميمون، فحملوا إليه فقتلهم، وكتب إلى الكرماني أن يجعل الذين بقوا عنده أثلاثاً، فثلث
يقتلهم، وثلث يقطع أيديهم وأرجلهم، وثلث يقطع أيديهم. ففعل ذلك بهم، وأخرج أثقالهم
فباعها، واتخذ أسد مدينة بلخ داراً، ونقل إليها الدواوين، ثم غزا طخارستان.
وحج بالناس في سنة 1سبع عشرة ومائة خالد بن عبد الملك.
سنة 1ثمان عشرة ومائة:
في هذه السنة عزل هشام خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم عن المدينة، واستعمل
عليها خالد بن محمد بن هشام بن إسماعيل: وحج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل.
وكان أمير المدينة.
سنة 1تسع عشرة ومائة:
قتل المغيرة وبيان

في هذه السنة خرج المغيرة بن سعيد وبيان في ستة نفر، وكانوا يسمون الوصفاء، وكان
المغيرة ساحراً، وكان يقول: لو أردت أن أحيي عاداً وثمود وقرونا بين ذلك كثيراً لفعلت.
وبلغ خالد بن عبد الله القسري خروجهم بظهر الكوفة، وهو يخطب، فقال: أطعموني ماء،
فقال يحيى بن نوفل في ذلك من أبيات:
وقلت لما أصابك أطعموني شراباً ثم بلت على السرير
لأعلاج ثمانيةٍ وشيخ كبير السنّ ليس بذي نصير
فأرسل خالد فأخذهم وأمر بسريره فأخرج إلى المسجد الجامع، وأحرقهم بالقصب
والنفط.
وكان مذهب المغيرة التجسيم؛ يقول: إن ربه على صورة رجل على رأسه تاج، وإن
أعضاءه على عدد حروف الهجاء، تعالى الله عن ذلك.
وكان يقول: إن الله تعالى لما أراد أن يخلق الخلق تكلم باسمه الأعظم، فطار فوقع على
تاجه، ثم كتب بإصبعه على كفه أعمال عباده من المعاصي والطاعات، فلما رأى المعاصي
ارفض عرقاً، فاجتمع من عرقه بحران: أحدهما ملحٌ مظلم، والآخر عذب نير، ثم اطلع في
البحر فرأى ظله فذهب ليأخذه، فطار فأدركه فقلع عيني ذلك الظل ومحقه، فخلق من
عينيه الشمس وشمسا أخرى. وخلق من البحر الملح الكفار، وخلق من البحر العذب
المؤمنين.
وكان لعنه الله يقول بإلهية علي وتكفير أبي بكر وعمر وسائر الصحابة رضي الله عنهم إلا
من ثبت مع علي رضي الله عنه.
وكان يقول: إن الأنبياء لم يختلفوا في شيء من الشرائع.
وكان يقول بتحريم ماء الفرات وكل نهرٍ أو عين أو بئر وقعت فيه نجاسةٌ.
وكان يخرج إلى المقبرة فيتكلم فيرى أمثال الجراد على القبور.
وأما مذهب بيان فإنه كان يقول بإلهية علي رضي الله عنه، وإن الحسن والحسين إلهان،
ومحمد ابن الحنفية بعده، ثم بعده ابنه أبو هاشم بن محمد بنوع من التناسخ.
وكان يقول: إن الله تعالى يفنى جميعه إلا وجهه، ويحتج بقوله تعالى: "ويبْقى وجْهُ ربُك".
تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.
وادعى النبوة، وزعم أنه المراد بقوله عز وجل: "هذا بيانٌ للناس".

خبر الخوارج
وفي هذه السنة خرج بهلول بن بشر الملقب كثارة، وهو من الموصل من شيبان، وكان
سبب مخرجه أنه خرج يريد الحج، فأمر غلامه أن يبتاع له خلاً بدرهم، فأتاه بخمرٍ فأمره
برده فلم يجبه صاحب الخمر إلى ذلك، فجاء بهلول إلى صاحب القرية وهي من السواد،
فكلمه، فقال العامل: الخمر خيرٌ منك ومن قومك.
فمضى إلى الحج وقد عزم على الخروج، فلقى بمكة من كان على مثل رأيه، فاتعدوا قريةً
من قرى الموصل، فاجتمعوا بها - وهم أربعون رجلا - وأمروا عليهم البهلول، وكتموا
أمرهم وجعلوا لا ميرون بعامل إلا أخبروه أنهم قدموا من عند هشام على بعض الأعمال،
وأخذوا دواب البريد.
فلما أتوا إلى القرية التي ابتاع الغلام منها الخمر قال بهلول: نبدأ بهذا العامل، فقال أصحابه:
نحن نريد قتل خالد، وإن بدأنا بهذا شهر أمرنا، وحذرنا خالدٌ وغيره، فنشدناك الله أن تقتل
هذا فيفلت منا خالدٌ الذي يهدم المساجد، ويبني البيع والكنائس، ويولي المجوس على
المسلمين، وينكح أهل الذمة المسلمات، لعلنا نقتله.
قال: والله لا أدع ما يلزمني لما بعده، وأرجو أن أقتل هذا وخالداً، فأتاه فقتله.
فعلم الناس أنهم خوارج، وهربوا، وخرجت البرد إلى خالد فأعلموه بهم، فخرج خالد من
واسط، فأتى الحيرة، وبها جندٌ قد قدموا من الشام مدداً لعامل الهند، فأمرهم خالدٌ
بقتالهم، وقال: من قتل منهم رجلاً أعطيته عطاءً سوى ما أخذ في الشام، وأعفيته من
الدخول إلى الهند.
فسارعوا إلى ذلك، فتوجه مقدمهم، وهو من بني القين، ومعه ستمائة منهم، وضم إليه
خالد مائتين من الشرط، فالتقوا على الفرات؛ فقال القيني لمن معه من الشرط: لا تكونوا
معنا ليكون الظفر له ولأصحابه.
وخرج إليهم بهلول، فحمل على القيني فطعنه فأنفذه، وانهزم أهل الشام والشرط، وتبعهم
بهلول وأصحابه يقتلونهم، حتى بلغوا الكوفة، ووجد بهلول مع القيني بدرةً فأخذها.
وكان بالكوفة ستة يرون رأي بهلول، فخرجوا فقتلوا بصريفين، فخرج بهلول فقال: من قتل

هؤلاء، حتى أعطيه هذه البدرة ؟ فجاء نفرٌ فقالوا: نحن قتلناهم، وهم يظنونه من عند
خالد، وصدقهم أهل القرية، فقتلهم، وترك أهل القرية.
وبلغ خالداً الخبر، فوجه إليه قائداً من شيبان أحد بني حوشب ابن يزيد بن رويم، فلقيه
فيما بين الموصل والكوفة، فانهزم أهل الكوفة، فأتوا خالدا، وارتحل بهلول من يومه يريد
الموصل، فكتب عامل الموصل إلى هشام يخبره بهم، ويسأله جنداً، فكتب إليه هشام: وجه
إليهم كثارة بن بشر.
فكتب إليه: إن الخارج هو كثارة.
ثم قال بهلول لأصحابه: إنا والله ما نصنع بابن النصرانية شيئاً - يعني خالداً - فلم لا
نطلب الرأس الذي سلط خالداً.
فسار يريد هشاما بالشام، فخاف عمال هشام من هشام إن تركوه يجوز إلى بلادهم، فسير
خالدٌ جنداً من العراق، وسير عامل الجزيرة جنداً من الجزيرة، ووجه هشام جنداً من
الشام، فاجتمعوا بديرٍ بين الجزيرة والموصل، وأقبل بهلول إليهم.
وقيل: التقوا بكحيل دون الموصل، ونزل بهلول على باب الدير، وهو في سبعين، فحمل
عليهم فقتل منهم نفراً ستة، وقاتلهم عامة نهاره، وكانوا عشرين ألفا، فأكثر فيهم القتل
والجراح.
ثم إن بهلولاً وأصحابه عقروا دوابهم وترجلوا، فقاتلوا قتالا شديداً، فقتل كثير من
أصحاب بهلول وطعن فصرع، فقال أصحابه: ول أمرنا، فقال: إن هلكت فأمير المؤمنين
دعامة الشيباني، فإن هلك فعمرو اليشكري، ومات بهلول من ليلته، فلما أصبحوا هرب
دعامة وتركهم، وخرج عمرو اليشكري فلم يلبث أن قتل.
وخرج العنزى صاحب الأشهب على خالد في ستين فوجه إليه خالد السمط بن مسلم
البجلي في أربعة آلاف، فالتقوا بناحية الفرات، فانهزم الخوارج، فتلقاهم عبيد أهل الكوفة
وسفلتهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم.
ثم خرج وزير السختياني على خالد بالحيرة في نفر، فجعل لا يمر بقرية إلا أحرقها، ولا يلقى
أحداً إلا قتله، وغلب على ما هنالك وعلى بيت المال؛ فوجه إليه خالدٌ جنداً، فقتلوا

عامة أصحابه، وأثخن بالجراح وأتى به خالد، فأقبل على خالد فوعظه، فأعجب خالدٌ ما
سمع منه، فلم يقتله وحبسه عنده. وكان يؤتى به في الليل فيحادثه، فسعى بخالد إلى
هشام.
وقيل: أخذ حروريا قد قتل وحرق وأباح الأموال فجعله سميرا، فغضب هشام، وكتب إليه
يأمره بقتله، فأخر قتله، فكتب إليه ثانياً يذمه ويأمره بقتله وإحراقه، فقتله وأحرقه ونفراً معه،
ولم يزل يتلو القرآن حتى مات وهو يقرأ: "قُلْ نَارُ جهنَّم أشَدُّ حرّاً لو كانوا يفقهون".
وخرج الصحارى بن شبيب بن يزيد بناحية جبل، وكان قد أتى خالدا يسأله الفريضة،
فقال له: وما يصنع ابن شبيب بالفريضة ؟ فمضى وندم خالد، وخاف أن يفتق عليه فتقاً،
فطلبه فلم يرجع إليه، وسار حتى أتى جبل، وبها نفرٌ من بني تيم اللات ابن ثعلبة،
فأخبرهم خبره، فقالوا: وما كنت ترجو من ابن النصرانية ؟ كنت أولى أن تسير إليه
بالسيف فتضربه به. فقال: والله ما أردت الفريضة، وما أردت إلا التوصل إليه لئلا ينكرني،
ثم أقتله بفلان - يعني رجلا من الصفرية، كان خالد قتله صبراً.
ثم دعاهم إلى الخروج معه فتبعه منهم ثلاثون رجلاً، فخرج بهم، فبلغ خبره خالدا، فقال:
قد كنت خفتها منه ثم وجه إليه جنداً فلقوه بناحية المناذر، فقاتلهم قتالا شديداً، فقتلوه
وجميع أصحابه.
وحج بالناس في هذه السنة أبو شاكر مسلمة بن هشام.
سنة 1عشرين ومائة:
في هذه السنة توفي أسد بن عبد الله القسري أمير خراسان في شهر ربيع الأول بمدينة بلخ،
واستخلف جعفر بن حنظلة البهراني فعمل أربعة أشهر، ثم جاء عهد نصر بن سيار في
شهر رجب من السنة.
عزل خالد القسري
وولاية يوسف بن عمر الثقفي
وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالداً عن جميع أعماله. وقد اختلف في سبب
ذلك، فقيل: إن أبا المثنى فروخ كان على ضياع هشام بنهر الرمان بالعراق فثقل على خالد
أمره، فقال خالد لحسان النبطي: اخرج إلى هشام وزد على فروخ. ففعل حسان ذلك

وتولاها، فصار حسان أثقل على خالد من فروخ، فجعل يؤذيه، فيقول له حسان: لا
تفسدني، وأنا صنيعتك، فأبى إلا أذاه، فلما قدم عليه بثق البثوق على الضياع، ثم خرج
حسان إلى هشام، فقال له: إن خالدا بثق البثوق على ضياعك، فوجه هشام من ينظر
إليها. وقال حسان لخادم من خدم هشام: إن تكلمت بكلمةٍ أقولها لك حيث يسمع هشام
فلك عندي ألف دينار. قال: فعجلها فأعطاه، وقال له: تبكى صبيا من صبيان هشام،
فإذا بكى فقل له: اسكت، فكأنك ابن خالد الذي غلته عشرة آلاف ألف.
ففعل الخادم، فسمعها هشام، فسأله حسان عن غلة خالد فقال: ثلاثة عشر ألف ألف،
فوقرت في نفس هشام.
وقيل: بل كانت غلته عشرين ألف ألف، وإنه حفر بالعراق الأنهار، ومنها نهر خالد
وناجوى وبارمانا، والمبارك والجامع، وكورة سابور، والصلح، وكان كثيراً ما يقول: إني مظلوم
ما تحت قدمي شيء إلا وهو لي يعني أن عمر جعل لبجيلة ربع خمس السواد، وأشار عليه
العريان بن الهيثم وبلال بن أبي بردة بعرض أملاكه على هشام ليأخذ منها ما أراد،
ويضمنان له الرضا، فإنهما بلغهما تغير هشام عليه، فلم يفعل ولم يجبهم إلى شيء.
وقيل لهشام: إنخالدا قال لولده: ما أنت بدون مسلمة بن هشام، وقد كان يذكر هشاما،
فيقول: ابن الحمقاء.
وكان خالد يخطب فيقول: زعمتم أني أغلى أسعاركم فعلى من يغليها لعنة الله.
وكان هشام كتب إليه لا تبيعن من الغلات شيئاً حتى تباع غلات أمير المؤمنين.
وكان يقول لابنه: كيف أنت إذا احتاج إليك ابن أمير المؤمنين ؟ فبلغ ذلك كله هشاما،
فتنكر له، وبلغه أنه يستقل ولاية العراق، فكتب إليه هشام: يا بن أم خالد، بلغني أنك تقول:
ما ولاية العراق لي بشرف. يا بن اللخناء، كيف لا تكون ولاية العراق لك شرفا، وأنت من
بجيلة القليلة الذليلة ! أما والله إني لأظن أن أول من يأتيك صغير من قريش يشد يديك إلى
عنقك.

ولم يزل يبلغه عنه ما يكره، فعزم على عزله وكتم ذلك، وكتب إلى يوسف بن عمر - وهو
باليمن يأمره أن يقدم في ثلاثين من أصحابه إلى العراق، فقد ولاه ذلك.
فسار يوسف إلى الكوفة فعرس قريباً منها، وقد ختن طارقٌ خليفة خالد بالكوفة ولده،
فأهدى إليه ألف وصيف ووصيفة سوى الأموال والثياب، فمر بيوسف بعض أهل العراق
فسألوه ما أنتم ؟ وأين تريدون ؟ قالوا: بعض المواضع؛ فأتوا طارقاً فأخبروه خبرهم،
وأمروه بقتلهم، وقالوا: إنهم خوارج.
وسار يوسف إلى دور ثقيف. فقيل لهم: ما أنتم ؟ فكتموا حالهم. وأمر يوسف فجمع
إليه من هناك من مضر، فلما اجتمعوا دخل المسجد مع الفجر، وأمر المؤذن فأقام الصلاة.
فصلى، وأرسل إلى خالد وطارق فأخذهما وإن القدور لتغلى.
وقيل: لما أراد هشام أن يولي يوسف العراق كتم ذلك، فقدم جندب مولى يوسف بكتاب
يوسف إلى هشام، فقرأه ثم قال لسالم مولى عنبسة - وهو على الديوان: أجبه عن لسانك،
وأتني بالكتاب.
وكتب هشام بخطه كتابا صغيرا إلى يوسف يأمره بالمسير إلى العراق.
فكتب سالم الكتاب وأتاه به، فجعل كتابه في وسطه وختمه، ثم دعا رسول يوسف فأمر به
فضرب ومزقت ثيابه، ودفع إليه الكتاب، فسار وارتاب بشير بن أبي ثلجة وكان خليفة
سالم، وقال: هذه حيلةٌ، وقد ولى يوسف العراق. فكتب إلى عياض - وهو نائب سالم
بالعراق: إن أهلك قد بعثوا إليك بالثوب اليماني: فإذا أتاك فالبسه، واحمد الله تعالى.
وأعلم ذلك طارقا. فأعلم عياض طارق بن أبي زيادب الكتاب، ثم ندم بشير على كتابه،
فكتب إلى عياض: إن أهلك قد بدا لهم في إمساك الثوب.
فأتى عياض بالكتاب الثاني إلى طارق، فقال طارق: الخبر في الكتاب الأول، ولكن بشيرا
ندم وخاف أن يظهر الخبر.
وركب طارقٌ من الكوفة إلى خالد وهو بواسط، فرآه داود، وكان على حجابة خالد
وديوانه، فأعلم خالداً فأذن له، فلما رآه قال: ما أقدمك بغير إذن ؟ قال: أمرٌ كنت أخطأت

فيه، كنت قد كتبت إلى الأمير أعزيه بأخيه أسد، وإنما كان يجب أن آتيه ماشياً، فرق
خالد ودمعت عيناه، فقال: ارجع إلى عملك. فأخبره الخبر لما غاب داود؛ قال: فما الرأي
؟ قال: تركب إلى أمير المؤمنين فتعتذر إليه مما بلغه عنك.
قال: لا أفعل ذلك بغير إذن.
قال: فترسلني إليه حتى آتيك بإذنه. قال: ولا هذا. قال: فاضمن لأمير المؤمنين جمع ما
انكسر في هذه السنين وآتيك بعهده. قال: وكم مبلغه ؟ قال: مائة ألف ألف. قال: ومن
أين أجدها ؟ والله ما أجد عشرة آلاف ألف درهم. قال: أتحمل أنا وفلان وفلان. قال:
إني إذاً للئيم، أن كنت أعطيتكم شيئاً وأعود فيه. قال طارق: إنما نقيك ونقي أنفسنا
بأموالنا، ونستأنف الدنيا وتبقى النعمة عليك وعلينا خيرٌ من أن يجيء من يطالبنا
بالأموال. وهي عند أهل الكوفة فيتربصون فنقتل ويأكلون تلك الأموال. فأبى خالد، فودعه
طارق وبكى، وقال: هذا آخر ما نلتقي في الدنيا، ومضى إلى الكوفة، وخرج خالد إلى
الحمة، وقدم رسول يوسف عليه اليمن، فقال: أمير المؤمنين: ساخط عليك، وقد ضربني،
ولم يكتب جواب كتابك، وهذا كتاب سالم صاحب الديوان، فقرأه، فلما انتهى إلى آخره قرأ
كتاب هشام بخطه بولاية العراق، ويأمره أن يأخذ ابن النصرانية - يعني خالدا وعماله -
فيعذبهم، فأخذه ليلا، وسار من يومه، واستخلف على اليمن ابنه الصلت، فقدم الكوفة في
جمادى الآخرة سنة 1عشرين ومائة، فنزل النجف، وأرسل مولاه كيسان، وقال: انطلق فأتني
بطارق، فإن قبل فاحمله على إكاف، وإن لم يقبل فأت به سحباً، فأتى كيسان الحيرة فأخذ
معه عبد المسيح سيد أهلها إلى طارق، فقال له: إن يوسف قد قدم على العراق وهو
يستدعيك. فقال له طارق: إن أراد الأمير المال أعطيته ما شاء.
وأقبلوا به إلى يوسف بالحيرة، فضربه ضرباً مبرحاً يقال خمسمائة سوط. ودخل الكوفة،
وأرسل إلى خالد بالحمة. فأخذه وحبسه وصالحه عنه أبان بن الوليد على سبعة آلاف
ألف، فقيل ليوسف: لو لم تفعل لأخذت منه مائة ألف ألف، فندم، وقال: قد رهنت لساني
معه، ولا أرجع.

وأخبر أصحاب خالد خالداً، فقال: قد أخطأتم ولا آمن أن يأخذها ثم يعود. ارجعوا،
فرجعوا، فأخبروه أن خالدا لم يرض. فقال: قد رجعتم ؟ قالوا: نعم. قال: والله لا أرضى
بمثلها ولا مثيلها، فأخذ أكثر من ذلك.
وقيل: أخذ مائة ألف ألف، وحبس خالد بن عبد الله بالحيرة ثمانية عشر شهراً مع أخيه
إسماعيل وابنه يزيد بن خالد وابن أخيه المنذر بن أسد.
وكتب يوسف إلى هشام يستأذنه في تعذيبه، فأذن له مرة واحدة، فعذبه ثم رده إلى
حبسه.
وقيل: بل عذبه عذاباً كثيراً، وأمر هشامٌ بإطلاقه في شوال سنة 1إحدى وعشرين ومائة،
فأطلقه فأتى القرية التي بإزاء الرصافة، فأقام بها إلى صفر سنة اثنتين وعشرين.
وخرج زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم على ما نذكره إن شاء الله.
فكتب يوسف إلى هشام: إن بني هاشم كانوا قد هلكوا جوعاً، فكانت همة أحدهم قوت
عياله، فلما ولى خالدٌ العراق أعطاهم الأموال، فطمحت أنفسهم إلى الخلافة، وما خرج زيدٌ
إلا عن رأي خالد.
فقال هشام: كذب يوسف، وضرب رسوله، وقال: لسنا نتهم خالداً في طاعةٍ. وسمع
خالد، فسار حتى نزل دمشق، ثم كان من أمره ومقتله ما نذكره إن شاء الله في سنة 1ست
وعشرين ومائة في أيام الوليد، وكانت ولاية خالد العراق في شوال سنة 1خمس ومائة، وعزل
في جمادى الآخرة سنة عشرين.
قال: ولما ولي يوسف العراق كان الإسلام ذليلا والحكم إلى أهل الذمة، فقال يحيى بن نوفل
فيه:
أتانا وأهل الشّرك أهل زكاتنا وحكامنا فيما نسرّ ونجهر
فلما أتانا يوسف الخير أشرقت له الأرض حتّى كل وادٍ منوّر
وحتى رأينا العدل في الناس ظاهراً وما كان من قبل العقيليّ يظهر
وحج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي.
وقيل: حج بهم سليمان بن هشام بن عبد الملك، وقيل: أخوه يزيد بن هشام، والله أعلم.
سنة 1احدى وعشرين ومائة:

في هذه السنة كان ظهور زيد بن علي بن الحين بن علي رضي الله عنهم على ما نذكر
ذلك إن شاء الله في أخبار من نهض في طلب الخلافة من آل أبي طالب، فقتل دونها وهو
في السفر الثالث والعشرين من كتابنا هذا.
وفيها فرغ الوليد بن بكير عامل الموصل من حفر النهر الذي أدخله البلد، وكان مبلغ النفقة
عليه ثمانية آلاف ألف درهم، وجعل عليه ثمانين حجراً تطحن. ووقف هشام هذه الأرحاء
على عمل النهر.
وحج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي
سنة 1اثنتين وعشرين ومائة:
في هذه السنة كان مقتل زيد بن علي رضي الله عنه على ما نذكره إن شاء الله تعالى.
قتل البطال
في هذه السنة قتل البطال، وهو أبو الحسين عبد الله الأنطاكي، في جماعة من المسلمين.
وقيل: كان مقتله في سنة 1ثلاث وعشرين ومائة، وكان كثير الغزاة إلى الروم والإغارة على
بلادهم، وله عندهم ذكرٌ عظيم، وله حكاياتٌ في غزواته يطول الشرح بسردها.
حكى أنه دخل بلاد الروم في بعض غاراته هو وأصحابه، فدخل قريةً لهم ليلا وامرأةٌ تقول
لصغير يبكي: تسكت وإلا سلمتك للبطال، ثم رفعته بيدها، وقالت: يا بطال خذه، فتناوله
من يدها. وقد وضع الناس له سيرة.
وحج بالناس محمد بن هشام المخزومي.
سنة 1ثلاث وعشرين ومائة:
ذكر صلح نصر بن سيار مع الصغد
في هذه السنة صالح نصر بن سيار الصغد، وكان خاقان لما قتل تفرقت الترك في غارة
بعضها على بعض، فطمع أهل الصغد في الرجعة إليها، وانحاز قومٌ منهم إلى الشاش،
فراسلهم نصر بن سيار، ودعاهم إلى الرجوع إلى بلادهم، وأعطاهم ما أرادوا، فاشترطوا
شروطا منها ألا يعاقب من كان مسلما وارتد عن الإسلام، ولا يعدى عليهم في دين لأحد
من الناس، ولا يؤخذ أسرى المسلمين من أيديهم إلا بقضية قاضٍ وشهادة عدول.
فعاب الناس ذلك على نصر، فقال: لو عاينتم شوكتهم في المسلمين مثل ما عاينت ما أنكرتم

ذلك.
وأرسل رسولاً إلى هشام في ذلك، فأجابه إليه.
وحج بالناس في هذه السنة يزيد بن هشام بن عبد الملك.
سنة 1أربع وعشرين ومائة:
في هذه السنة وما قبلها كان من خبر شيعة بني العباس ما نذكره إن شاء الله في
أخبارهم.
وحج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل.
سنة 1خمس وعشرين ومائة:
وفاة هشام
بن عبد الملك ونبذة من أخباره
كانت وفاته بالرصافة لستٍ خلون من شهر ربيع الآخر منها، وصلى عليه ابنه مسلم
وكان عمره ستا وخمسين سنة. وقيل أقل من ذلك إلى اثنتين وخمسين. ومدة خلافته تسع
عشرة سنة وسبعة أشهر وأحد عشر يوما، وكان أحول أبيض سميناً منقلب العينين ربعة
يخضب بالسواد، وكان حسن السياسة يقظاً يباشر الأمور بنفسه، وكان له من الستور
والكسوة ما لم يكن لمن قبله.
وذكر صاحب العقد: أنه لما حج حملت ثياب لباسه على ستمائة جمل، وكان جماعا
للأموال شديد البخل كأبيه.
قال عقال بن شبة: دخلت على هشام وعليه قباءٌ أخضر، فجعلت أنظر إليه، فقال: مالك
؟ فقلت: رأيت عليك قبل أن تلي الخلافة قباء مثل هذا. فتأملته هل هو هو أم غيره ؟
فقال: هو والله هو. وأما ما ترون من جمع المال فهو لكم.
قيل: وكتب له بعض عماله: قد بعثت إلى أمير المؤمنين بسلة دراقن. فكتب إليه: قد
وصل وأعجب أمير المؤمنين فزد منه واستوثق من الوعاء.
وكتب إليه عامل: قد بعثت بكمأةٍ. فأجابه: قد وصلت الكمأة وهي أربعون، وقد تغير
بعضها من حشوها، فإذا بعثت شيئاً فأجد الحشو في الظرف التي تجعلها فيه بالرمل حتى
لا يضطرب ولا يصيب بعضه بعضاً.
وقيل له: أتطمع في الخلافة وأنت بخيل جبان ؟ قال: ولم لا أطمع، وأنا عفيف حليم ؟
قالوا: وخلف من العين أربعةً وأربعين ألف ألف دينار، وما لا يحصى من الورق.
ولما مات طلبوا له قمقما من بعض الخزان يسخن له الماء فيه، فمنعه عياض كاتب الوليد،

فاستعاروا له قمقماً من بعض الخزان يسخن له فيه.
وفي أيامه بنى سعيدٌ أخوه قبة بيت المقدس.
أولاده: كان له عشرة أولاد من الذكور والإناث، منهم: معاوية، وسليمان.
نقش خاتمه: الحكم للحكم الحكيم.
كتابه: سعيد بن الوليد، والأبرش الكلبي، ومحمد بن عبد الله ابن حارثة.
قاضيه: محمد بن صفوان الجمحي.
حاجبه: غالب مولاه
الأمراء بمصر: محمد بن عبد الملك أخوه، ثم استعفاه فولاها بعده أنس بن يوسف بن
يحيى بن الحكم بن العاص، ثم استعفى فولاها حفص بن الوليد الحضرمي، ثم صرفه
وولاها عبد الملك ابن رفاعة، ثم مات فولاها أخاه الوليد بن رفاعة، ثم مات فولاها عبد
الرحمن بن خالد التميمي، ثم صرفه وولاها حنظلة بن صفوان، ثم سيره إلى إفريقية، وولى
حفصا.
وكان على قضائها من قبل هشام يحيى بن ميمون الحضرمي إلى أن وليها الوليد بن رفاعة
فصرفه، وولاها أبا نضلة الخيار ابن خالد، ثم مات فولى سعيد بن ربيعة الصدفي،
واستعفى، فولى توبة بن يمين الحضرمي، ثم مات فولاها جبر بن نعيم الحضرمي.
بيعة الوليد بن يزيد
هو أبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن
يوسف أخي الحجاج بن يوسف الثقفي، وهو الحادث عشر من ملوك بني أمية.
بويع له لستٍ مضين من شهر ربيع الآخر سنة 1خمس وعشرين ومائة.
قال: وكان يزيد قد جعل ولاية العهد لأخيه هشام من بعده، ثم من بعده للوليد، وكان عمر
الوليد إحدى عشرة سنة، ثم عاش يزيد حتى بلغ الوليد خمس عشرة سنة، فكان يزيد
يقول: الله بيني وبين من جعل هشاما بيني وبينك.
فلما ولى هشام أكرم الوليد بن يزيد حتى ظهر من الوليد مجون واشتهر بشرب الشراب،
وكان يؤدبه عبد الصمد بن عبد الأعلى يحمله على ذلك، واتخذ له ندماء، فأراد هشام أن
يقطعهم عنه، فولاه الحج سنة 1ست عشرة ومائة، فحمل معه كلاباً في صناديق، وعمل قبةً

على قدر الكعبة ويشرب فيها الخمر، فخوفه أصحابه، وقالوا: لا نأمن الناس عليك وعلينا
معك، فلم يفعل. وظهر للناس منه تهاونٌ بالدين واستخفافٌ، فطمع هشام في البيعة لابنه
مسلمة، وخلع الوليد، وأراد الوليد على ذلك فأبى، فقال له: اجعله بعدك، فأبى؛ فتنكر له
هشام، وعمل سراً في البيعة لابنه مسلمة، فأجابه قوم، فكان ممن أجابه خالاه: محمد،
وإبراهيم ابنا هشام ابن إسماعيل، وبنو القعقاع بن خليد العبسي وغيرهم من خاصته.
وأفرط الوليد في الشراب، وطلب اللذات؛ فقال له هشام: يا وليد، والله ما أدرى أعلى
الإسلام أنت أم لا ؟ ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيته غير متحاش؛ فكتب إليه الوليد:
يأيّها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
نشربها صرفا وممزوجةً بالسّخن أحيانا وبالفاتر
فغضب هشامٌ على ابنه مسلمة، وكان يكنى أبا شاكر، وقال له: يعيرني الوليد بك، وأنا
أرشحك للخلافة. فألزمه الأدب، وأحضره الجماعة، وولاه الموسم سنة تسع عشرة ومائة،
فأظهر النسك واللين، وقسم بمكة والمدينة أموالا، فقال مولى لأهل المدينة:
يأيّها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
الواهب الجرد بأرسانها ليس بزنديقٍ ولا كافر
يعرض بالوليد.
وكان هشام ينتقص الوليد ويعيبه، فخرج الوليد معه ناسٌ من خاصته ومواليه، فنزل
بالأزرق على ماءٍ يقال له الأغدف، وخلف كاتبه عياض بن مسلم عند هشام ليكاتبه بما
عندهم.
وقطع هشام عن الوليد ما كان يجري عليه، وكاتبه فيه الوليد فلم يجبه إلى رده، وأمره
بإخراج عبد الصمد من عنده، فأخرجه وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج إليه، فضرب
هشامٌ ابن سهيل وسيره إليه، وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد فضربه وحبسه. فقال
الوليد: من يثق بالناس، ومن يصنع المعروف ؟ هذا الأحول المشؤوم أبى، قدمه على أهل
بيته ولى عهده، ثم يصنع بي ما ترون، لا يعلم أن لي في أحدٍ هوىً إلا عبث به.
وكتب إلى هشام في ذلك يعاتبه، ويسأله أن يرد عليه كاتبه. فلم يرده، فكتب إليه الوليد:

رأيتك تبني دائما في قطيعتي ولو كنت ذا حزمٍ لهدّمت ما تبني
تثير على الباقين مجنى ضغينةٍ فويلٌ لهم إن متّ من شرّ ما تجني
كأني بهم والليت أفضل قولهم ألا ليتنا والليت إذ ذاك لا يغنى
كفرت يداً من منعمٍ لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمنّ

قال، ولم يزل الوليد مقيماً بتلك البرية حتى مات هشام، فلما كان صبيحة اليوم الذي جاءته فيه الخلافة قال لأبي الزبير المنذر بن أبي عمرو: ما أتت علي ليلة منذ عقلت عقلي أطول من هذه الليلة، عرضت لي أمورٌ، وحدثت نفسي فيها بأمور من أمر هذا الرجل - يعني هشاما - قد أولع بي، فاركب بنا نتنفس، فركبا فسارا ميلين، ووقف على كثيب، فنظر إلى رهج، فقال: هؤلاء رسل هشام، نسأل الله من خيرهم؛ إذ بدا رجلان على البريد: أحدهما مولىً لأبي محمد السفيان، فلما قربنا نزلا يعدوان حتى دنوا منه، فسلما عليه بالخلافة، فوجم، ثم قال: أمات هشام؟ قالا: نعم والكتاب معنا من سالم ابن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل. فقرأه؛ وسأل مولى أبي محمد السفياني عن كاتبه عياض، فقال: لم يزل محبوسا حتى نزل بهشام الموت، فأرسل إلى الخزان فقال: احتفظوا بما في أيديكم، فأفاق هشام فطلب شيئاً فمنعوه، فقال: إنا لله، كنا خزاناً للوليد، ومات من ساعته.
وخرج عياض من السجن، فختم أبواب الخزائن، وأنزل هشاماً عن فرشه وما وجدوا له قمقما يسخن فيه الماء حتى استعاروه، ولا وجدوا له كفناً من الخزائن، فكفنه غالب مولاه، فقال الوليد:

هلك الأحول المشو م فقد أرسل المطر
وملكنا من بعد ذا ك، فقد أورق الشجر
فاشكر الله إنّه زائد كلّ من شكر

وقيل: إن هذا الشعر لغير الوليد.
قال: ولما سمع الوليد بموته كتب إلى العباس بن عبد الملك ابن مروان أن يأتي الرصافة فيحصى ما فيها من أموال هشام وولده وعماله وحشمه إلا مسلمة بن هشام فإنه كان يكلم

أباه في الرفق بالوليد، فقدم العباس الرصافة ففعل ذلك وكتب به إلى الوليد، فقال الوليد:
ليت هشاماً كان حيّاً يرى محلبه الأوفر قد أترعا
ليت هشاماً عاش حتى يرى مكياله الأوفر قد طبّعا
كلناه بالصّاع الذي كاله وما ظلمناه به إصبعا
وما أتينا ذاك عن بدعةٍ أحلّه الفرقان لي أجمعا
وضيق الوليد على أهل هشام وأصحابه، واستعمل العمال، وكتب إلى الآفاق بأخذ
البيعة، فجاءته بيعتهم.
قال: ولما ولي الوليد أجرى على زمني أهل الشام وعميانهم وكساهم، وأمر لكل إنسان
منهم بخادمٍ، وأخرج لعيالات الناس الكسوة والطيب، وزادهم؛ وزاد الناس في العطاء
عشرات؛ ثم زاد أهل الشام بعد العشرات عشرةً عشرةً، وزاد الوفود، ولم يقل في شيء
يسأله: لا.
وفي هذه السنة، عقد الوليد البيعة لابنيه: الحكم، وعثمان من بعده، وكتب بذلك إلى
الإمصار، وجعل الحكم مقدما والآخر من بعده.
وفيها استعمل الوليد خالد بن يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي على المدينة ومكة
والطائف، ودفع إليه محمداً وإبراهيم ابني هشام ابن إسماعيل المخزومي موثقين في عباءتين؛
فقدم بهما المدينة في شعبان، فأقامهما للناس، ثم حملا إلى الشام، فأحضرا عند الوليد،
فأمر، بجلدهما، فقال محمد: نسألك القرابة. قال: وأي قرابة بيننا ! قال: فقد نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب بسوط إلا في حد. قال: ففي حد أضربك وقود، أنت
أول من فعل بالعرجى وهو ابن عمي؛ وابن أمير المؤمنين عثمان - وكان محمد قد أخذه
وقيده وأقامه للناس وجلده، وسجنه إلى أن مات بعد تسع سنين لهجاء العرجى إياه، ثم
أمر به الوليد فجلد هو وأخوه إبراهيم ثم أوثقهما، وبعث بهما إلى يوسف بن عمر، وهو
على العراق فعذبهما حتى ماتا.
وفيها عزل الوليد سعد بن إبراهيم عن قضاء المدينة، وولي القضاء يحيى بن سعيد
الأنصاري.
وفيها خرجت الروم إلى زبطرة وهو حصنٌ قديم كان افتتحه حبيب بن مسلمة الفهري،

فأخربه الروم الآن فبنى بناءً غير محكم، فعاد الروم وأخربوه أيام مروان بن محمد ثم بناه
الرشيد وشحنه بالرجال.
فلما كانت خلافة المأمون طرقه الروم فشعثوه، فأمر المأمون بمرمته وتحصينه، ثم قصده
الروم بعد ذلك أيام المعتصم.
وفيها أغزا الوليد أخاه الغمر بن يزيد، وأمر على جيش البحر الأسود بن بلال المحاربي،
وسيره إلى قبرس ليخير أهلها بين المسير إلى الشام أو إلى الروم، فاختارت طائفةٌ جوار
المسلمين، فسيرهم إلى الشام، واختار آخرون الروم فسيرهم إليهم.
وحج بالناس في هذه السنة يوسف بن محمد بن يوسف. وغزا النعمان بن يزيد بن عبد
الملك الصائفة.
سنة 1ست وعشرين ومائة:
مقتل خالد القسري
وشيء من أخباره
قد ذكرنا من أخباره في سنة 1عشرين ومائة ما تقدم، وذكرنا أنه لما أفرج عنه سار من
الحيرة إلى دمشق.
قال: ولما قدمها كان العامل عليها يومئذ كلثوم بن عياض القشيري، وكان يبغض خالدا،
واتفق أنه ظهر في دور دمشق حريق في كل ليلة، يلقيه رجلٌ من أهل العراق يقال له: أبو
العمرس فإذا وقع الحريق يسرقون.
وكان أولاد خالد وإخوته بالساحل لحدثٍ كان من الروم، فكتب كلثوم إلى هشام: إن موالي
خالد يريدون الوثوب على بيت المال، وإنهم يحرقون البلد كل ليلة.
فكتب هشام إليه يأمره بحبس آل خالد: الصغير منهم والكبير ومواليهم، فأنفذ من أحضر
أولاده وإخوته من الساحل في الجوامع، ومعهم مواليهم، وحبس بنات خالد والنساء
والصبيان، ثم ظهر على أبي العمرس ومن كان معه.
فكتب الوليد بن عبد الرحمن عامل الخراج إلى هشام بأخذ أبي العمرس وأصحابه
بأسمائهم وقبائلهم، ولم يذكر فيهم أحداً من موالي خالد.
فكتب هشام إلى كلثوم يسبه ويأمره بإطلاق آل خالد، فأطلقهم وترك الموالي رجاء أن
يشفع فيهم خالد إذا قدم من الصائفة.

ثم قدم خالد فنزل منزله بدمشق، وجاءه الناس للسلام عليه، فقال: خرجت مغازيا سميعا
مطيعا، فخلفت في عقبي، وأخذ حرمي وأهل بيتي فحبسوا مع أهل الجرائم كما يفعل
بالمشركين، فما منع عصابةً منكم أن تقول: علام حبس حرم هذا السامع المطيع ؟ أخفتم
أن تقتلوا جميعاً ؟ أخافكم الله.
ثم قال: مالي ولهشام ليكفن عني أو لأدعون إلى عراقي الهوى، شامي الدار، حجازي
الأصل - يعني محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. ولقد أذنت لكم أن تبلغوا هشاماً.
فلما بلغه قال: قد خرف أبو الهيثم، واستمر خالدٌ مدة أيام وهو بدمشق ويوسف بن عمر
يطلب ابنه يزيد بن خالد، فلم يظفر به، وبذل فيه لهشام خمسين ألف ألف.
فلما هلك هشام وقام الوليد بعده كتب إلى خالدٍ: ما حال الخمسين ألف ألف التي تعلم ؟
واستقدمه، فقدم عليه حتى وقف بباب سرادق الوليد، فأرسل إليه الوليد يقول: أين ابنك
يزيد ؟ فقال: كان قد هرب من هشام، وكنا نراه عند أمير المؤمنين، فلما لم نره ظنناه ببلاد
قومه من الشراة. فرجع الرسول، فقال: لا، ولكنك خلفته طلبا للفتنة. فقال: قد علم أمير
المؤمنين أنا أهل بيت طاعة. فرجع الرسول فقال: يقول أمير المؤمنين: لتأتين به أو لأزهقن
نفسك. فرفع خالدٌ صوته، وقال: قل له: هذا والله أردت، لو كان تحت قدمي ما رفعتها
عنه.
فأمر الوليد بضربه فضرب، فلم يتكلم، فحبسه حتى قدم يوسف ابن عمر من العراق
بالأموال، فاشتراه من الوليد بخمسين ألف ألف، فأرسل إليه الوليد: إن يوسف قد اشتراك
بخمسين ألف ألف، فإن كنت تضمنها وإلا دفعتك إليه.
فقال خالد: ما عهدت العرب تباع، والله لو سألني أن أضمن عوداً ما ضمنته، فدفعه إلى
يوسف، فنزع ثيابه، وحمله على بعيرٍ بغير وطاءٍ، وعذبه عذاباً شديداً، وهو لا يكلمه كلمةً
واحدة، ثم حمله إلى الكوفة فعذبه، ووضع المضرسة على صدره فقتله، ودفنه من الليل
بالحيرة في العباءة التي كان فيها، وذلك في المحرم سنة 1ست وعشرين ومائة.

وقيل: بل أمر يوسف فوضع على رجليه عود، وقام عليه الرجال حتى تكسرت قدماه،
وما تكلم ولا عبس، ثم على ساقيه وفخذيه، ثم على صدره حتى مات.
وكانت أم خالد نصرانيةً روميةً استلبها أبوه، فأولدها خالداً وأسد، ولم تسلم، وبنى لها
خالد بيعة فذمه الناس على ذلك، فقال الفرزدق:
ألا قطع الرحمن ظهر مطيّةٍ أتتنا نهادى من دمشق بخالد
فكيف يؤمّ الناس من كانت امّه تدين بأنّ الله ليس بواحد
بنى بيعةً فيها النصارى لأمّه ويهدم من كفرٍ منار المساجد
وكان خالد قد أمر بهدم منار المساجد؛ لأنه بلغه أن شاعراً قال:
ليتني في المؤذّنين حياتي إنهم يبصرون من في السطوح
ويشيرون أو تشير إليهم بالهوى كلّ ذات دلٍّ مليح
فلما بلغ خالداً هذا الشعر أمر بهدمها.
ولما بلغه أن الناس يذمونه لبنائه البعية لأمه قام يعتذر إليهم، فقال: لعن الله دينهم إن كان
شراً من دينكم.
وحكى عنه أنه كان يقول: إن خليفة الرجل في أهله أفضل من رسوله إليهم - يعني أن
هشاما أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، نبرأ إلى الله من ذلك.
وكان خالدٌ يصل الهاشميين في أيام إمارته، ويبرهم، إلا أنه كان يبالغ في سب علي رضي الله
عنه، ويلعنه، فقيل: إنه كان يفعل ذلك نفياً للتهمة، وتقرباً إلى بني أمية، فأتاه مرةً محمد ابن
عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان يستميحه، فلم ير منه ما يحب، فقال: أما الصلة
فللها شميين، وليس لنا منه إلا أن يلعن عليا، فبلغ خالدا كلامه، فقال: إن أحب نلنا عثمان
بشيء؛ يريد بشيء من اللعن أو السب، والله تعالى أعلم.
مقتل الوليد
بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وشيء من أخباره
كان مقتله يوم الخميس الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة 1ست وعشرين ومائة.
وكان سبب ذلك ما قدمناه من اشتهاره باللهو واللعب والخلاعة، فلما ولي الخلافة ما زاد
إلا تمادياً وإصراراً، واشتهر بمنادمة القيان وشرب النبيذ، فثقل ذلك على رعيته وجنده،
وكرهوه؛ فكان من أعظم ما جنى على نفسه إفساد بني عميه: هشام، والوليد؛ فإنه أخذ
سليمان بن هشام فضربه مائة سوط، وحلق رأسه ولحيته وغربه إلى عمان من أرض

الشام، فحبسه بها، فلم يزل محبوسا حتى قتل الوليد.
وأخذ جاريةً كانت لآل الوليد، فكلمه عثمان بن الوليد في ردها، فقال: لا أردها. فقال:
إذن تكثر الصواهل حول عسكرك، وحبس الأفقم يزيد بن هشام، وفرق بين روح بن الوليد
وبين امرأته، وحبس عدةً من ولد الوليد، فرماه بنوها شم وبنو الوليد بالكفر وغشيان
أمهات أولاد أبيه، وقالوا: قد اتخذ مائة جامعة لبني أمية، وكان أشد الناس عليه يزيد بن
الوليد، وكان الناس إلى قوله أميل؛ لأنه كان يظهر النسك ويتواضع.
وكان سعيد بن بيهس بن صهيب قد نهاه عن البيعة لابنيه الحكم وعثمان لصغرهما،
فحبسه حتى مات، وفعل بخالد القسري ما ذكرناه ففسدت عليه اليمانية وقضاعة، وهم
أكثر جند الشام؛ وكان حريث وشبيب بن أبي مالك الغساني، ومنصور بن جمهور الكلبي؛
وابن عمه حبال ابن عمرو، ويعقوب بن عبد الرحمن، وحميد بن نصر اللخمي، والأصبغ ابن
ذؤالة والطفيل بن حارثة، والسرى بن زياد، أتوا خالد بن ابن عبد الله القسري، فدعوه إلى
أمرهم، فلم يجبهم، وأراد الوليد الحج، فخاف خالد أن يقتلوه، فنهاه عن الحج، فقال: ولم ؟
فلم يخبره، فحبسه، وطالبه بأموال العراق ثم سلمه إلى يوسف ابن عمر كما تقدم، فقال
بعض أهل اليمن شعراً على لسان الوليد يحرض عليه اليمانية.
وقيل: بل قاله الوليد يوبخ اليمن على ترك نصر خالد:

ألم تهتج فتدكر الوصالا وحبلاً كان متّصلاً فزالا
بلى فالدّمع منك إلى انسجام كماء المزن ينسجل انسجالا
فدع عنك ادّكارك آل سعدى فنحن الأكثرون حصى ومالاً
ونحن المالكون الناس قسراً نسومهم المذلّة والنّكالا
وطئنا الأشعري بعزّ قيس فيالك وطأةً لن تستقالا
وهذا خالدٌ فينا أسيراً ألا منعوه إن كانوا رجالا
عظيمهم وسيّدهم قديما جعلنا المخزيات له ظلالا
فلو كانت قبائل ذات عزٍّ لما ذهبت صنائعه ضلالا
ولا تركوه مسلوبا أسيراً يعالج من سلاسلنا الثّقالا
وكندة والسّكون فما استقاموا ولا برحت يخولهم الرّحالا
بها سمنا البريّة كلّ خسف وهدّمنا السهولة والجبالا
ولكنّ الوقائع ضعضعتهم وجذّتهم وردّتهم شلالا
فما زالوا لنا أبداً عبيدا نسومهم المذلّة والسفالا
فأصبحت الغداة عليّ تاجٌ لملك الناس لا يبغي انتقالا

فعظم ذلك عليهم، وسعوا في قتله، وازدادوا حنقاً، وقال حمزة ابن بيض في الوليد:
وصلت سماء الضّرّ بالضّرّ بعدما زعمت سماء الذلّ عنا ستقلع
فليت هشاما كان حيّاً يسوسنا وكنا كما كنّا نرجّى ونطمع
وقال أيضاً:
يا وليد الخنا تركت الطّريقا واضحا وارتكبت فجّاً عميقا
وتماديت واعتديت وأسرف ت وأغويت وانبعثت فسوقاً
أبدا هات ثم هات وهاتي ثم هاتي حتى تخرّ صعيقا
أنت سكران لا تفيق فما تر تق فتقاً إلاّ فتقت فتوقا
فأتت اليمانية يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأرادوه على البيعة، فاستشار عمر بن زيد
الحكمي، فقال له: لا يبايعك الناس على هذا، وشاور أخاك العباس؛ فإن بايعك لم يخالفك
أحدٌ، وإن أبى كان الناس له أطوع؛ فإن أبيت إلا المضي على رأيك فأظهر أنّ أخاك
العباس قد بايعك.
وكان الشام وبيئاً فخرجوا إلى البوادي، وكان العباس بالقسطل ويزيد بالبادية أيضاً، فأتى
يزيد العباس فاستشاره فنهاه عن ذلك، فرجع وبايع الناس سراً، وبث دعاته، فدعوا الناس،
ثم عاود أخاه العباس أيضا فاستشاره ودعاه إلى نفسه، فزبره، وقال: إن عدت لمثل هذا
لأشدنك وثاقاً، ولأحملنك إلى أمير المؤمنين.
فخرج من عنده، فقال العباس: إني لأظنه أشأم مولودٍ في بني مروان.
وبلغ الخبر مروان بن محمد بإرمينية. فكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان يأمره أن
ينهي الناس ويكفهم ويحذرهم الفتنة ويخوفهم خروج الأمر عنهم. فأعظم سعيد ذلك،
وبعث الكتاب إلى العباس بن الوليد، فاستدعى العباس يزيد وتهدده؛ فكتمه يزيد أمره
فصدقه، وقال العباس لأخيه بشر بن الوليد: إني أظن الله قد أذن في هلاككم يا بني أمية،
ثم تمثل:
إني أعيذكم بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تندفع
إنّ البريّة قد ملّت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدّين وارتدعوا
لا تلحمنّ ذئاب الناس أنفسكم إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا
لا تبقرنّ بأيديكم بطونكمو فثمّ لا حسرةٌ تغنى ولا جزع
قال: فلما اجتمع ليزيد أمره وهو بالبادية أقبل إلى دمشق، وكان بينه وبينها أربع ليال،

وجاء متنكراً في سبعة نفر على حمير، فنزلوا بجرود - وهي على مرحلة من دمشق، ثم
سار فدخل دمشق ليلاً، وقد بايع له أكثر أهلها سراً، وبايع أهل المزة؛ وكان على دمشق
عبد الملك بن محمد بن الحجاج، فخرج منها للوباء، فنزل قطناً، واستخلف على دمشق
ابنه، وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمى؛ فأجمع يزيد على الظهور، فقيل
للعامل: إن يزيد خارجٌ فلم يصدق، وراسل يزيد أصحابه بعد المغرب ليلة الجمعة، فكمنوا
عند باب الفراديس حتى أذن بالعشاء؛ فدخلوا المسجد فصوا، وللمسجد حرس قد وكلوا
بإخراج الناس منه بالليل، فلما صلى الناس أخرجهم الحرس وتباطأ أصحاب يزيد حتى لم
يبق في المسجد غيرهم، فأخذوا الحرس، ومضى يزيد ابن عنبسة إلى يزيد بن الوليد،
فأعلمه، وأخذ بيده، فقال: قم يا أمير المؤمنين، وأبشر بنصر الله وعونه. فقام، وأقبل في اثني
عشر رجلا.
فلما كان عند سوق الحمر لقوا أربعين رجلاً من أصحابهم، ولقيهم زهاء مائتي رجل،
فمضوا إلى المسجد فدخلوه وأتوا باب المقصورة فضربوه، وقالوا: رسل الوليد؛ ففتح لهم
الباب خادمٌ فدخلوا فأخذوا أبا العاج وهو سكران، وأخذوا خزان بيت المال، وأرسل إلى
كل من كان يحذره فأخذ وقبض محمد بن عبيدة وهو على بعلبك، وأرسل إلى محمد بن
عبد الملك بن الحجاج فأخذه، وكان بالمسجد سلاحٌ كثير، فأخذوه.
فلما أصبحوا جاء أهل المزة وتبايع الناس، وجاءت السكاسك، وأقبل أهل داريا ويعقوب
بن عمير بن هانيء العبسي.
وأقبل عيسى بن شبيب التغلبي وأهل دومة وحرستا، وأقبل حميد بن حبيب اللخمي في
أهل دير مران والأرزة وسطرا وأقبل أهل جرش وأهل الحديثة وديرزكي.
وأقبل ربعي بن هاشم الحارثي في الجماعة من بني عذرة وسلامان، وأقبلت جهينة ومن
والاهم.
ثم وجه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصاد في مائتي فارس ليأخذوا عبد الملك بن محمد

بن الحجاج بن يوسف من قصره، فأخذوه بأمانٍ، وأصاب عبد الرحمن خرجين في كل
واحد منهما ثلاثون ألف دينار، فقيل له: خذ أحد هذين الخرجين، فقال: لا تتحدث العرب
عني أني أول من خان في هذا الأمر.
ثم جهز يزيد جيشا عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، وسيرهم إلى الوليد.
وكان يزيد لما ظهر بدمشق سار مولى للوليد إليه، وأعلمه الخبر وهو بالأغدف من عمان،
فضربه الوليد وحبسه، وسير أبا محمد عبد الله بن يزيد بن معاوية إلى دمشق، فسار بعض
الطريق، وأقام فأرسل إليه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصاد، فبايع يزيد.
ولما أتى الخبر الوليد قال له يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية: سر حتى تنزل حمص، فإنها
حصينة، ووجه الخيول إلى يزيد فيقتل أو يؤسر.
فقال عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاص: ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره ونساءه
قبل أن يقاتل، والله يؤيد أمير المؤمنين بنصره.
فأخذ بقول ابن عنبسة، وسار حتى أتى البخراء - قصر النعمان بن بشير، وسار معه
من ولد الضحاك بن قيس أربعون رجلا، فقالوا له: ليس لنا سلاح، فلو أمرت لنا بسلاح !
فلم يعطهم شيئاً، ونازله عبد العزيز.
وكتب العباس بن الوليد بن عبد الملك إلى الوليد: إني آتيك؛ فأخرج الوليد سريرا وجلس
عليه ينتظر العباس، فقاتلهم عبد العزيز، ومعه منصور بن جمهور، فبعث إليهم عبد العزيز
زياد بن حصين الكلبي، يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فقتله أصحاب الوليد واقتتلوا
قتالا شديدا.
وكان الوليد قد أخرج لواء مروان بن الحكم الذي كان قد عقده بالجابية.
وبلغ عبد العزيز مسير العباس إلى الوليد، فأرسل منصور بن جمهور إلى طريقه، فأخذه
قهراً، وأتى به عبد العزيز، فقال له: بايع لأخيك يزيد، فبايع، ووقف ونصبوا رايةً، فقالوا:
هذه راية العباس قد بايع لأمير المؤمنين زيد، فقال العباس:
إنا لله ! خدعة من خدع الشيطان، هلك والله بنو مروان.
فتفرق الناس عن الوليد، وأتوا العباس وعبد العزيز، وأرسل الوليد إلى عبد العزيز يبذل له

خمسين ألف دينار وولاية حمص ما بقي، ويؤمنه من كل حدث، على أن ينصرف عن قتاله،
فأبى ولم يجبه، فظاهر الوليد من درعين، وأتوه بفرسيه: السندى، والزائد، فقاتلهم قتالاً
شديدا، فناداهم رجلٌ: اقتلوا عدو الله قتلة قوم لوط، ارجموه بالحجارة، فلما سمع ذلك
دخل القصر وأغلق عليه الباب، وقال:
دعوا لي سليمي والطّلاء وقينة وكأساً، ألا حسبي بذلك مالا
إذا ما صفا عيشي برملة عالج وعانقت سلمى لا أريد بدالا
خذوا ملككم لا ثبّت الله ملككم ثباتا يساوي ما حييت عقالا
وخلّوا عناني قبل عيرٍ وما جرى ولا تحسدوني أن أموت هزالا
قال: وأحاط عبد العزيز بالقصر، فدنا الوليد من الباب، فقال: أما فيكم رجلٌ شريف له
حسبٌ وحياء أكلمه ! وقال يزيد ابن عنبسة السكسكي: كلمني. قال: يا أخا
السكاسك، ألم أزد في أعطياتكم ! ألم أرفع المؤن عنكم ! ألم أعط فقراءكم؛ ألم أخدم
زمناكم ؟ فقال: إنا ننقم عليك في أنفسنا، إنما ننقم عليك فيما حرم الله، وشرب الخمر،
ونكاح أمهات أولاد أبيك، واستخفافك بأمر الله.
قال: حسبك يا أخا السكاسك، فلعمري لقد أكثرت، وإن فيما أحل الله سعة عما
ذكرت.
ورجع وجلس، وأخذ مصحفا، ونشره يقرأ فيه، وقال: يوم كيوم عثمان. فصعدوا على
الحائط، وكان أول من علاه يزيد ابن عنبسة، فنزل إليه، وأخذ بيده، وهو يريد أن يحبسه،
ويؤامر فيه، فنزل من الحائط عشرة؛ فيهم: منصور بن جمهور، وعبد السلام اللخمي، فضربه
عبد السلام على رأسه، وضربه السرى بن زياد بن أبي كبشة على وجهه، واحتزوا رأسه،
وبعثوا به إلى يزيد، فأتاه الرأس وهو يتغدى، فسجد وأمر بنصب الرأس. فقال له يزيد بن
فروة مولى بني مرة: إنما تنصب رؤوس الخوارج؛ وهذا رأس ابن عمك وخليفة، ولا آمن إن
نصبته أن ترق له قلوب الناس، وبغضب له أهل بيته.
فلم يسمع منه، ونصبه على رمح، وطاف به دمشق؛ ثم أمر به أن يدفع إلى أخيه سليمان
بن يزيد، فلما نظر إليه سليمان قال: بعداً له ! أشهد أنه كان شروبا للخمر ماجنا فاسقا،

ولقد أرادني على نفسي الفاسق - وكان سليمان ممن سعى في أمره.
وحكى يزيد بن عنبسة ليزيد بن الوليد أن الوليد قال في آخر كلامه: والله لا يرتق فتقكم،
ولا يلم شعثكم، ولا تجتمع كلمتكم.
وكانت مدة خلافة الوليد سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما. وكان عمره اثنتين وأربعين
سنة. وقيل: قتل وهو ابن ثمان وثلاثين سنة.
وقيل: إحدى وأربعين.
وقيل: ست وأربعين سنة. والله أعلم.
وكان الوليد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم،
وأجوادهم، جيد الشعر، له أشعارٌ
حسنة في الغزل والعتاب ووصف الخمر وغير ذلك، إلا أنه كان كثير الانهماك في اللهو
والشرب وسماع الغناء.
ومن كلامه: المحبة للغناء تزيد الشهوة، وتهدم المروءة، وتنوب عن الخمر، وتفعل ما يفعل
السكر، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء، فإن الغناء رقية الزنى، وإني لأقول ذلك على
أنه أحب إلي من كل لذة، وأشهى إلى نفسي من الماء إلى ذي الغلة، ولكن الحق أحق أن
يتبع.
ومما اشتهر عنه أنه استفتح المصحف الكريم، فخرج له قوله تعالى: "واستَفْتَحُوا وخاب كلُّ
جبار عنيد". فألقاه ونصبه غرضاً، ورماه بالسهام، وقال:
تهدّدني بجبّار عنيد فهأنا ذاك جبّار عنيد
إذا ما جئت ربّك يوم حشر فقل يا ربّ مزّقني الوليد
فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا حتى قتل. هذا هو المشهور عنه.
وروى أبو الفرج الأصفهاني بسنده إلى العلاء البندار، قال: كان الوليد زنديقا، وكان رجلٌ
من كلب من أهل الشام يقول مقالة الثنوية، فدخلت على الوليد يوما وذلك الكلبي عنده،
وإذا بينهما سفط. قد رفع رأسه عنه، وإذا ما يبدو لي منه حرير أخضر؛ فقال: ادن يا
علاء، فدنوت، فرفع الحريرة فإذا في السفط. صورة إنسان، وإذا الزئبق والنوشادر قد جعلا
في جفنه. فجفنه يطرف كأنه يتحرك، فقال: يا علاء، هذا مانين لم يبعث الله نبيا قبله، ولا
يبعث نبيا بعده؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، اتق الله ولا يغرنك هذا الذي ترى من دينك. فقال
الكلبي: يا أمير المؤمنين، قد قلت لك: إن العلاء لا يحتمل هذا الحديث.

قال العلاء: ومكثت أياما، ثم جلست مع الوليد على بناء كان قد بناه في عسكره يشرف
منه والكلبي عنده إذ نزل من عنده، وقد كان الوليد حمله على برذون هملاج أشقر من
أفخر ما سخر، فخرج على برذونه، فمضى في الصحراء حتى غاب عن العسكر، فما شعر
إلا وأعراب قد جاؤوا به يحملونه منفسحة عنقه، وبرذونه يقاد، حتى أسلموه.
فبلغني ذلك، فخرجت حتى أتيت أولئك الأعراب، وكانت لهم أبياتٌ بالقرب من أرض
البحر لا حجر فيها ولا مدر، فقلت لهم: كيف كانت قصة هذا الرجل ؟ فقالوا: أقبل
علينا على برذون، فوالله لكأنه دهنٌ يسيل على صفاة من فراهيته، فعجبنا لذلك إذ انقض
رجلٌ من السماء عليه ثيابٌ بيضٌ، فأخذ بضبعيه، فاحتمله، ثم نكسه، وضرب برأسه
الأرض، فدق عنقه، ثم غاب عن عيوننا فاحتملناه فجئنا به.
وقد نزه قوم الوليد عما قيل، وأنكروه ونفوه عنه، وقالوا: إنه اختلق عليه وألصق به، وليس
بصحيح.
حكى عن شبيب بن شيبة أنه قال: كنا جلوساً عند المهدي، فذكروا الوليد، فقال
المهدي: كان زنديقا، فقام ابن علاثة الفقيه، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن الله عز وجل أعدل
من أن يولى خلافة النبوة وأمر الأمة زنديقا، لقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه
عنه بمروءة في طهارته؛ فكان إذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التي عليه المطيبة المصبغة،
ثم يتوضأ فيحسن الوضوء، ويؤتى بثيابٍ نظاف بيض فيلبسها، ويصلى فيها، فإذا فرغ عاد
إلى تلك الثياب فلبسها، واشتغل بشربه ولهوه، فهذا فعال من لا يؤمن بالله !
فقال المهدي: بارك الله عليك يا بن علاثة.
وللوليد كلامٌ حسن؛ فمن أحسن كلامه ما قاله لهشام بن عبد الملك لما مات مسلمة بن
عبد الملك وقعد هشامٌ للعزاء، فأتاه الوليد وهو نشوان يجر مطرف خز عليه، فوقف على
هشام فقال: يا أمير المؤمنين، إن عقبي من بقي لحوق من مضى، وقد أقفر بعد مسلمة
الصيد لمن رمى، واختل الثغر فهوى، وعلى أثر من سلف بمضى من خلف؛ فتزودوا فإن
خير الزاد التقوى.

فأعرض هشام ولم يحر جوابا، وسكت القوم فلم ينطقوا.
والوليد أول خليفة عد الشعر وأجاز عن كل بيتٍ ألف درهم، فإن يزيد بن ضبة مولى
ثقيف مدحه وهنأه بالخلافة فأمر أن تعد الأبيات ويعطى لكل بيت ألف درهم؛ فعدت
فكانت خمسين بيتا فأعطى خمسين ألف درهم.
قال: ودفن الوليد بباب الفراديس بدمشق. وقيل: إنه قتل بأرض حمص.
وحكى الدولابي أن رأس الوليد نصب في مسجد دمشق ولم يزل أثر دمه على الجدار إلى
أن قدم المأمون دمشق في سنة 2خمس عشرة ومائتين، فأمر بحكه.
وكان الوليد أبيض ربعة قد وخطه الشيب.
وكان نقش خاتمه: يا وليد، احذر الموت.
وكان له من الأولاد الذكور والإناث ثلاثة عشر.
كاتبه: العباس بن مسلم.
قاضيه: محمد بن صفوان الجمحي.
حاجبه: قطري مولاه.
الأمير بمصر: حفص بن الوليد الحضرمي، ثم صرفه عن الخراج.
قاضيها: حسين بن نعيم والله أعلم.
بيعة يزيد الناقص
هو أبو خالد يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان؛ ولقب بالناقض؛ لأنه نقص الزيادات
التي كان الوليد زادها في أعطيات الناس، وهي عشرة عشرة، ورد العطاء إلى أيام هشام.
وقيل: أول من لقبه بهذا اللقب مروان بن محمد.
وأم يزيد شاه آفريد بنت فيروز بن يزدجر بن شهريار.
بويع له لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة 1ست وعشرين ومائة.
قال: ولما قتل الوليد خطب يزيد الناس فذم الوليد، وذكر إلحاده، وأنه قتله لفعله الخبيث،
وقال: أيها الناس، إن لكم علي ألا أضع حجراً على حجر، ولا لبنةً على لبنةٍ، ولا أكرو
نهرا، ولاً أكنز مالاً، ولا أعطيه زوجةً وولدا، ولا أنقل مالا من بلد حتى أسد ثغره
وخصاصة أهله بما يغنيهم، فما فضل نقلته إلى البلد الذي يليه، ولا أجمركم في ثغوركم
فأفتنكم، ولا أغلق بابي دونكم، ولا أحمل على أهل جزيتكم، ولكم أعطياتكم كل سنةٍ
وأرزاقكم في كل شهر، حتى يكون أقصاكم كأدناكم؛ فإن وفيت بما قلت فعليكم السمع

والطاعة وحسن المؤازرة، وإن لم أوف فلكم أن تخلعوني، إلا أن أتوب، وإن علمتم أحداً
ممن يعرف بالصلاح يعطيكم مثل ما أعطيكم وأردتم أن تبايعوه فأنا أول من يبايعه.
أيها الناس، إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. والله الموفق بمنه وكرمه.
اضطراب أمر بني أمية
وفي سنة ست وعشرين ومائة في أيام يزيد هذا اضطرب أمر بني أمية، وهاجت الفتنة،
فكان من ذلك وثوب سليمان بن هشام ابن عبد الملك بعمان، وكان الوليد قد حبسه بها،
فلما قتل خرج من الحبس، وأخذ ما كان بها من الأموال، وأقبل إلى دمشق، وجعل يلعن
الوليد ويعيبه بالكفر.
ومن ذلك خلاف أهل حمص وفلسطين:
ذكر خلاف أهل حمص
قال: ولما قتل الوليد أغلق أهل حمص أبوابها، وأقاموا النوائح والبواكي عليه. وقيل لهم: إن
العباس بن الوليد بن عبد الملك أعان عبد العزيز على قتله، فهدموا داره، وانتهبوها،
وسلبوا حريمه، وطلبوه؛ فسار إلى أخيه يزيد، وكاتب أهل حمص الأجناد، ودعوهم إلى
الطلب بدم الوليد، فأجابوهم واتفقوا على ألا يطيعوا يزيد، وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن
حصين بن نمير، ووافقهم مروان بن عبد الله بن عبد الملك على ذلك، فراسلهم يزيد،
فأخرجوا رسله، فسير إليهم أخاه مسرورا في جمع كثير، فنزلوا حوارين، ثم قدم على يزيد
سليمان بن هشام، فرد عليه ما كان الوليد أخذه من أموالهم، وسيره إلى أخيه مسرور،
وأمرهم بالسمع والطاعة له؛ وكان أهل حمص يريدون السير إلى دمشق، فقال لهم مروان بن
عبد الله: أرى أن تسيروا إلى هذا الجيش فتقاتلوهم، فإن ظفرتم بهم كان ما بعدهم أهون
عليكم، ولست أرى المسير إلى دمشق وترك هؤلاء خلفكم.
فقال السمط بن ثابت: إنما يريد خلافكم، وهو مائل ليزيد، فقتلوه وقتلوا ابنه، وولوا عليهم
أبا محمد السفياني، وتركوا عسكر سليمان ذات اليسار، وساروا إلى دمشق، فخرج
سليمان مجداً في طلبهم، فلحقهم بالسليمانية - مزرعة كانت لسليمان ابن عبد الملك
خلف عذراء.

وأرسل يزيد عبد العزيز بن الحجاج في ثلاثة آلاف إلى ثنية العقاب، وأرسل هشام بن مصاد
في ألف وخمسمائة إلى عقبة السلامية. وأمرهم أن يمد بعضهم بعضا، ولحقهم سليمان على
تعب مقاتلتهم، فانهزمت ميمنته وميسرته، وثبت هو في القلب، ثم حمل أصحابه على أهل
حمص حتى ردوهم إلى موضعهم، وحمل بعضهم على بعض مراراً.
فبينما هم كذلك إذ أقبل عبد العزيز من ثنية العقاب، فحمل على أهل حمص حتى دخل
عسكرهم، وقتل فيه من عرض له، فانهزموا ونادوا: يا يزيد بن خالد بن عبد الله القسري
! الله الله في قومك ! فكف الناس، وأخذ أبو محمد السفياني أسيراً، ويزيد بن خالد بن
معاوية، فأتي بهما سليمان فسيرهما إلى يزيد فحبسهما.
واجتمع أمر أهل دمشق ليزيد، وبايعه أهل حمص، فأعطاهم العطاء، وأجاز الأشراف؛
واستعمل عليهم يزيد بن الوليد ابن معاوية بن يزيد بن الحصين.
ذكر خلاف أهل فلسطين
وفي هذه السنة وثب أهل فلسطين على عاملهم سعيد بن عبد الملك فطردوه، وكان الوليد
قد استعمله عليهم، فأحضروا يزيد بن سليمان بن عبد الملك فجعلوه عليهم، فدعا الناس
إلى قتال يزيد، فأجابوه إلى ذلك؛ وبلغ أهل الأردن أمر أهل فلسطين، فولوا عليهم محمد بن
عبد الملك، واجتمعوا معهم على قتال يزيد ابن الوليد، فبعث يزيد إليهم سليمان بن هشام
بن عبد الملك في أهل دمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفياني، وعدتهم أربعة آلاف
ونيف، فبايع الناس ليزيد، واستعمل ضبعان بن روح على فلسطين وإبراهيم بن الوليد بن
عبد الملك على الأردن.
ذكر عزل يوسف بن عمر عن العراق وما كان من أمره، واستعمال منصور بن جمهور
وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن العراق، واستعمل منصور بن
جمهور، وقال له لما ولاه العراق: اتق الله واعلم أني إنما قتلت الوليد لفسقه، ولما أظهر من
الجور، فلا تركب مثل ما قتلناه عليه. فسار حتى إذا بلغ عين التمر كتب إلى من بالحيرة من
قواد أهل الشام يخبرهم بقتل الوليد وتأميره على العراق ويأمرهم بأخذ يوسف وعماله،

وبعث بالكتب كلها إلى سليمان بن سليم بن كيسان ليفرقها على القواد، فحبس الكتب؛
وحمل كتابه فأقرأه يوسف بن عمر، فتحير في أمره، وقال: ما الرأي يا سليمان ؟ قال: ليس
لك إمامٌ تقاتل معه، ولا يقاتل أهل الشام معك، ولا آمن عليك منصوراً. وما الرأي إلا أن
تلحق بشامك.
قال: فكيف الحيلة ؟ قال: تظهر الطاعة ليزيد وتدعو له في خطبتك؛ فإذا قرب منصور
تستخفي عندي وتدعه والعمل.
ثم مضى سليمان إلى عمرو بن محمد بن سعيد بن العاص، فأخبره بالأمر، وسأله أن يؤوى
يوسف بن عمر عنده، ففعل، فانتقل يوسف إليه، فلم ير رجلٌ كان مثل عتوه خاف مثل
خوفه.
وقدم منصور الكوفة فحضهم وذم الوليد ويوسف، وقامت الخطباء فذموهما معه، فأتى
عمرو بن محمد إلى يوسف، فأخبره؛ فجعل لا يذكر له رجلا ممن ذكره بسوء إلا قال: لله
على أن أضربه كذا وكذا سوطاً؛ فجعل عمرو يتعجب من طمعه في الولاية، وتهدده لناس.
وسار يوسف من الكوفة سراً إلى الشام، فنزل البلقاء، فلما بلغ خبره يزيد بن الوليد وجه
إليه خمسين فارساً، فعرض رجلٌ من بني نمير ليوسف، وقال: يا بن عمر، أنت والله مقتولٌ،
فأطعني وامتنع.
قال: لا، فدعني أقتلك أنا ولا تقتلك هذه اليمانية فتغيظنا بقتلك.
قال: مالي فيما عرضت خيار، فطلبه المسيرون إليه، فلم يروه، فتهددوا ابناً له، فقال لهم:
انطلق إلى مزرعة له، فساروا في طلبه، فلما أحس بهم هرب وترك نعليه، ففتشوا عليه
فوجدوه بين نسوةٍ قد ألقين عليه قطيفة خز وجلسن على حواشيها حاسرات، فجروا
برجله، وأخذوه، وأقبلوا به إلى يزيد، فوثب عليه بعض الحرس، فأخذ بلحيته ونتف
بعضها، وكان من أعظم الناس لحيةً، وأصغرهم قامةً.
فلما أدخل على يزيد قبض على لحية نفسه، وهي إلى سرته، وجعل يقول: يا أمير المؤمنين؛
نتفت والله لحيتي، حتى لم يبق فيها شعرة؛ فأمر به فحبس في الخضراء فأتاه إنسان فقال له:

أما تخاف أن يطلع عليك بعض من وترت فيلقى عليك حجراً فيقتلك ؟
قال: ما فطنت لهذا، فأرسل إلى يزيد يطلب منه أن يحول إلى حبس غير الخضراء، وإن
كان أضيق منه، فعجبوا من حمقه، فنقله وحبسه مع ابني الوليد، فبقي في الحبس ولاية يزيد
وشهرين وعشرة أيام من ولاية إبراهيم.
فلما قرب مروان من دمشق ولي يزيد بن خالد القسري مولىً لأبيه يقال له أبو الأسد قتلهم،
فقتل الحكم وعثمان ويوسف على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى.
وكان يوسف بن عمر يحمق، وفيه أشياء متباينة متناقضة؛ كان طويل الصلاة، ملازماً
للمسجد، ضابطاً لحشمه وأهله عن الناس، لين الكلام، متواضعاً، حسن المملكة كثير
التضرع والدعاء، فكان يصلي الصبح، ولا يكلم أحداً حتى يصلي الضحى، وهو فيما بين
ذلك يقرأ القرآن ويتضرع، وكان بصيراً بالشعر والأدب، وكان شديد العقوبة، مسرفاً في
ضرب الأبشار، وكان يأخذ الثوب الجيد فيمر ظفره عليه فإن تعلق به طاقه ضرب
صاحبه، وربما قطع يده.
حكى أنه أتى يوما بثوبٍ فقال لكاتبه: ما تقول في هذا الثوب ؟ قال: كان ينبغي أن تكون
بيوته أصغر مما هي. فقال للحائك: صدق يا بن اللخناء. فقال الحائك: نحن أعلم بهذا.
فقال لكاتبه: صدق يا بن اللخناء. فقال الكاتب: هذا يعمل في السنة ثوبا أو ثوبين وأنا يمر
على يدي في السنة مائة ثوب مثل هذا. فقال للحائك: صدق يا بن اللخناء، فلم يزل يكذب
هذا مرةً، وهذا مرةً حتى عد أبيات الثوب، فوجدها تنقص بيتاً من أحد جانبي الثوب،
فضرب الحائك مائة سوط.
وقيل: إنه أراد السفر فدعا جواريه، فقال لإحداهن: تخرجين معي ؟ قالت: نعم. قال: يا
خبيثة. كل هذا من حب النكاح، يا خادم، اضرب رأسها. وقال لأخرى: ما تقولين ؟
فقالت: أقيم على ولدي. فقال: يا خبيثة، كل هذا زهادة في، اضرب رأسها. وقال لثالثةٍ:
ما تقولين ؟ قالت: لا أدري ما أقول، إن قلت ما قالت إحداهما لم آمن عقوبتك. فقال: يا
لخناء وتناقضين وتحتجين، اضرب رأسها.

وكان قصيراً، فكان يحضر الثوب الطويل ليفصله ليلبسه، فإن قال له الخياط: إنه يفضل منه
ضرب رأسه، وإن قال: لا يكفي إلا بعد التصرف في التفصيل سره ذلك، فكانوا يفصلون له
ويأخذون ما بقي. وكان له في ذلك أشياء كثيرة.
فلنرجع إلى أخبار منصور بن جمهور.
قال: وكان دخول منصور الكوفة لأيامٍ خلت من شهر رجب سنة 1ست وعشرين ومائة،
فأخذ بيوت الأموال، وأخرج العطاء والأرزاق، وأطلق من كان في السجون من العمال وأهل
الخراج، وبايع ليزيد بالعراق، وأقام بقية رجب وشعبان ورمضان، وانصرف لأيامٍ بقين منه.
وامتنع نصر بن سيار بخراسان من تسليم عمله لعامل منصور، فإن يزيد كان قد ضم
خراسان لمنصور مع العراق.
ذكر عزل منصور بن جمهور عن العراق وولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز
وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد منصور بن جمهور عن العراق، واستعمل عبد الله بن
عمر بن عبد العزيز: وقال له: سر إلى العراق فإن أهله يميلون إلى أبيك. وخاف ألا يسلم
إليه المنصور العمل، فانقاد له أهل الشام، وسلم إليه منصورٌ الولاية، وانصرف إلى الشام،
ففرق عبد الله العمال، وأعطى الناس أرزاقهم وأعطياتهم، فنازعه قواد أهل الشام، وقالوا:
تقسم على هؤلاء فيئنا، وهم عدونا ! فقال لأهل العراق: إني أريد أن أرد عليكم فيئكم،
وعلمت أنكم أحق به، فنازعني هؤلاء.
فاجتمع أهل الكوفة بالجبانة، فأرسل إليهم أهل الشام يعتذرون، وثار غوغاء الناس في
الفريقين، فأصيب منهم رهطٌ لم يعرفوا، واستعمل عبد الله بن عمر على شرطته عمر بن
الغضبان ابن القبعثري، وعلى خراج السواد والمحاسبات أيضاً.
الاختلاف بين أهل خراسان
وفي سنة 1ست وعشرين ومائة وقع الاختلاف بخراسان بين النزارية واليمانية، وأظهر
الكرماني الخلاف لنصر بن سيار.
وكان سبب ذلك أن نصراً رأى الفتنة قد ثارت، فرفع حاصل بيت المال، وأعطى الناس
بعض أعطياتهم ورقاً وذهباً، من أوان كان اتخذها للوليد بن يزيد، فطلب الناس منه

العطاء، وهو يخطب؛ فقال نصر: إياي والمعصية، عليكم بالطاعة والجماعة. فوثب أهل
السوق إلى أسواقهم، فغضب نصر، وقال: مالكم عندي عطاء ثم قال: كأني بكم وقد نبع
من تحت أرجلكم شرٌ لا يطاق، وكأني بكم مطرحين في الأسواق كالجزر المنحورة، إنه لم
تطل ولاية رجل إلا ملوها، وأنتم يأهل خراسان مسلحةٌ في نحور العدو، فإياكم أن يختلف
فيكم سيفان؛ إنكم تريشون أمرا وتريدون به الفتنة، ولا أبقى الله عليكم، لقد نشرتكم
وطويتكم، فما عندي منك عشرة. فاتقوا الله، فوالله لئن اختلف فيكم سيفان ليتمنين
أحدكم أنه ينخلع من ماله وولده. يأهل خراسان، إنكم قد غمطتم الجماعة، وركنتم إلى
الفرقة.
ثم تمثل بقول النابغة:
إن يغلب شقاؤكمو عليكم		فإنيّ في صلاحكموا سعيت
وقدم على نصر عهده على خراسان من قبل عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز؛ فقال
الكرماني لأصحابه: الناس في فتنة فانظروا لأموركم رجلا.
والكرماني اسمه جديع بن علي الأرذي، وإنما سمى الكرماني لأنه ولد بكرمان، فقالوا له:
أنت لنا. وقالت المضرية لنصر: إن الكرماني يفسد عليك الأمور، فأرسل إليه فاقتله أو
احبسه.
قال: لا، ولكن لي أولاد ذكور وإناث، فأزوج بني من بناته، وبناتي من بنيه.
قالوا: لا. قال: فأبعث إليه بمائة ألف درهم، وهو بخيل، فلا يعطى أصحابه شيئاً منها،
فيتفرقون عنه. قالوا: لا، هذه قوةٌ له، ولم يزالوا به حتى قالوا له: إن الكرماني لو لم يقدر على
السلطنة والملك إلا بالنصرانية واليهودية لتنصر وتهود.
وكان نصرٌ والكرماني متصافيين، وكان الكرماني قد أحسن إلى نصر في ولاية أسد بن عبد
الله القسري. فلما ولي نصر عزل الكرماني عن الرياسة وولاها غيره، فتباعد ما بينهما،
فلما أكثروا على نصر في أمره عزم على حبسه، فأرسل صاحب حرسه ليأتيه به، فأرادت
الأزد أن تخلصه من يده، فمنعهم من ذلك، وسار مع صاحب الحرس وهو يضحك.
فلما دخل على نصر قال له: يا كرماني، ألم يأتني كتاب يوسف ابن عمر بقتلك فراجعت

وقلت: شيخ خراسان وفارسها، فحقنت دمك ؟ قال: بلى. قال: ألم أغرم عنك ما كان
لزمك من الغرم، وقسمته في أعطيات الناس ؟ قال: بلى. قال: ألم أرؤس ابنك علياً على
كرهٍ من قومك ؟ قال: بلى. قال: فبدلت ذلك إجماعا على الفتنة.
قال الكرماني: لم يقل الأمير شيئاً إلا وقد كان أكثر منه، وأنا لذلك شاكر، وقد كان مني أيام
أسد ما قد علمت، ولست أحب الفتنة.
قال سلم بن أحوز: اضرب عنقه أيها الأمير، وأشار غيره بذلك، فقام المقدام وقد امة ابنا
عبد الرحمن بن نعيم العامري: لجلساء فرعون خيرٌ منكم؛ إذ قالوا: أرجه وأخاه والله لا
يقتل الكرماني بقولكم، فأمر نصر بحبسه في القهندز. فحبس وذلك لثلاث بقين من شهر
رمضان، فتكلمت الأزد فقال نصر: إني حلفت أن أحبسه، ولا يناله مني سوءٌ، فإن
خشيتم عليه فاختاروا رجلا يكون معه فاختاروا يزيد النحوى، فكان معه؛ فجاء رجل
من أهل نسف، فقال لآل الكرماني: ما تجعلون لي إن أخرجته ؟ قالوا: كل ما سالت، فأتى
مجرى الماء في القهندز فوسعه، وقال لولد الكرماني: اكتبوا لأبيكم يستعد الليلة للخروج.
فكتبوا إليه، وأدخلوا الكتاب في الطعام، فتعشى الكرماني، ويزيد النحوي، وحصين بن
حكيم؛ وخرجا من عنده.
ودخل الكرماني السرب، فانطوت على بطنه حيةٌ فلم تضره؛ وخرج من السرب، وركب
فرسه البشير، والقيد في رجله، فأتوا به عبد الملك بن حرملة فأطلق عنه القيد.
وقيل: إن الذي خلص الكرماني مولى له رأى خرقاً فوسعه وأخرجه منه، فلم يصل الصبح
حتى اجتمع معه زهاء ألف، ولم يرتفع النهار حتى بلغوا ثلاثة آلاف.
وكانت الأزد قد بايعوا عبد الملك بن حرملة. فلما خرج الكرماني قدمه عبد الملك.
قال: ولما خرج الكرماني عسكر نصرٌ بباب مرو الروذ، وخطب الناس، فنال من الكرماني،
ثم ذكر الأزد، فقال: إن يستوسقوا فهم أذل قومٍ، وإن يأبوا فهم كما قال الأخطل:
ضفادع في ظلماء ليلٍ تجاوبت فدلّ عليها صوتها حيّة البحر

ثم ندم على ما فرط منه، فقال: اذكروا الله؛ فإنه خيرٌ لا شر فيه.
واجتمع إلى نصر بشرٌ كثير، فسفر الناس بينه وبين الكرماني، وسألوا نصراً أن يؤمنه، ولا
يحبسه؛ وجاء الكرماني، فوضع يده في يد نصر، فأمره بلزوم بيته، ثم بلغ الكرماني عن نصر
شيء، فخرج إلى قريةٍ له، وخرج نصرٌ فعسكر بباب مرو، فكلموه فيه، فأمنه.
فلما عزل ابن جمهور عن العراق وولى عبد الله بن عمر في شوال من السنة خطب نصر،
وذكره، وقال: قد علمت أنه لم يكن من عمال العراق، وقد عزله الله، واستعمل الطيب ابن
الطيب.
فغضب الكرماني لابن جمهور، وعاد في جمع الرجال واتخاذ السلاح؛ فكان يحضر الجمعة
في ألف وخمسمائة فيصلي خارج المقصورة، ثم يدخل فيسلم على نصر، ولا يجلس، ثم ترك
إتيان نصر وأظهر الخلاف؛ فأرسل إليه مع سلم بن أحوز، يقول: إني والله ما أردت بحبسك
سوءاً، ولكن خفت فساد أمر الناس فأتني. فقال: لولا أنك في منزلي لقتلتك، ارجع إلى ابن
الأقطع، فأبلغه ما شئت من خير أو شر.
فرجع إلى نصر فأخبره، فلم يزل يرسل إليه مرةً بعد أخرى، فكان آخر ما قال له الكرماني:
إني لا آمن أن يحملك قوم على غير ما تريد، فتركب منا ما لا بقية بعده، فإن شئت
خرجت عنك لا من هيبةٍ لك، ولكن أكره سفك الدماء، فتهيأ للخروج إلى جرجان؛ ثم
كان من أمر الكرماني ما نذكره إن شاء الله تعالى.
حرب أهل اليمامة
وعاملهم
قال: لما قتل الوليد بن يزيد كان على اليمامة علي بن المهاجر، استعمله عليها يوسف بن
عمر، فقال له المهير بن سلمى بن هلال أحد بني الدؤل بن حنيفة: اترك لنا بلادنا، فأبى؛
فجمع له المهير، وسار إليه، وهو بقصره في قاع هجر، فالتقوا بالقاع، فانهزم علي حتى دخل
قصره، ثم هرب إلى المدينة، وقتل المهير ناساً من أصحابه، وتأمر المهير على اليمامة، ثم إنه
مات، واستخلف على اليمامة عبد الله بن النعمان أحد بني قيس بن ثعلبة بن الدؤل،

فاستعمل عبد الله بن النعمان المندلث بن إدريس الحنفي على الفلج - وهي قرية من قرى
بني عامر بن صعصعة، فجمع له بنو كعب ابن ربيعة بن عامر ومعهم بنو عقيل، فأتوا الفلج،
فلقيهم المندلث، وقاتلهم، فقتل المندلث وأكثر أصحابه، ولم يقتل من بني عامر كثير، وقتل
يومئذ يزيد ابن الطثرية وهي أمه، تنسب إلى طثر بن عنز بن وائل، وهو يزيد بن المنتشر.
فلما بلغ عبد الله بن النعمان قتل المندلث جمع ألفاً من حنيفة وغيرها، وغزا الفلج.
فلما تصاف الناس انهزم أبو لطيفة بن مسلم العقيلي، وطارق ابن عبد الله القشيري،
والجعونيان، وتجللت بنو جعدة البراذع، وولوا، فقتل أكثرهم، وقطعت يد زياد بن حيان
الجعدي؛ ثم قتل.
ثم إن بني عقيل وقشيرا وجعدة ونميرا تجمعوا وعليهم أبو سهلة النميري، فقتلوا من لقوا
من بني حنيفة بمعدن الصحراء، وسبوا نساءهم، وكفت بنو نمير عن النساء.
ثم إن عمر بن الوازع الحنفي لما رأى ما فعل عبد الله بن النعمان قال: لست بدون عبد
الله وغيره ممن يغير، وهذه فترةٌ يؤمن فيها عقوبة السلطان، فجمع خيله وبثها فأغارت وأغار
فملأ يده من الغنائم، وأقبل بمن معه حتى أتى النشاش، وأقبلت بنو عامر، وقد حشدت،
فلم يشعر عمر بن الوازع إلا برغاء الإبل، فجمع النساء في فسطاط، وجعل عليهن حرسا،
ولقي القوم فقاتلهم، فانهزم هو ومن معه، وهرب ابن الوازع، فلحق باليمامة، وكفت قيسٌ يوم
النشاش عن السلب، فجاءت عكل فسلبتهم.
وجمع عبيد الله بن مسلم الحنفي جمعاً، وأغار على ماءٍ لقشير يقال له حلبان، وأغار
على عكل فقتل منهم عشرين رجلا.
ثم قدم المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري والياً على اليمامة من قبل أبيه يزيد بن
عمر حين ولي العراق لمروان بن محمد، فوردها وهم سلم.
وسكنت البلاد؛ ولم يزل عبيد الله بن مسلم الحنفي مستخفياً حتى قدم السري بن عبد
الله الهاشمي والياً على اليمامة لبني العباس، فدل عليه فقتله.
وفي هذه السنة أمر يزيد بن الوليد بالبيعة بولاية العهد لأخيه إبراهيم، ومن بعده لعبد العزيز
بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان.

وفيها خالف مروان بن محمد يزيد بن الوليد وأظهر الخلاف، وتجهز للمسير إلى الشام،
وعرض جند الجزيرة في نيفٍ وعشرين ألفا، فكاتبه يزيد ليبايع له ويوليه ما كان عبد الملك
ولي أباه محمدا من الجزيرة وإرمينية والموصل وأذربيجان، فبايع له مروان، وأعطاه يزيد ولاية
ما شرطه له.
وفاة يزيد
بن الوليد بن عبد الملك
كانت وفاته بدمشق لعشر بقين من ذي الحجة سنة 1ست وعشرين ومائة؛ فكانت مدة
ولايته خمسة أشهر واثنين وعشرين يوما، وقيل ستة أشهر وليلتين، وقيل ستة أشهر؛ وكان
عمره ستا وأربعين سنة.
واختلف فيه إلى ثلاثين سنة.
وكان أسمر نحيف البدن، ربع القامة، خفيف العارضين، فصيحا شديد العجب.
وقيل في صفته: أسمر طويلا صغير الرأس جميلا.
وكان نقش خاتمه: يا يزيد، قم بالحق. وقيل: كان نقش خاتمه: العظمة لله.
وكان آخر ما تكلم به: واحسرتاه ! وا أسفاه ! وكان له عقب كثير.
كاتبه: ثابت بن سليمان.
قاضيه: عثمان بن عمر بن موسى بن معمر التميمي.
حاجبه: قطري مولاه. وقيل سلام.
الأمير بمصر: حفص بن الوليد، ولم يزل عليها إلى أن ولي مروان فاستعفى.
قاضيها: حسين بن نعيم.
ويزيد أول من خرج بالسلاح يوم العيد، خرج بين صفين عليهم السلاح. وقيل: إنه كان
قدريا. والله أعلم.
بيعة ابراهيم بن الوليد
هو أبو إسحاق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وأمه أم ولد اسمها نعمة، وقيل
خشف؛ وهو الثالث عشر من ملوك بني أمية، قام بالأمر بعد وفاة أخيه يزيد في ذي الحجة
سنة 1ست وعشرين ومائة، وكان يسلم عليه تارةً بالخلافة، وتارة بالإمارة، وتارة لا يسلم
عليه بواحدةٍ منهما؛ فمكث أربعة أشهر، وقيل سبعين يوما، ثم سار إليه مروان بن محمد،
فخلعه على ما نذكر ذلك إن شاء الله، ثم لم يزل حياً حتى أصيب في سنة 1اثنتين وثلاثين

ومائة.
تتمة حوادث سنة 1ست وعشرين ومائة:
فيها عزل يزيد بن الوليد يوسف بن محمد بن يوسف عن المدينة، واستعمل عبد العزيز بن
عمرو بن عثمان، فقدمها في ذي القعدة من السنة.
وحج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، وقيل عمر ابن عبد الله بن عبد الملك.
سنة 1سبع وعشرين ومائة:

خلع إبراهيم
بن الوليد وذكر مسير مروان بن محمد إلى الشام
في هذه السنة سار مروان بن محمد بن مروان إلى الشام لمحاربة إبراهيم بن الوليد، فانتهى
إلى قنسرين، وبها بشر ومسرورٌ، ابنا الوليد أرسلهما أخوه إبراهيم، فتصافوا، ودعاهم
مروان إلى بيعته فمال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسية، وأسلموا بشراً وأخاه
مسروراً، فحبسهما مروان، وسار معه أهل قنسرين إلى حمص، وكان أهل حمص قد
امتنعوا من بيعة إبراهيم وعبد العزيز، فوجه إليهم إبراهيم عبد العزيز في جند أهل
دمشق، فحاصرهم في مدينتهم، وأسرع مروان السير، فلما دنا من حمص رحل عبد العزيز
عنها، وخرج أهلها إلى مروان فبايعوه، وساروا معه، ووجه إبراهيم الجنود من دمشق مع
سليمان بن هشام في مائة وعشرين ألفا ومروان في ثمانين ألفا، فدعاهم مروان إلى الكف عن
قتاله وإطلاق الحكم وعثمان ابني الوليد من السجن، وضمن لهم أنه لا يطلب أحداً من قتلة
الوليد، فلم يجيبوه وجدوا في قتاله فاقتتلوا ما بين ارتفاع النهار إلى العصر، وكثر القتل بينهم،
وكان مروان ذا رأيٍ ومكيدةٍ، فأرسل ثلاثة آلاف فارس، وأمرهم أن يأتوا عسكر سليمان
من خلفه، ففعلوا ذلك، فلم يشعر سليمان إلا والقتل في أصحابه من ورائهم، فانهزموا،
ووضع أهل حمص السلاح فيهم لحنقهم عليهم، فقتلوا منهم سبعة عشر ألفا، وقيل ثمانية
عشر ألفا، وكف أهل الجزيرة وقنسرين عن قتالهم، وأتوا مروان من أسراهم بمثل القتلى،
فأخذ مروان عليهم البيعة لولدي الوليد، وخلى عنهم، وهرب يزيد ابن عبد الله بن خالد

القسري فيمن هرب إلى دمشق، فاجتمعوا مع إبراهيم وعبد العزيز، واتفقوا على قتل
الحكم وعثمان ولدي الوليد، فقتلا؛ وقتل معهما يوسف بن عمر، وأرادوا قتل محمد
السفياني، فدخل بيتاً من بيوت السجن وأغلقه، فلم يقدروا على فتحه، وأرادوا إحراقه،
فقيل لهم: قد دخلت خيل مروان المدينة، فهربوا، وهرب إبراهيم، واختفى، وانتهب
سليمان بن هشام ما في بيت المال، فقسمه في أصحابه، وخرج من المدينة، وعاش إلى سنة
1اثنتين وثلاثين ومائة، ثم قتله ابن عوف يوم الزاب.
وقيل: إنه غرق في ذلك اليوم.
وقيل: قتله مروان بن محمد وصلبه. وكان إبراهيم عاجزاً ضعيف الرأي، وكان خفيف
العارضين له ضفيرتان.
وكان نقش خاتمه: توكلت على الحي القيوم.
كاتبه: بكير بن السراج اللخمي.
قاضيه: عثمان بن عمر التميمي.
حاجبه: قطري مولى الوليد، ثم وردان مولاه. والله أعلم.
بيعة مروان بن محمد
هو أبو عبد الله مروان بن محمد بن الحكم بن أبي العاص، وأمه لبابة جارية إبراهيم بن
الأشتر، وكانت كردية، أخذها محمد من عسكر إبراهيم، فولدت له مروان وعبد العزيز،
ولقب بالجعدي لأن خاله الجعد بن درهم، فنسب إليه. ولقب أيضاً حمار الجزيرة.
بويع له في صفر في سنة 1سبع وعشرين ومائة، وكان سبب بيعته أنه لما دخل دمشق
وهرب إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام ثار من بدمشق من موالي الوليد بن يزيد بن
عبد الملك إلى دار عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، فقتلوه ونبشوا قبر يزيد بن الوليد،
وأخرجوه فصلبوه على باب الجابية، وأتى مروان بالغلامين، الحكم وعثمان مقتولين،
وبيوسف بن عمر، فدفنهم، وأتى بأبي محمد السفياني في قيوده، فسلم على مروان
بالخلافة، ومروان يومئذ يسلم عليه بالإمرة، فقال له مروان: مه. فقال: إنهما جعلاها لك
بعدهما، وأنشد شعراً قاله الحكم في السجن، وكانا قد بلغا وولد لأحدهما، وهو الحكم،
فقال:
ألا من مبلغٌ مروان عنّي وعمّى الغمر طال به حنينا

بأنّي قد ظلمت وصار قومي على قتل الوليد مشايعينا
أيذهب كلّهم بدمي ومالي فلا غثّاً أصبت ولا سمينا
ومروان بأرض بني نزار كليث الغاب مفترش عرينا
أتنكث بيعتي من أجل أمَّي فقد بايعتمو قبلي هجينا
فإن أهلك أنا ووليّ عهدي فمروانٌ أمير المؤمنينا
ثم قال: ابسط يدك أبايعك، وسمعه من مع مروان.
وكان أول من بايعه معاوية بن يزيد بن حصين بن نمير ورؤوس أهل حمص، والناس بعد.
فلما استقر له الأمر رجع إلى منزله بحران، وطلب منه الأمان لإبراهيم بن الوليد وسليمان
بن هشام فأمنهما فقدما عليه، وبايعاه.
وفي هذه السنة ظهر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة
ودعا إلى نفسه؛ وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله في أخبارهم.
الحارث بن سريج
وفي هذه السنة كان رجوع الحارث بن سريج إلى مرو؛ وكان قدومه في جمادى الآخرة سنة
1سبع وعشرين ومائة، وكان ببلاد الترك، وكان مقامه عندهم اثنتي عشرة سنة، وقد قدمنا
من أخباره طرفاً.
وكان سبب عوده أن الفتنة لما وقعت بخراسان بين نصر بن سيار والكرماني في سنة
1ست وعشرين في خلافة يزيد ابن الوليد كما ذكرنا - خاف نصرٌ قدوم الحارث عليه في
أصحابه، فأرسل مقاتل بن حيان النبطي وغيره ليردوه من بلاد الترك، وسار خالد بن زياد
البدي الترمذي وخالد بن عمرو مولى بني عامر إلى يزيد، فأخذوا للحارث منه أماناً فأمنه،
وأمر نصر بن سيار أن يرد عليه ما أخذ له، وأمر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بذلك،
فلما قدم تلقاه الناس بكشميهن، ولقيه نصرٌ وأنزله، وأجرى عليه كل يوم خمسين درهما،
فكان يقتصر على لون واحد، وأطلق نصر أهله وأولاده، وعرض عليه نصر أن يوليه ويعطيه
مائة ألف دينار، فلم يقبل.
وأرسل إلى نصر: إني لست من الدنيا واللذات في شيء، إنما أسأل كتاب الله والعمل
بالسنة واستعمال أهل الخير، فإن فعلت ساعدتك على عدوك.
وأرسل الحارث إلى الكرماني إذا أعطاني نصرٌ العمل بالكتاب وما سألته عضدته وقمت

بأمر الله، وإن لم يفعل أعنتك إن ضمنت لي القيام بالعدل والسنة.
ودعا بني تميم إلى نفسه، فأجابه منهم ومن غيرهم جمعٌ كثير، واجتمع إليه ثلاثة آلاف،
وقال لنصر: إنما خرجت من هذه البلدة منذ ثلاث عشرة سنة إنكاراً للجور وأنت تريدني
عليه.
انتقاض أهل حمص
وفي هذه السنة انتقض أهل حمص بعد عود مروان إلى حران بثلاثة أشهر، وكان الذي
دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم وراسل أهل حمص من بتدمر من كلب، فأتاهم الأصبغ بن
ذؤالة الكلبي وأولاده، ومعاوية السكسكي، وكان فارس أهل الشام وغيرهما في نحو ألفٍ من
فرسانهم، فدخلوا حمص ليلة الفطر، فجد مروان في السير إليهم ومعه إبراهيم بن الوليد
المخلوع، وسليمان ابن هشام، فبلغها بعد الفطر بيومين، وقد سد أهلها أبوابها، فأحدق
بالمدينة ووقف بإزاء بابٍ من أبوابها، فنادى مناديه: ما دعاكم إلى النكث ؟ قالوا: إنا
على طاعتك لم ننكث. قال: فافتحوا. ففتحوا الباب، فدخله عمرو بن الوضاح في
الوضاحية في نحو ثلاثة آلاف، فقاتلهم من بالبلد فكسرتهم خيل مروان، فخرج من بها من
باب تدمر، فقاتلهم من عليه من أصحاب مروان فقتل عامة من خرج منه، وأفلت الأصبغ
وابنه، وقتل مروان جماعةً من أشرافهم، وصلب خمسمائة من القتلى حول المدينة، وهدم
من سورها نحو غلوة. وقيل: كان ذلك سنة 1ثمان وعشرين ومائة. والله أعلم.
ذكر خلاف أهل الغوطة
وفي هذه السنة خالف أهل الغوطة وولوا عليهم يزيد بن خالد القسري وحصروا دمشق
وأميرها زامل بن عمرو، فوجه إليهم مروان من حمص أبا الورد بن الكوثر بن زفر بن
الحارث، وعمرو بن الوضاح في عشرة آلاف، فلما دنوا من المدينة حملوا عليهم، وخرج
عليهم من بالمدينة؛ فانهزموا، واستباح أصحاب مروان عسكرهم، وأحرقوا المزة وقرىً من
قرى اليمانية، وأخذ يزيد بن خالد فقتل، وبعث زامل بأسه إلى مروان بحمص.
خلاف أهل فلسطين

وفيها خرج ثابت بن نعيم بعد هؤلاء في أهل فلسطين، وأتى طبرية فحاصرها، وعليها
الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم، فقاتله أهلها أياماً، فكتب مروان بن محمد إلى أبي
الورد يأمره بالمسير إليهم، فسار فلما قرب منهم خرج أهل طبرية على ثابت فهزموه
واستباحوا عسكره، فانصرف إلى فلسطين منهزماً، فتبعه أبو الورد والتقوا واقتتلوا، فانهزم
ثانية وتفرق عنه أصحابه وأسر ثلاثةً من أولاده، وبعث بهم إلى مروان، وتغيب ثابت وولده
رفاعة.
واستعمل مروان على فلسطين الرماحس بن عبد العزيز الكناني، فظفر بثابت، فبعثه إلى
مروان موثقاً بعد شهرين، فأمر به وبأولاده الثلاثة، فقطعت أيديهم وأرجلهم، وحملوا إلى
دمشق، فألقوا على باب المسجد ثم صلبوا على أبواب دمشق؛ واستقام أمر الشام لمروان
إلا تدمر؛ فسار مروان إليها، فنزل القسطل، وبعث إليهم فأجابوه إلى الطاعة فبايعهم، وهدم
سور البلد.
وفيها بايع مروان لابنيه عبيد الله وعبد الله وزوجهما ابنتي هشام ابن عبد الملك، وجمع
لذلك بني أمية.
وسار مروان إلى الرصافة، وندب يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لقتال الضحاك
الخارجي، وأمر أهل الشام باللحاق به.
ولما سار مروان استأذنه سليمان بن هشام ليقيم أياماً ليقوى من معه وتستريح دوابهم،
فأذن له.
وتقدم مروان إلى قرقيسياء وبها ابن هبيرة ليقدمه إلى الضحاك، فرجع عشرة آلاف ممن
كان مروان أخذ من أهل الشام لقتال الضحاك، فأقاموا بالرصافة، ودعوا سليمان إلى خلع
مروان فأجابهم.

خلع مروان
بن محمد

وفي هذه السنة خلع سليمان بن هشام مروان، وذلك أنه لما استأذنه في المقام بعده، وأقام،
وقدم عليه الجنود الذين ذكرناهم حسنوا له خلع مروان وقالوا: أنت أرضى عند الناس،
وأولى من مروان بالخلافة؛ فأجابهم إلى ذلك، وسار بإخوته ومواليه، فعسكر بقنسرين،

وأتاه أهل الشام من كل مكان.
وبلغ الخبر مروان، فرجع إليه من قرقيسياء، وكتب إلى ابن هبيرة يأمره بالمقام؛ وكان أولاد
هشام وجماعةٌ من موالي سليمان بحصن الكامل، فمر عليهم مروان فتحصنوا منه، فأرسل
إليهم يحذرهم أن يتعرضوا لأحدٍ ممن يتبعه من جنده، فإن تعرضوا لأحدٍ فلا أمان لهم،
فأرسلوا إليه إنهم يكفون عنهم.
ومضى مروان فجعلوا يغيرون على من يتبعه، فاشتد غيظه عليهم.
قال: واجتمع إلى سليمان نحوٌ من سبعين ألفا من أهل الشام والذكوانية وغيرهم، وعسكر
بقرية خساف من أرض قنسرين.
وأتاه مروان والتقوا؛ واشتد القتال بينهم، فانهزم سليمان ومن معه، واتبعهم مروان،
فاستباح عسكره، وأمر مروان بقتل من يؤتى به من الأسرى إلا عبداً مملوكا، فأحصى من
قتلاهم يومئذ ما نيف على ثلاثين ألف قتيل. وقتل إبراهيم بن سليمان أكبر ولده، وخالد
ابن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك، وادعى كثيرٌ من الجند الأسرى أنهم
عبيد؛ فكف عن قتلهم، وأمر ببيعهم فيمن يزيد.
ومضى سليمان إلى حمص، وانضم إليه من أفلت ممن كان معه، فعسكر بها، وبنى ما كان
مروان هدمه من سورها؛ وسار مروان إلى حصن الكامل، فحصر من فيه، وأنزلهم على
حكمه، فمثل بهم، وأخذهم أهل الرقة فداووا جراحاتهم، فهلك بعضهم وكانت عدتهم
نحو ثلاثمائة.
ثم سار إلى سليمان، فقال بعضهم لبعض: حتى متى ننهزم من مروان، فتبايع تسعمائة من
فرسانهم على الموت، وساروا بأجمعهم مجمعين على أن يبيتوه إن أصابوا منه غرةً، وبلغه
خبرهم فتحرز منهم، فلم يمكنهم أن يبيتوه، وزحف على احتراز وتعبئة، فكمنوا في زيتون
في طريقه، فخرجوا عليه وهو يسير على تعبئته، فوضعوا السلاح فيمن معه، فنادى مروان
خيوله، فرجعت إليه، فقاتلوا من لدن ارتفاع النهار إلى بعد العصر، فانهزم أصحاب سليمان
وقتل منهم نحو ستة آلاف.
فلما بلغ سليمان هزيمتهم خلف أخاه سعيداً بحمص، ومضى هو إلى تدمر، فأقام بها،

ونزل مروان على حمص، فحاصر أهلها عشرة أشهر، ونصب عليهم نيفاً وثمانين منجنيقاً
يرمى بها الليل والنهار، وهم يخرجون إليه في كل يوم فيقاتلونه.
فلما تتابع عليهم البلاء طلبوا الأمان على أن يمكنوه من سعيد ابن هشام وابنيه: عثمان
ومروان، ومن رجل كان يسمى السكسكي، كان يغير على عسكره، ومن رجلٍ حبشي
كان يشتم مروان، فأجابهم إلى ذلك، واستوثق من سعيد وابنيه، وقتل السكسكي، وسلم
الحبشي إلى بني سليم، لأنه كان يخصهم بالسب، فقطعوا ذكره وأنفه ومثلوا به.
ولما فرغ مروان من حمص سار نحو الضحاك الخارجي.
وقيل: إن سليمان لما انهزم بخساف أقبل هاربا حتى التحق بعبد الله ابن عمر بن عبد
العزيز بالعراق، فخرج معه إلى الضحاك، فقال بعض شعرائهم:
ألم تر أنّ الله أظهر دينه وصلّت قريش خلف بكر بن وائل خروج الضحاك
محكما وما كان من أمره إلى أن قتل
وفي سنة 1سبع وعشرين ومائة خرج الضحاك بن قيس الشيباني محكما ودخل الكوفة.
وكان سبب ذلك أن الوليد لما قتل خرج بالجزيرة حروري يقال له سعيد بن بهدل الشيباني
في مائتين من أهل الجزيرة، فاغتنم سعيد قتل الوليد واشتغال مروان بالشام فخرج بأرض كفر
توثا، وخرج بسطام البيهسي، وهو مخالفٌ لرأيه في مثل عدتهم من ربيعة، فسار كل واحدٍ
منهما إلى صاحبه.
فلما تقاربا أرسل سعيدٌ أحد قواده في مائة وخمسين، فقتلوا بسطاما ومن معه إلا أربعة
عشر رجلا. ثم مضى سعيد نحو العراق فمات في الطريق، واستخلف الضحاك بن قيس،
فأتى أرض الموصل ثم شهرزور، فاجتمعت عليه الصفرية حتى صار في أربعة آلاف، وهلك
يزيد بن الوليد وعامله على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ومروان بالجزيرة. فكتب
مروان إلى النضر بن سعيد الحرشي - وهو أحد قواد ابن عمر بولاية العراق - فلم يسلم
ابن عمر إليه العمل، فشخص النضر إلى الكوفة وبقي عبد الله بالحية، وتحاربا أربعة
أشهر.

فلما سمع الضحاك باختلافهم أقبل نحوهم، وقصد العراق سنة 1سبع وعشرين، فأرسل
ابن عمر إلى النضر في الاجتماع عليه، فتعاقدا واجتمعا بالكوفة؛ وكان كلٌ منهما يصلى
بأصحابه.
وأقبل الضحاك فنزل بالنخيلة في شهر رجب سنة 1سبع وعشرين ومائة، والتقوا، واقتتلوا
قتالاً شديدا، فكشفوا ابن عمر، وقتلوا أخاه عاصما وجعفر بن العباس الكندي، ودخل
ابن عمر خندقه، وبقي الخوارج عليهم إلى الليل ثم انصرفوا؛ وذلك في يوم الخميس ثم اقتتلوا
يوم الجمعة، فانهزم أصحاب ابن عمر.
فلما كان يوم السبت تسللوا إلى واسط، فلحق بها وجوه الناس، فرحل عند ذلك ابن عمر
إليها، فلم يأمنه عبيد الله بن العباس الكندي على نفسه، فسار مع الضحاك وبايعه.
ولما نزل ابن عمر إلى واسط نزل بدار الحجاج بن يوسف، وعادت الحرب بينه وبين النضر
إلى ما كانت عليه، وسار الضحاك من الكوفة إلى واسط، ونزل باب المضمار، فترك ابن
عمر والنضر الحرب بينهما، واتفقا على قتال الضحاك، فلم يزالوا على ذلك شعبان
ورمضان وشوال، والقتال بينهم متواصلٌ. ثم صالحه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز
وسليمان بن هشام، وبايعاه، ودفعاه إلى مروان.
قال: وكاتب أهل الموصل الضحاك في القدوم ليمكنوه من البلد، فسار إلى الموصل ففتح
أهلها له أبوابها، فدخلها، واستولى عليها وعلى كورها، وذلك في سنة 1ثمان وعشين، فبلغ
مروان خبره وهو يحاصر حمص، فكتب إلى ابنه عبد الله - وهو خليفته بالجزيرة - أن
يسير إلى نصيبين، ويمنع الضحاك من توسط الجزيرة؛ فسار إليها في سبعة آلاف أو ثمانية
آلاف، وسار إليه الضحاك، فحصر عبد الله بن مروان بنصيبين، وكان مع الضحاك ما يزيد
على مائة ألف.
ثم سار مروان إليه، والتقوا بنواحي كفر توثا من أعمال ماردين، فقاتله يومه أجمع، فقتل
الضحاك ولم يعلم به مروان ولا أصحابه؛ ثم بلغ مروان قتله، فاستخرجه من بيت القتلى وفي
وجهه ورأسه أكثر من عشرين ضربة.
وبعث مروان رأسه إلى مدائن الجزيرة.

وقيل: إن قتله كان في سنة 1تسع وعشين ومائة والله أعلم.
وحيث ذكرنا أخبار الضحاك فلنذكر أخبار من خرج بعده في أيام مروان:
الخيبري الخارجي
وقتله وقيام شيبان
قال: ولما قتل الضحاك أصبح أهل عسكره فبايعوا الخيبري؛ وكان سليمان بن هشام معه،
وأصبحوا واقتتلوا، فحمل الخيبري على مروان في نحو أربعمائة فارس من أهل الشراة، فهزم
مروان وهو في القلب، وخرج من العسكر منهزماً، ودخل الخيبري ومن معه عسكر مروان
ينادون بشعارهم ويقتلون من أدركوه، حتى انتهوا إلى خيم مروان، فدخلها الخيبري وجلس
على فرش مروان، هذا وميمنة مروان ثابتة، وعليها ابنه عبد الله؛ وميسرته ثابتة وعليها
إسحاق بن مسلم العقيلي.
فلما رأى أهل العسكر قلة من مع الخيبري ثار إليه عبيدهم بعمد الخيم، فقتلوا الخيبري
وأصحابه جميعاً في خيم مروان وحولها، وبلغ مروان الخبر، وقد صار بينه وبين العسكر
خمسة أميال أو ستة منهزما، فانصرف إلى عسكره، وبات ليلته تلك، وانصرف الخوارج
فولوا عليهم شيبان.
أخبار شيبان الحروري
وما كان من أمره إلى أن قتل
هو شيبان بن عبد العزيز أبو الدلفاء اليشكري.
قال: ولما بايعوه بعد قتل الخيبري أقام يقاتل مروان، وتفرق عنه كثير من أصحابه، فبقي في
نحو أربعين ألفا، فأشار عليهم سليمان بن هشام أن ينصرفوا إلى الموصل فيجعلوها
ظهرهم.
فارتحلوا وتبعهم مروان حتى انتهوا إلى الموصل فعسكروا شرقي دجلة، وعقدوا عليها
جسراً، وخندق مروان بإزائهم، وأهل الموصل يقاتلون مع الخوارج، فأقام مروان ستة أشهرٍ
يقاتلهم، وقيل تسعة أشهر.
وكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من قرقيسيا، بجميع من معه إلى
العراق وعلى الكوفة المثنى ابن عمران العائذي، وهو خليفة الخوارج بالعراق، فلقي ابن
هبيرة بعين التمر، فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزمت الخوارج، ثم تجمعوا بالكوفة بالنخيلة

فهزمهم ابن هبيرة، ثم اجتمعوا بالصراة، فأرسل إليهم شيبان عبيد بن سوارفي خيلٍ
عظيمةٍ، فالتقوا بالصراة، فانهزمت الخوارج، وقتل عبيدة ولم يبق لهم بقيةٌ بالعراق، واستولى
ابن هبيرة على العراق، وسار إلى واسط، وأخذ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وحبسه،
ووجه نباتة بن حنظلة إلى سليمان بن حبيب وهو على كور الأهواز، فأرسل سليمان إلى
نباتة داود بن حاتم، فالتقوا على شاطيء دجيل؛ فانهزم الناس، وقتل داود بن حاتم.
وكتب مروان إلى ابن هبيرة لما استولى على العراق يأمره بإرسال عامر بن ضبارة المرى
إليه، فسيره في سبعة آلاف أو ثمانية، فبلغ شيبان خبره، فأرسل الجون بن كلاب الخارجي
في جمع، فالتقوا فهزم عامرٌ؛ فأمده مروان بالجنود، فقاتل الخوارج فهزمهم؛ وقتل الجون، وسار
إلى الموصل، فلما بلغ شيبان قتل الجون ومسير عامر نحوه كره أن يقيم بين العسكرين،
فارتحل بمن معه، وقدم عامر على مروان بالموصل فسيره في جمعٍ كثير في أثر شيبان، وأمره
ألا يبدأه بقتالٍ، فإن قاتله شيبان قاتله، وإن أمسك عنه أمسك، فكان كذلك، حتى مر
على الجبل، وخرج على بيضاء فارس، وبها عبد الله بن معاوية بن جعفر، وسار إلى نحو
كرمان، فأدركه عامرٌ، فالتقوا واقتتلوا، وانهزم شيبان إلى سجستان فهلك بها، وذلك في
سنة 1ثلاثين ومائة.
وقيل: بل كان قتال شيبان ومروان على الموصل نحو شهر، ثم انهزم شيبان حتى لحق
بفارس، وعامرٌ يتبعه، وسار إلى جزيرة ابن كاوان، ثم إلى عمان فقتله جلندي بن مسعود
بن جيفر ابن جلندي الأزدي سنة 1أربع وثلاثين ومائة، وسنذكره إن شاء الله في أخبار
الدولة العباسية.
فلنرجع إلى تتمة حوادث سنة 1سبع وعشرين مائة وما بعدها.
فيها كان من أخبار الأندلس وشيعة بني العباس ما نذكره إن شاء الله في مواضعه.
وحج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامل مروان على مكة والمدينة
والطائف، وكان العامل على العراق النضر ابن سعيد الحرشي، وكان من أمره وأمر ابن عمر

والضحاك ما قدمنا ذكره. وكان بخراسان نصر بن سيار والكرماني، والحارث ابن سريج
ينازعانه.
وفيها مات سويد بن غفلة، وقيل سنة إحدى وثلاثين. وقيل سنة اثنتين وثلاثين، وعمره
مائة وعشرون سنة. والله تعالى أعلم.
سنة 1ثمان وعشرين ومائة:
مقتل الحارث
بن سريج وغلبة الكرماني على مرو
وفي هذه السنة كان مقتل الحارث بن سريج وغلبة الكرماني على مرو.
وكان سبب ذلك أن ابن هبيرة لما ولي العراق كتب إلى نصر ابن سيار بعهد خراسان،
فبايع لمروان بن محمد، فقال الحارث: إنما أمنني يزيد ولم يؤمني مروان، ولا يجيز مروان أمان
يزيد، فلا آمنه. فخالف نصراً فأرسل إليه نصر يدعوه إلى الجماعة وينهاه عن الفرقة، فلم
يجبه إلى ذلك، وخرج فعسكر وأرسل إلى نصر: أن اجعل الأمر شورى، فأبى نصر، وأمر
الحارث جهم ابن صفوان رأس الجهمية، وهو مولى راسب، أن يقرأ سيرته وما يدعو إليه
على الناس، ففعل، فلما سمعوا ذلك كثروا وكثر جمعه.
وكان الحارث يظهر أنه صاحب الرايات السود، فأرسل إليه نصر إن كنت كما تزعم وإنكم
تهدمون سور دمشق، وتزيلون ملك بني أمية فخذ مني خمسمائة رأس ومائتي بعير، واحتمل
من الأموال ما شئت وآلة الحرب، وسر، فلعمري إن كنت صاحب ما ذكرت إني لفي يدك،
وإن كنت لست ذاك فقد أهلكت عشيرتك؛ ثم عرض عليه نصر أن يوليه ما وراء النهر
ويعطيه ثلاثمائة ألف، فلم يقبل. فقال له نصر: فابدأ بالكرماني فإن قتلته فأنا في طاعتك، فلم
يقبل.
وأمر الحارث أن تقرأ سيرته في الأسواق والمسجد وعلى باب نصر، فقرئت، فأتاه خلق
كثير، وقرأها رجلٌ على باب نصر، فضربه غلمان نصر، فنابذهم الحارث وتجهز للحرب،
ودله رجلٌ من أهل مرو على نقب في سورها، فمضى إليه الحارث فنقبه، ودخل المدينة من
ناحية باب بالين. فقاتله جهم بن مسعود الناجي، فقتل جهم، وانتهبوا منزل سلم بن أحوز،

وقتل من كان بحرس باب بالين وذلك لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة يوم الاثنين.
وركب الحارث في سكة السغد، فرأى أعين مولى حيان فقاتله، فقتل أعين، وركب سلم
حين أصبح، وأمر مناديا فنادى: من جاء برأسٍ فله ثلاثمائة. فلم تطلع الشمس حتى انهزم
الحارث بعد أن قاتلهم الليل كله.
وأتى سلم عسكر الحارث فقتل كاتبه يزيد بن داود، وقتل الرجل الذي دل الحارث على
النقب، وأرسل نصل إلى الكرماني فأتاه علىعهد، وعنده جماعةٌ، فوقع بين سلم بن أحوز
والمقدام بن نعيم كلامٌ، فأغلظ كل واحدٍ منهما لصاحبه، وأعان كل واحدٍ منهما نفرٌ من
الحاضرين؛ فخاف الكرماني أن يكون مكراً من نصر، فقام وتعلقوا به، فلم يجلس، وركب
فرسه، ورجع، وقال: أراد نصرٌ الغدر بي.
وأسر يومئذ جهم بن صفوان وكان مع الكرماني فقتل، وأرسل الحارث ابنه حاتما إلى
الكرماني، فقال له محمد بن المثنى: هما عدواك، دعهما يضطربان.
فلما كان الغد ركب الكرماني فقاتل أصحاب نصر، ووجه أصحابه يوم الأربعاء إلى نصر،
فتراموا ثم تحاجزوا ولم يكن بينهم يوم الخميس قتالٌ. والتقوا يوم الجمعة فانهزمت الأزد حتى
وصلوا إلى الكرماني، فأخذ اللواء بيده، فقاتل به فانهزم أصحاب نصر، وأخذوا لهم ثمانين
فرسا، وصرع تميم بن نصر، وسقط سلم ابن أحوز فحمل إلى عسكر نصر.
فلما كان الليل خرج نصرٌ من مرو، وقتل عصمة بن عبد الله الأسدي، وكان يحمي
أصحاب نصر، واقتتلوا ثلاثة أيام، فانهزم أصحاب الكرماني في آخر يوم وهم الأزد وربيعة،
فنادى الخليل بن غزوان: يا معشر ربيعة واليمن ! فدخل الحارث السوق ففت في أعضاد
المضرية، وهم أصحاب نصر، فانهزموا وترجل تميم بن نصر فقاتل. فلما هزمت اليمانية
مضر أرسل الحارث إلى نصر: إن اليمانية يعيرونني بانهزامكم، وأنا كافٌ. فاجعل حماة
أصحابك بإزاء الكرماني. فأخذ عليه نصرٌ العهود بذلك، وقدم على نصر عبد الحكم ابن
سعيد العوذي وأبو جعفر عيسى بن جرز من مكة: والعوذ: بطنٌ من الأزد، فقال أبو جعفر

لنصر: أيها الأمير، حسبك من الولاية وهذه الأمور، فقد أظلك أمرٌ عظيم، سيقوم رجلٌ
مجهول النسب يظهر السواد، ويدعو إلى دولة تكون فيغلب على الأمر، وأنتم تنظرون.
فقال نصر: ما أشبه أن يكون كما تقول لقلة الوفاء وسوء ذات البين.
فقال: إن الحارث مقتولٌ مصلوب، وما الكرماني من ذلك ببعيد.
قال: ولما خرج نصر من مرو وغلب عليها الكرماني خطب الناس فأمنهم ثم هدم الدور
ونهب الموال، فأنكر الحارث عليه ذلك، فهم الكرماني به، ثم تركه، واعتزل بشر بن جرموز
الضبي في خمسة آلاف، وقال الحارث: إنما قاتلت معك طلباً للعدل، فأما إذ تتبع الكرماني
فما تقاتل إلا ليقال غلب الحارث، وهؤلاء يقاتلون عصبية؛ فلست مقاتلا معك، فنحن الفئة
العادلة، لا نقاتل إلا من قاتلنا، وأتى الحارث مسجد عياض، وأرسل إلى الكرماني يدعوه إلى
أن يكون الأمر شورى، فأبى الكرماني، فانتقل الحارث عنه، وأقاموا أياما.
ثم إن الحارث أتى السور فثلم فيه ثلمة، ودخل البلد، وأتى الكرماني، فاقتتلوا، فانهزم
أصحاب الحارث وقتلوا ما بين الثلمة وعسكرهم، والحارث على بغل، فنزل عنه وركب
فرسا، وبقي في مائة، فقتل عند شجرة زيتون أو غبيراء، وقتل أخوه سوادة وغيرهما.
وقيل: كان سبب قتله أن الكرماني خرج إلى بشر بن جرموز عند اعتزاله، ومعه الحارث،
فأقام أياما بينه وبين عسكر بشر فرسخان، ثم قرب منه ليقاتله، فندم الحارث على اتباع
الكرماني وقال: لا تعجل إلى قتالهم فأنا أردهم عليك.
فخرج في عشرة فوارس فأتى عسكر بشر، فأقام معهم، وخرج المضرية أصحاب الحارث
إليه، فلم يبق مع الكرماني مضري غير سلمة بن أبي عبد الله، فإنه قال: لم أر الحارث إلا
غادراً، وغير المهلب بن إياس، فقاتلهم الكرماني مرارا يقتتلون ثم يرجعون إلى خنادقهم مرةً
لهؤلاء ومرةً لهؤلاء.
ثم ارتحل الحارث بعد أيام، فنقب سور مرو ودخلها، وتبعه الكرماني، فدخلها أيضا،
فقالت المضرية للحارث: قد فررت غير مرةٍ، فترجل، فقال: أنا لكم فارساً خيرٌ مني لكم

راجلاً. فقالوا: لا نرضى إلا أن تترجل، فترجل، فاقتتلوا هم والكرماني، فقتل الحارث
وأخواه وبشر بن جرموز، وعدةٌ من فرسان تميم، وانهزم الباقون، وصفت مرو للكرماني
واليمن، فهدموا دور المضرية، فقال نصر ابن سيار للحارث حين قتل:
يا مدخل الذلّ على قومه بعداً وسحقاً لك من هالك
شؤمك أردى مضراً كلَّها وعضّ من قومك بالحارك
ما كانت الأزد وأشياعها تطمع في عمرو ولا مالك
ولا بني سعدٍ إذا ألجموا كلّ طمرٍّ لونه حالك
وفي هذه السنة كان اجتماع أبي حمزة الخارجي وعبد الله بن يحيى المعروف بطالب
الحق، واتفقا على الخروج على ما نذكره إن شاء الله تعالى.
وحج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامل مكة والمدينة، وكان بالعراق
عمال الضحاك الخارجي وعبد الله بن عمر ابن عبد العزيز، وبخراسان نصر بن سيار
والفتنة قائمةٌ.
سنة 1تسع وعشرين ومائة:
مقتل الكرماني
وهو جديع بن علي الأزدي
قال: ولما خلصت مرو للكرماني وتنحى نصرٌ عنها أرسل نصرٌ أصحابه لقتاله مراراً، كل
ذلك والظفر لأصحاب الكرماني، ثم خرجوا جميعاً واقتتلوا قتالاً شديداً، وذلك بعد ظهور
أمر أبي مسلم الخراساني ودعوته لبني العباس، فكتب أبو مسلم إلى نصر والكرماني: إن
الإمام أوصاني بكما. ثم أقبل بمن معه حتى نزل خندقيهما، فهابه الفريقان. وبعث إلى
الكرماني: إني معك. فقبل ذلك، وانضم أبو مسلم إليه، فاشتد ذلك على نصر، وأرسل إلى
الكرماني يخوفه من أبي مسلم، ويقول له: ادخل إلى مرو، واكتب بيننا كتاباً بالصلح، وهو
يريد أن يفرق بينهما، فدخل الكرماني منزله، وأقام أبو مسلم في العسكر، وخرج الكرماني
حتى وقف في الرحبة في مائة فارس، وأرسل إلى نصر أن اخرج لنكتب الكتاب.
فلما نظر نضرٌ إلى غرة الكرماني أرسل إليه ثلاثمائة فارس، فاقتتلوا قتالاً شديداً فطعن
الكرماني في خاصرته، فخر عن دابته، وحماه أصحابه حتى جاءهم مالا قبل لهم به. فقتل
نصر الكرماني وصلبه، وصلب معه سمكة.

فأقبل ابنه عليٌ وقد جمع جمعاً كثيرا، وانضم إلى أبي مسلم، وقاتلوا نصر بن سيار حتى
أخرجوه من دار الإمارة. ودخل أبو مسلم مرو على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار
الدولة العباسية.
قال: ولما رأى نصرٌ قوة أبي مسلم كتب إلى مروان بن محمد يعلمه حال أبي مسلم
وخروجه وكثرة من معه، وأنه يدعو إلى إبراهيم ابن محمد، وكتب إليه بأبيات شعرٍ، وهي:

أرى بين الرّماد وميضَ نار فأوشك أن يكون له ضرام
فإنّ النار بالعودين تذكى وإنّ الحرب مبدؤها كلام
فقلت من التعجّب ليت شعري أيقاظٌ أميّة أم نيام

فكتب إليه مروان: إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فاحسم الثؤلول قبلك.
فقال نصر: أما صاحبكم فقد أعلمكم أنه لا نصر عنده. وكتب نصر إلى يزيد بن هبيرة
بالعراق يستمده. فلما قرأ كتابه قال: لا تكثر، فليس له عندي رجل. ثم قبض مروان على
إبراهيم الإمام وحبسه، وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله في أخبارهم.
أبي حمزة المختار
ابن عوف الأزدي البصري مع طالب الحق عبد الله بن محمد ابن يحيى الحضرمي
كان المختار من الخوارج الأباضية، وكان يوافي مكة في كل سنة يدعو الناس إلى خلاف
مروان بن محمد، فلم يزل كذلك حتى وافى عبد الله بن محمد بن يحيى الحضرمي المعروف
بطالب الحق في آخر سنة 1ثمان وعشرين ومائة، فقال له: يا رجل، أسمع كلاما حسنا،
وأراك تدعو إلى حق، فانطلق معي، فإني رجلٌ مطاعٌ في قومي، فخرج حتى ورد
حضرموت، فبايعه أبو حمزة على الخلافة، ودعا إلى خلاف مروان، وقد كان أبو حمزة
اجتاز مرة بمعدن بني سليم، والعامل عليه كثير بن عبد الله، فسمع كلام أبي حمزة فجلده
أربعين سوطاً، فلما ملك أبو حمزة المدينة على ما نذكره تغيب كثير.
وفي هذه السنة قدم أبو حمزة إلى الحج من قبل عبدالله بن محمد طالب الحق، فبينما الناس
بعرفة ما شعروا إلا وقد طلعت عليه أعلامٌ وعمائم سود على رؤوس الرماح، وهم

سبعمائة، ففزع الناس، وسألوهم عن حالهم، فأخبروهم بخلافهم مروان وآله، فراسلهم عبد
الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وهو يومئذ على مكة والمدينة، وطلب منهم الهدنة أيام
الحج، فقالوا: نحن بحجنا أضن وعليه أشح، فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من
بعض حتى تنفر الناس النفر الأخير، فوقفوا بعرفة على حدة، ودفع بالناس عبد الواحد،
ونزل بمنزل السلطان بمنى، ونزل أبو حمزة بقرين الثعالب. فلما كان النفر الأول نفر عبد
الواحد وأخلى مكة فدخلها أبو حمزة بغير قتال، فقال بعضهم في عبد الواحد:

زار الحجيج عصابةٌ قد خالفوا دين الإله ففرّ عبد الواحد
ترك الحلائل والإمارة هارباً ومضى يخبّط كالبعير الشارد

ومضى عبد الواحد حتى دخل المدينة، وزاد أهلها في العطاء عشرة عشرة، واستعمل
عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، فخرجوا حتى وصلوا العقيق، وأتتهم رسل
أبي حمزة يقولون: إننا والله مالنا بقتالكم من حاجة، دعونا نمضي إلى عدونا.
فأتى أهل المدينة وساروا حتى نزلوا قديداً، وكانوا مترفين ليسوا بأصحاب حرب، فلم
يشعروا إلا وقد خرج عليهم أصحاب أبي حمزة من الغياض فقتلوهم. وكانت المقتلة في
قريش، فأصيب منهم عددٌ كثير، وقدم المنهزمون المدينة، فكانت المرأة تقيم النوائح على
حميمها، ومعها النساء فتأتيهم الأخبار عن رجالهم، فيخرجن امرأةً امرأةً كل واحدة